محمد أحمد باشميل

الإسلام ونظرية داروين

طبـــــع على نفقـــــة المؤلف

ويـــوزع مجـــاناً لوجـــه الله

الاسلام ونظرية داروين

الطبعة الثـــالثة

١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

هؤلاء النفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين ، في هذا القرن الطافح بعناصر المادية الجارفة والالحاد المتنوع . هم جديرون بالحفاوة والتقدير وقمين بالعالم العربي والاسلامي ان يهتم بصرخاتهم ، وان يستجيب لنداءاتهم ليعود اليه سناه ومجده ، وذاتيته وكيانه .

ان هؤلاء النفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين انما يقومون فيما ينشرونه من مؤلفات ومقالات ودواوين شعرية بتأليف (جرعات) من ترياق الاصلاح والهداية حتى لا يستمر طغيان المادية ومبادىء الالحاد على وجه الارض ، وخاصة في ديار العروبة والاسلام مهد الهدى والرشاد .

والمسلمون اذا ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بموجبها فانهم ولا ريب سرعان ما يستعيدون مكانتهم ويعودون كما كانوا من قبل ، روادا للبشرية الى طريق الحق والخير والجمال .

والاستاذ محمد احمد باشميل حينما جنح الى اثارة سيرة السلف الصالح وتجليتها بأسلوبه المتين ، كما شاهدناه فعلا في كتابه النفيس المفصل عن « غزوة أحد » الحاسمة وحينما تعرض الآن لدحض شبه الملحدين في كتابه هذا الذي ناقش فيه (نظرية داروين) من وجهة نظر الاسلام والعلم الصحيح ، وفنّدها بدلائل علمية واضحة لا تقبل الجدل . انما يسيرَ على نهج أولئك الرادة الشداة من رجال العلم والفكر الاسلاميين الذين يقفون على السبل وينيرون الطريق للبشرية التائهة في ادغال المادية والالحاد الجارفين في عالم اليوم . وفي هذا لا ريب بشائر خير بأن العالم الاسلامي ما زال في مكان الريادة برغم ضعفه وانحطاط كيانه . فالشعور بالمسؤولية العالمية لا يزال يراود رجال الفكر فيه . وهم اذ يزجّون بأنفسهم في هذا الميدان المرهق لا يبتغون جزاءا ولا ينتظرون مادة . وانما هدفهم كما كان هدف اسلافهم الابرار الاخيار ، تطهير الافكار والمجتمعات من داء وبيل خطير يكاد يقضي

عليهم القضاء المبرم . وهذا العمل المجيد من جانب رجال الفكر هؤلاء يسهم (الى أبعد الحدود) في القضاء على نظرية ماركس المادية الملحدة .

وان مضللي العالم ، من وجوديين وشيوعيين وغيرهم ليدركون خطر الاسلام عليهم وعلى ما ينشرونه من سموم ، وما يذرونه من أدواء فتاكة ، ولذلك يحاولون بكل قواهم أن ينشروا مذاهبهم الزائفة المستوردة في أجواء (العالم الاسلامي) حتى يخدروا أقوامه بهذه (المخدرات) الهدامة الحاطمة ، فلا تقوم قائمة له ولا للعالم من بعد .. (تماما مثل شارب المخدرات لا يريد الا أن يرى الناس كلهم مثله في استعمال ما اعتاد استعماله) ليظلوا كلهم في دوامة تخدير وذهول وغيبوبة دائمة عن الوعي الصحيح الراشد ..

وبعد ، فانني أقترح على وزارتي المعارف السعودية وعلى وزارة الاعلام بها ان تسهما في هذا السبيل ، بانشاء لجنة او لجنتين منهما همهما القيام بترجمة هذه البحوث القيمة الى لغات أجنبية ترجمات صحيحة فصيحة شيقة ، لتسهم بذلك مملكتنا الفتية موئل الدين الاسلامي الحنيف ، ومهد العروبة الاصيلة الخالدة ، في هذا البناء الشامخ المجيد ، ذودا للباطل من ان ينتصر ، ومساعدة للحق لينتشر ، وللحقيقة الاسلامية الخالدة الشامخة لتزدهر ، وللحق السامي الشامل ليرفرف بنوره وليسيطر وبالله التوفيق ....

جدة في ١٣٨٤/٤/٣ هـ

عبد القدوس الانصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

نحمدك الله على نعمائك وآلائك ، وصل اللهم وسلم على نبيك ورسولك محمد وآله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين .

اللهم نضرع اليك ان تمن علينا بايمان لا يخالطه شك ويقين لا يشوبه ريب، ونسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك المثلى ان تمدنا بعونك وتوفيقك ، وان تجعل كل أعمالنا خالصة لوجهك .

- ١ -

لقد نالت نظرية (داروين) وهي (نظرية التطور والارتقاء) من الشهرة والذيوع في العالم ما لم تنله اية نظرية حديثة حتى اليوم .

وذلك بسبب احتكاك هذه النظرية المباشر بجوانب حساسة من معتقدات الناس وافكارهم وآرائهم المتمركزة في نفوسهم حول خلق العالم وتكوين الانسان والروح .

لقد هزت هذه النظرية دنيا العلم، واشغلت عالم الفكر ، وبعثت موجات من الغضب والاستنكار في محيط المتدينين (وخاصة زعماء الكنيسة في أوروبا) .

كما ان هذه النظرية ــ في الوقت نفسه ــ انعشت روح الالحاد ووسعت المجال لدعاة التحلل الاباحية أن يقولوا اكثر مما كانوا يقولون .

فمنذ ظهور هذه النظرية والصراع حولها مستمر بين العلماء والمفكرين ورجال الدين ، وخاصة عندما كانت السلطة الزمنية في يد رجال الكنيسة في اوروبا .

غير أن هذا الصراع قد خف كثيرا ، بعد ان انتصرت العلمانية على الكنيسة وجرّدتها من سلطتها الزمنية ، حيث بقي سلطان الكنيسة محصورا

بين جدرانها ، لاقتصاره على تنظيم علاقة الانسان المسيحي بمعبوده فحسب.

فبعد أن انتزعت السلطة الزمنية من يد الكنيسة التي كانت الخصم القوي المرعب لدعاة نظرية التطور والارتقاء في أوروبا تنفس هؤلاء الدعاة الصعداء وصاروا يوالون بحوثهم وينشرون آراءهم بمنتهى الحرية ، مما يسر لهذا النظرية الانتشار والوصول الى كل حقل ثقافي في العالم كله .

- ٢ -

ان بحثنا في هذا الكتاب سيدور (ان شاء الله) حول النقاط الرئيسية الآتية :

آ . . اعطاء القارىء صورة مفصلة دقيقة عن جوهر (نظرية داروين) والقواعد التي قامت عليها والحجج والبراهين التي تستند اليها ، مع اعلان القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما اذا كانت هذه النظرية تعبّر عن الحقيقة الواقعة التي لا تقبل الجدل ، أم انها فرض من الفروض ، قابلة للالغاء والتعديل .

ب . . ابلاغ القارىء المسلم (وغير المسلم) حقيقة موقف الاسلام من جوهر هذه النظرية ، واعطاؤه القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما اذا كان القول بهذه النظرية يتنافى مع الاسلام والاعتقاد بوجود الله تعالى أم لا .

ج . . مناقشة الجناح الالحادي من دعاة هذه النظرية ـ امثال (لامارك الفرنسي)و(ارنست هيكل، وبخنر الالمانيين)و(اوبارين الروسي الشيوعي)(١) وغيرهم من الملاحدة الماديين الذين ينفون الخالق سبحانه وتعالى ، ويقولون (بالتولد الذاتي) وتأليه الطبيعة ، و (الحركة الابدية الملازمة للمادة) ويركبون ـ لترويج هذا المنكر ـ متن نظرية التطور والارتقاء .

وقد ناقشنا (بتوسع ودقة) كل ما تشبث به هؤلاء الملحدون من أدلة وبراهين ، مناقشة اثبتنا بها بطلان كل تلك المزاعم ، وسجلنا (بالطرق العلمية والعقلية) عليهم تهافتهم وفساد ادلتهم وتخاذل حججهم ومناقضة بعضها بعضا ، بحيث أوضحنا للقارىء بأن هؤلاء الملحدين ليسوا على شيء ، وأن دعاواهم عندما يأتي دور تمحيصها وتحليلها في مختبر العقل والعلم والوجدان ، يتضح أنها ليست اكثر من مغالطات ووساوس واوهام فاسدة .

---

(١) ستأتي ترجمة هؤلاء جميعا فيما يأتي من هذا الكتاب .

وهدفنا من وضع هذا الكتاب هو مساندة الشباب الاسلامي في معركته المضنية التي يخوضها (مرغما) مع تيارات التشكيك والالحاد التي اكتسحت المدرسة والجامعة والاذاعة والصحافة والنادي ـ ضمن فيوضات المذاهب والنظريات والافكار والعادات والتقاليد الاجنبية الدخيلة التي حملتها الينا المدنية الحديثة فيما حملت ، والتي يمر بها القارىء والسامع في مراحل تحصيله العلمي والفكري .

لقد اصبح الشباب المثقف في عصرنا هذا (وفي جميع انحاء العالم الاسلامي) اكثر تعرضا للانحراف عن سبل الهداية والانجراف في تيارات التحلل والغواية ، وبشكل لم يسبق له مثيل في ايةّ فترة من فترات تاريخ هذه الامة .

والسبب في ذلك كله يعود (في الدرجة الاولى) الى الاسباب الرئيسية الآتية :

١ ـ ان هذه المذاهب المخربة والافكار الهدامة والنظريات المضلة جاءت الينا كلها تزهو ، في لباس العلم والمعرفة والتقدم والتحرر . مما أسرع ببعض المثقفين ـ الذين لم يكن لهم من الحصانة الدينية والمناعة العقلية ما يحفظهم من الانحراف ـ الى اعتناق هذه المذاهب والنظريات ، بل والتعصب لها .

٢ ـ انعزالية اكثر العلماء المسلمين وانطوائهم على انفسهم ـ امام هذه التيارات الدخيلة المخرّبة ـ انطواء جعلهم يوصدون الابواب على انفسهم داخل ابراجهم العاجية التي حالت بينهم وبين خوض معترك الحياة العامة والاحتكاك بمختلف الطبقات للتعرف على شتى الميول والاتجاهات .

الامر الذي جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون ما يجب ان يعلموه (بالتفصيل) عن هذه المذاهب والنظريات والافكار ، ومدى فعاليات ما تحمله من سموم وأمراض الى اعماق البيئات الاسلامية ، وخاصة الثقافية منها ، والتي هي اليوم اكثر تعرضا وتأثرا بهذه السموم والامراض .

وهذا هو الذي يسّر لمنظمات الالحاد وعصابات التفسخ والانحلال أن تعمل بحرية ونشاط ، بين فئات المثقفين السطحيين ، فتحرز ضد الايمان والفضيلة نجاحا لا يستهان به .

ذلك ان هذه التيارات الخطرة لم تجد اية مقاومة علمية فعالة حاسمة ومركزة من جانب هؤلاء العلماء في اية جبهة من الجبهات .

وبدهي ان لا توجد هذه المقاومة لأن هؤلاء العلماء (بحكم انعزاليتهم في اكثر الاقطار الاسلامية) ليس لديهم أي المام مفصل بهذه المذاهب المخربة والنظريات الهدامة ، فلا يعرفون القواعد والاساليب التي منها وبها ، يشن اعداء الاسلام هجماتهم المدمرة على مواقع الايمان ومراكز الاستقامة في نفوس الشباب ، وبالتالي لا يحسون بما تحمله هذه المذاهب والنظريات من فعاليات النسف والتدمير للعقائد والاخلاق .

فكان واجب هؤلاء العلماء القياديين(وخاصة في هذا العصر)أن يخرجوا من عزلتهم ويقتحموا ميدان الحياة ويتصلوا بمختلف طبقات الامة اتصال القائد بالجند والطبيب بالمرضى والمحارب المسئول بالجبهة ، وأن يدرسوا هذه النظريات الخطيرة ويستوعبوا تلك الافكار المخربة ، شأنهم في ذلك شأن القائد المحارب اليقظ الذي (لكي يضمن القضاء على عدّوه) يبذل قصارى جهده للتعرف على مواقع هذا العدو ومدى قوته ووسائل هجومه ومصادر تموينه ، ليسهل تحطيمها .

والايمان اليوم يخوض معركة رهيبة مع الالحاد والمجون ، معركة سلاحها الوحيد شيء اسمه (الفكر والعلم) وكسب هذه المعركة لا يتأتى للمدافعين عن الايمان والفضيلة الا عن طريق المام هؤلاء المدافعين بكل الاصول والقواعد التي يقوم عليها الالحاد والاباحية ودرس ما يستند اليه الملحدون من حجج ويشغب به الاباحيون من مضلات الآراء ومغويات الافكار ، دراسة تمكن هؤلاء العلماء المدافعين الذابين عن الحق من أن يضعوا ـ بريشة البحث المركز والعلم الصحيح والمناقشة العميقة القوية الصائبة ـ علامات التنبيه والارشاد الواضحة على مواطن الانحراف ومواقع الضلال والفساد من هذه النظريات والافكار والمذاهب ، ليقف الناس عند هذه العلامات وقفة تدبر واستذكار ، فيقتنعوا عن بحث ونظر (وتحت تأثير قوة الحجة والبرهان) بفساد هذه المذاهب والنظريات والافكار ، فيجتنبوها .

اما بغير سلوك هذا السبيل فان مقاومة الالحاد والتحلل لن تكون الا مقاومة سلبية لن يكون لها اي تأثير في سير المعركة التي يخوضها الايمان مع الالحاد الذي سيستمر في زحفه مسجلا كل يوم نصرا في جبهة من الجبهات التي يشن فيها حربه المكشوفة او المقنعة . حتى يغيِّر محاربوه من العلماء المسئولين اسلوبهم الضعيف المفكك في مقاومته .

فقد مضى الزمن الذي كان يكفي فيه ـ لابعاد الناس عن فكرة فاسدة او مذهب مخرب ـ أن يقول عالم من العلماء الرسميين .. هذا زيغ وذاك ضلال فاجتنبوه .

فقد أصبح الناس اليوم (وخاصة المتأثرين بالافكار الحديثة وعلى أي

مستوى كانوا) يصعب اعادة الضالين منهم (او السائرين في طريق الضلال) الى جادة الحق بمثل ذلك الاسلوب العتيق الذي لا يزال كثير من العلماء يظنون انه يكفي لاعادة الناس الى طريق الهداية .

٣ ـ من الاسباب التي يسَرت للافكار الفاسدة والمذاهب المنحرفة الانتشار بين طبقات المثقفين (بصفة خاصة) استبعاد كافة العلوم الاسلامية من برامج التعليم في جميع مراحل التدريس ، من اول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة ، او ضعف مواد هذه العلوم ، وعدم اختيار المدرسين العقائديين الاسلاميين الاكفاء الاقوياء لتدريسها (اذا ما وجدت و ُقررت اجباريا كما هو في بعض البلاد الاسلامية القليلة) .

وقد كان المفروض ان يكون تضلع الطالب المسلم بمختلف العلوم والافكار والتوجيهات الاسلامية هو خط الدفاع المنيع الذي يقف داخل نفس كل طالب مسلم ليحميه من مضلات تلك النظريات الفاسدة والافكار والمذاهب المخربة .

ولكن استبعاد هذه العلوم نهائيا ، او ضعف موادها أو عدم اختيار الاساتذة العقائدين الاقوياء الاكفاء المتحمسين لتدريسها ـ اذا ما وجدت ـ هو الذي جعل الطالب المسلم (في اية مرحلة من مراحل تحصيله) يقف امام تيارات دعوات الالحاد والتفسخ والانحلال ، شبه اعزل من السلاح القوي الذي يجب أن يكون به مزودا تزويدا كاملا ، وهو التربية الاسلامية القوية الواعية المركزة ، التي صار الطالب ، اما يحرم منها كليا أو يتلقاها سطحية ضعيفة ناقصة ، وهذا كله قد جاء نتيجة جهود كبيرة قام بها اعداء الاسلام عندما كانت مراكز التعليم القيادية في أيديهم(في اكثر اقطار العالم الاسلامي) منذ عشرات السنين .

٤ ـ ومن الاسباب اياها (ولعله أخطرها) عدم شعور كثير من الحكام في الاقطار الاسلامية وذوي المناصب القيادية التوجيهية فيها بمسئوليتهم العظمى نحو الاسلام كدين ودولة وخلق ومعاملة ، ونظرهم الى هذا الدين وما أتى به من تعاليم وآداب ، كأمر شكلي لا اهمية له ، هو آخر ما يمكن أن يفكروا فيه (اذا ما فكروا) بل ان كثيرا منهم لينظر الى هذا الدين وكأنه عبء ثقيل يجب أن يزول ، وذلك لجهلهم بحقيقته أو لتربيتهم على ما يتنافى مع تعاليمه ، ولا يتفق مع اتجاهاته .

ومن هنا كان بدهيا أن يعمل كثير من هؤلاء الكبار ما امكنهم على تعضيد كل قول أو عمل فيه تشجيع ومساندة للاباحية والالحاد، مستغلين مناصبهم لمقاومة روح الاسلام والخروج على آدابه ، مع العمل على اعنات العناصر الاسلامية الفعالة وخنق صوتها ومحاربتها بكل الوسائل والسعي لدى

الجهات العليا لاقصاء هذه العناصر عن كل مركز قيادي في الدولة .

مع حدب هؤلاء الموظفين الكبار على العناصر الاباحية المتحللة وافساح الطريق امامها والسعي لاقعادها في المناصب القيادية الحساسة ، وبهـذا عزلت العناصر الاسلامية القوية العاملة امنًا عزلا تاما عن المراكز التوجيهية ، او بقيت في مراكز جانبية مسلوبة الصلاحيـات ، أو ألزمت بالبقـاء تحت قيادات تلك العناصر اللادينية المتحللة ، بغية اذلالها وتحطيم معنوياتها لكي لا تستطيع القيام بأي عمل جدي واسع فيه نصر فعال للاسلام ، أو خطر عـلى قافلة التحلل والانحراف التي تسير تحت اشراف أولئك الكبار المتمركزين في تلك المناصب الكبيرة .

وهذه منطقة الخطر التي انطلق منها (في كثير من الاقطار الاسلامية) وسينطلق ولا شك اعصار التدمير والتخريب والاضطراب داخل الاقطار التي قامت حكوماتها على أساس اتخاذ الاسلام محورا تدور حوله في أحكامهـا ومعاملاتها وأخلاقها ، اذا لم تتنبه الرؤوس الكبيرة في هذه الاقطار والتـي ليس غيرها مقصودا (في الدرجة الاولى) بهذا النسف والتدمير الذي تعده لها هذه العناصر التي نرى كثيرا من الرؤوس الكبـيرة في العالم الاسلامـي تسلم الى هذه العناصر الخطرة (في براءة تشبه البلاهة) مصاير الدولـة والامة على السواء .

وان العاقل الصادق المخلص ليتساءل (بحرقة والم) كيف تعطى قيادة السفينة الى من يرى أن تحطيمها من اكبر اهدافه الرئيسية واغلى امنياته في الحياة ؟!.

واعتقد انه لا يختلف اثنان من العقلاء في أن من أكبر الاسباب التـي تيسر لعناصر الفوضى والتخريب مهمتها ان تعطى مقاليد أمور أيا كان نوعها (في دولة قامت على أساس الاسلام) الى من هو فاسد في نفسه وأخلاقه وخصم لهذا الدين ، يتمنى من صميم قلبه أن لا يرى له ظلا ولا يسمع لـه صوتـا .

وهل تؤتى الدول الاسلامية ويسرع اليها الانحلال والتدمير الا عـن طريق مثل هذا التصرف ؟ (١) .

---

(١) ان الانقلابات المريعة التي تتبعها الكوارث الدامية والتدمير والقلق والفوضى فـي كل شيء ، ليست الا نتيجة طبيعية للتدمير الاكبر الذي يسبقها ويمهد لها ، هذا التدمير الذي يتمثل في نسف العقائد وهدم الاخلاق والعمل (بصفة رسمية) علـى اشاعـة روح الاباحية والتحلل وقتل الوازع الديني في النفوس بين جميع طبقات الامـة ، وذلك بانفاق الملايين على الوسائل التي تؤدي الى ذلك كله مما يعد خروجا على آداب الاسـلام وانتهاك لحرماته ، وهدما لكيان الدولة في الوقت ذاته ، والذي لا بد من أن يأتي فاعليه والراضين =

ولماذا يحرص الشيوعيون والطامعون اللادينيون على انتزاع كل وازع ديني وخلقي من النفوس ؟.

انهم يفعلون ذلك لكي يتحول الانسان الى حيوان مفترس يسهل عليهم استخدامه للقيام بأي عمل (مهما كان منحطا ووحشيا وفظيعا) لان الانسان الذي يقطع صلته بالله يتجرد من كل احساس انساني ، اذ لم يبق لديه اي وازع ديني يحول بينه وبين ارتكاب اية جريمة مهما كان نوعها .

وما نراه ونسمعه مما يحدث حولنا من كوارث رهيبة دامية واعمال وحشية يترفع عن اتيان مثلها احط انواع الحيوانات المتوحشة ، انما سببه الاول ذهاب الوازع الديني وافساح المجال للعناصر اللادينية المتحللة لتتربع على كراسي المناصب التوجيهية والقيادية في الدولة ، وفي ذلك عبرة لمن

= به والمشجعين على فعله ، مثل الذين خلوا ، الذين بارزوا الله بالمعصية وتحدّوه بمخالفة أمره فطوى بساطهم ودمر كياتهم ، كما قال في كتابه العزيز « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فمبارزة الله بالمعصية (مهما كانت ومهما ألبسها المضللون من أردية لنفي صفتها الاساسية عنها وتسميتها بغير اسمها) هي من أكبر الاسباب التي تستنزل غضب الله والذي تكون نهاية المتعرضين له الضياع والتدمير ، (اذن) ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم ـ وعلى الذين لا يزال الانحراف بينهم وليدا ، ولا يزال المصممون من العاملين في دولتهم (على نشر الفسق واعلان المعصية بالصفة الرسمية) في بداية الطريق .. عليهم ـ اذا ما أرادوا حماية أنفسهم وشعوبهم مما أصاب غيرهم من كوارث مريعة وفجائع مدمرة ، نتيجة مبارزتهم الله بالمعصية ومبارزته (رسميا) بما يغضبه ـ عليهم أن يتقوا الله في انفسهم وشعوبهم فيحافظوا على نعمة الامن والاستقرار والرخاء والطمأنينة والهدوء التي يتمتعون بها والتي يحسدهم عليها أرقى الدول حضارة ومدنية ، والتي لم تتوفر لهم بفضل قوتهم الجبارة أو مباحثهم واستخباراتهم النشطة الواسعة ، وانما بفضل الله ثم بفضل ما تبقى لهم من رصيد الدين والخلق الذي صمم خصومهم (المتظاهرون بالولاء أمامهم) على تبديده واضاعته ليكونوا في عداد المفلسين من هذا الرصيد الذي لا يزال (حتى هذه اللحظة) هو الحارس الوحيد لدولتهم من أن تتهدم ولكياتهم من أن يتحطم . والمحافظة على النعمة الكبرى التي ذكرنا لن تتحقق الا بالرجوع الى الله وايقاف كل مشروع او حركة فيها خروج على آداب الاسلام او تمرد على شرائعه وأحكامه او تشجيع على انتهاك حرمات الله ، مما يستهين به البعض من وسائل المجون والانحراف ، نعم عليهم اذا ما أرادوا المحافظة على هذه النعمة الكبرى أن يكونوا حيث أراد الله منهم أن يكونوا ، والا يستجيبوا لصيحات الانحراف التي تتسم (للتحسين والاستساغة) بطابع الرقي والتقدم ومسايرة الركب الحضاري ، نعم عليهم ان يكونوا حيث أراد الله منهم ان يكونوا وان يصموا آذانهم عن صوت كل داع ، غير داعي الله ، والا فان الله تعالى ليس بينه وبين أحد نسب أو قرابة ؟ فكل من مالن الله بالمعصية او تحداه باعلان ما يغضبه ، فانه يقصمه ويحطمه ولا يبالي . مرة أخرى ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ـ .

اعتبر (١) ، وعلى الحكام الذين لا يزالون — هم وشعوبهم بخير — أن يتدبروا امرهم ويتدارسوا هذه العبر ويتعظوا بها لكي ينجوا مما وقع فيه غيرهم من كوارث وفجائع ، وهذه النجاة لن تتحقق لهم الا باستبعاد كل العناصر اللادينية المتحللة من كل المناصب التوجيهية والقيادية في أي مرفق من المرافق ، بل والضرب على أيدي هذه العناصر لحسم شرها وتجنب أذاها . اما تملق هذه العناصر الفاسدة المتحللة واسناد المناصب الكبرى ذات العلاقة المباشرة بمصير الامة والدولة اليها ، فانه لن يؤدي في النهاية الا الى الخراب العام والدمار الشامل ، وخاصة في الدول التي قامت على أساس من الاسلام الذي ترى فيه هذه العناصر الاباحية عبئا ثقيلا تحرص على ازالته لانه بزعمها من اكبر عوامل التأخر وعوائق التقدم .

— ٤ —

ان مما لا جدال فيه أن بعض النظريات العلمية الوافدة الينا لم توضع (أصلا) للدعوة الى الالحاد والتحلل ، ولكن دعاة الكفر والاباحية استغلوا شهرتها العلمية العالمية فجعلوا منها وسيلة للتغرير بالقاصرين السطحيين

---

(١) وانها لظاهرة عجيبة وخطيرة يلحظها كل مخلص بتخوف واشفاق (في بعض أقطارنا الاسلامية) وهي أنه كلما ازداد أمر هذه الفئات اللادينية المتحللة انكشافا ، كلما ازداد كبار المسئولين بها تمسكا واليها اطمئنانا ، وكلما ازدادت روائحها الخبيثة تصاعدا ، وكلما تضافرت الادلة وتوافرت البراهين على كيد هذه الفئات للدولة وعملها (قدر المستطاع) على ما فيه تشويه لسمعتها واضعاف لكيانها وافساد لاخلاق شعوبها ، كلما ازدادت ثقة المسئولين الكبار بها والركون اليها ، فكأن لسان حال هؤلاء الحكام (في أكثر من قطر اسلامي) يقول .. من أراد أن يكون محل ثقتنا وموضع تقديرنا فعليه ان يكون على مستوى هذه الفئات فسادا وتحللا وكيدا لنا وتربصا بنا ، وهذه ظاهرة (لعمرو الله) مخيفة نسأل الله تعالى ان يقي أمة محمد ودينها واخلاقها شرها ، وهي ظاهرة لا تشبهها الا تلك الظاهرة الخطيرة التي سبقت نكبة المسلمين المروعة في المغرب في الاندلس وفاجعتهم في المشرق ، في بغداد ، حيث ابتلى الله حكام تلك الاقطار بوضع ثقتهم في أعداء دينهم وخصوم دولتهم من المتحللين الفاسدين والسياسيين العملاء الماكرين الذين كلما لفتت الفئات المخلصة أنظار اولئك الحكام اليهم وحذرتهم منهم كلما ازداد اولئك الحكام ثقة بهم واعتمادا عليهم ، وتذمرا من المخلصين وشكا في نواياهم ثم نبذهم ، حتى تمكن اولئك الخصوم من القياد ، فساروا بالدولة والامة في طريق الخراب الاخلاقي والسياسي حتى ضربوا ضربتهم القاتلة ، فوقعت الواقعة ووقف هؤلاء الخصوم الموثوق بهم على جثث الذين وثقوا بهم يتلهون بها في زهو وتشف وانتقام ، وليسأل المعنيون (في أقطارنا الاسلامية) عن مصير المستعصم بالله في بغداد ومصير أبي عبدالله في غرناطه ، ذلك المصير المرعب الذي آل اليه ذانك الخليفتان ، وبالتالي آلت إليه تلك الدولتان العظيمتان نتيجة الثقة بالخصوم والاطمئنان الى العملاء الجواسيس الذين كانوا يتظاهرون (نفاقا) بالولاء والاخلاص . وما أشبه الليلة بالبارحة .

فجروا الكثير منهم (باسم هذه النظريات) الى هاوية الكفر والضلال .

ومن هذه النظريات نظرية التطور والارتقاء التي صارت تعـرف باسم (نظرية داروين) والتي هي موضوع كتابنا هذا .

فقد ضل كثير عن طريق النظر في قواعد هذه النظرية والتأثر بهـا ، وذلك لا لأن اصول هذه النظرية (ذاتها) يستلزم الايمان بها الانحراف والكفر، وانما لان الكثير ممن تولوا شرح هذه النظرية والتفلسف في معانيها ، هم دعاة كفر واباحية ، ومن هؤلاء (الماركسيون) الذين وجدوا في هذه النظريـة ضالتهم المنشودة حيث استغلوا شهرة هذه النظرية وما يعتـري بعـض قواعدها من غموض وتعقيد وخاصة فيما يتعلق بالروح ونشـأة الحيـاة وموضوع تطور الكائنات الحية وتحولها ، فطاروا بهذه النظرية ثم اضافوها الى وسائل الاغواء والاستدراج التي بها توصلوا الى الانحراف بكثير مـن الناس عن جادة الاستقامة والهداية .

فجنفوا بكثير من الشباب المثقف في منعرجات الضلال واستدرجوهم الى سراديب الاباحية والتفسخ ، فسلبوا من هذا الشباب المسكين نعمـة الطمأنينة والاستقرار التي مصدرها الايمان بالله تعالى ، وأبدلوه بهـذه الطمأنينة بلية الحيرة والقلق التي يعيشها اليوم شقيا تعسا ، وهل أحـد أشقى من المصابين بمرض الشك والالحاد والتفسخ والعربدة ؟. اللهم امنن علينا بنعمة الايمان والاستقامة .

ان هؤلاء المرضى تعساء معذبين ، وطوبى للمؤمنين المستقيمين وهنيئا لهم الطمأنينة التي يعيشون سعداء آمنين في ظلها .

ومن المؤسف أن ضحايا الزيغ والاباحية الذين يترنحون تحت ضربات الشك والحيرة والقلق ، هم (أو اكثرهم من الشبـاب المثقف أو الشيـوخ المتصابين المتسمين باسم الادب والثقافة) الذين جنحت بهم سفينة الحيـاة عن طريق الاستقامة والهدى ، الى شاطىء الضلال ليكونوا فئة للمنحرفـين والسفهاء ، حيث صاروا بمثابة خصم عنيد لكل ما يدعو اليه هذا الدين من فضيلة واستقامة وتحفظ ، بل نصبوا من انفسهم محامين يذبون عن السفهاء ويتولون المرافعة عن الضالين ، تحت ستار الدفاع عن الامة ــ وما ارادوا الا الدفاع عن انفسهم المنحرفة .

فكم رأينا هذه الفئات (في اكثر من بلد اسلامي) يغلي الدم في عروقها ولا تكاد تملك نفسها غضبا ، عندما ترى سوط حق ينهال على ظهر فسق أو ضلال ، وكم رأيناها رافعة عقيرتها في تساند عجيب ووقاحة اعجب شاكية باكية ، طالبة اخراس أصوات الحق وتحطيم اقلام الهداية بدعوى أن أصحاب هذه الاقلام يشتطون في التعبير ويتزمتون في الحكم ولا يرعون للشعب

حرمة ولا كرامة ، حيث يصدرون أحكاما عمومية علـى جميع أفـراده نساء ورجالا بالسفه والضلال ، مما يعرض الامة (بزعمهم) لفتنة لا يعلم مداهـا الا الله .

وما أرادوا (والله) حفظ كرامة أبناء الشعب ، فهم على اهدارهـا أحرص ، وانما أرادوا حماية عناصر الفساد والتحلل وحراسة مواكب الفسق والانحراف لتشق طريقها في حرية وأمان ، دون أن يعترضها معترض ، أو حتى ينكر عليها منكر بقلمه أو لسانه .

وهل مما يعرّض كرامة أبناء الشعب للهدر والامتهان أن يقف أصحاب الاقلام المخلصة لتحذير الشعب اياه من شرور شرذمة فاسدة متحللة ، هدفها الاكبر أن يكون كل أبناء الشعوب الاسلامية على مستواها اباحية وضلالا ؟؟

فأي خطر بالله على أبناء الشعب من أن يشير لهم كاتب الى هـذه الشرذمة الفاسدة التي تعرف برسمها من غير حاجة الى ذكر اسمها ، ويحذرهم منها ومن شرورها ومفاسدها ؟

وهل فلان وفلان ، وعلان وفلتان ، وأمثالهم من أفراد العصابة اياهـا والتي لا ينطبق وصف السفهاء على سواها ، هل هؤلاء هم كل أفراد الشعب ، حتى يعتبروا التنديد بالسفهاء والمطالبة بالضرب على أيدي المضلين تهجمـا على الشعب كل الشعب ؟؟.

محمد احمد باشميل

مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية
جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.

إعتراف ورجاء

لا شك أن الخوض في مثل موضوع كتابنا هـذا ، هو مركب صعب وطريق شائك يصعب على سالكه المرور فيه دون ان يقع في الخطأ ــ وخاصة اذا كان على مستوى المؤلف من حيث القصور وعدم الكمـال ــ الا انني مع هذا سلكت هذا الطريق وركبت هذا المركب الصعب الذي لا يخلو من مغامرة، او هو المغامرة بعينها (بالنسبة لي) .

ولهذا فاني على ما يشبه اليقين بأن الكتاب لن يخلو من الاخطاء سواء من الناحية الدينية او العلمية .

غير ان الذي ارجو ان يكون لي شفيعا عند القراء الكرام (وخاصة علماء الدين الافاضل) هو ان هذه الاخطاء التي قد يجدونهـا هي اخطـاء غـيـر مقصودة ، وانما هي نتيجة القصور البشري الذي هو ملازم لكل انسان .

يضاف الى ذلك ان هدفي الاول والاخير من تأليف هذا الكتاب هـو الدفاع عن الحق والذب عن عقيدة التوحيد وكشف شبه الملحدين واظهـار بطلانها لئلا يغتر بها الشباب المسلم المثقف الذي طالما قدمت اليه في اطباق العلم الزاهية فاغتر بها البعض فاستساغها على اساس انها من جملة العلوم الراقية .

والله وحده يعلم كم بذلت من الجهد المضني في اخراج الكتاب ، وقد بذلت لاتباع الحق واجتناب ما يخالفه قصارى جهدي ، فان أصبت فبتوفيق الله وان أخطأت فما أنا الا بشر يخطىء ويصيب .

وارجو من القارىء الكريم ان يشرفني ــ كتابة في الصحف او مراسلة خاصة ــ بالتنبيه الى اي خطأ يراه في هذا الكتاب لاتلافاه وأقوم بتصحيحه، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

الفصل الأول

* وصف نظرية داروين كما هي .
* الرد على الجناح الالحادي في النظرية .
* أهم الاعتراضات على مذهب داروين .
* قواعد النظرية وبراهينها .
* القول الفصل في النظرية من ناحية ثبوتها أو عدمه .

دارت بيني وبين احد الشيوعيين العرب عدة مناقشات صريحة حول ما يدّعيه الملحدون من انكار الخالق سبحانه وتعالى ، ويهرفون به من تأليه الطبيعة واعطائها صفة القادر على كل شيء .

وقد دارت هذه المناقشة في عدة جلسات ناقشنا فيها اهم شبه الملحدين وهدمناها واحدة واحدة ، وقد حضر كل جلسات المناقشة جمع من الشباب المثقف الذين شارك البعض منهم في هذه المناقشة .

وقد أدّى بنا الاستطراد والتوسع في البحث الى مناقشة (نظرية داروين) التي هي احدى نقط الارتكاز التي يستخدمها الملحدون للتشويش على عقائد السطحيين من المثقفين ، بغية جرهم الى هاوية الكفر والالحاد .

وقد تضمن جميع محاضر هذه الجلسات كتاب كبير سنصدره قريبا ان شاء الله تحت عنوان (أفي الله شك ؟) الا أننا رأينا (مع هذا) أن نفرد البحث الخاص (بنظرية داروين) في هذه الرسالة التي أسميناها (الاسلام ونظرية داروين) (1) .

---

(1) بالرغم من أننا أفردنا هذا البحث الخاص بنظرية (داروين) في هذا الكتاب الا أن هذا البحث سيبقى (كما هو) جزءا من كتابنا (أفي الله شك ؟؟)

ترجمة داروين

هو ، (تشارلز روبرت داروين) العالم البريطاني الطبيعي الشهير ، ولد (داروين) في ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ نيسان ١٨٨٢ م ، كانت امه ابنة صانع خزف اسمه (ودجود) ادخله والده في كلية يسوع بجامعة كيمبريدج لينخرط في سلك اللاهوت ، وبعد ان اكمل دراسته في تلك الكلية ، قام – سنة ١٨٣١ م – برحلته الشهيرة حول العالم التي استغرقت –

وهذا هو البحث المستقل الذي جاء (ضمن المناقشة) بعد اكثر من ثلاثين جلسة .

ففي الجلسة الثانية والثلاثين ــ وبعد أن أثبتنا للأخ المستفسر أن القول بدوران الارض حول الشمس ليس فيه ما يتصادم مع أصول الاسلام أو يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى ــ قلت للشيوعي الملحد :

ان للنقاش بيننا وبينكم بقية ، فهو لم ينته بعد .

فهناك أمور على جانب كبير من الأهمية وشَبَه لم نتطرق الى بحثها ومناقشتها ، هي من أكبر الأدوات التي يشغب بها الملحدون على المؤمنين .

ولعل أهمها نظرية التطور والارتقاء ومذهب العشوائية ، والتولد الذاتي والمصادفة . (٢)

= خمس سنوات ، وقد كانت هذه الرحلة ضمن البعثة العلمية البريطانية التي أوفدت على ظهر السفينة « بيغل » وقد اطلع داروين في هذه الرحلة الطويلة على الكثير من أسرار عالم الحيوان والنبات ، ولم يكن قبل رحلته تلك قد شاع عنه القول بالتطور والارتقاء ، بل لقد كان يعرف ان « لامارك الفرنسي » يقول بهذا القول ، ولكنه كان حتى قبل قيامه برحلته على ظهر « البيغل » يرى ان ما يقوله « لامارك » حول التطور والارتقاء ، ضرب من الهوس ، ولكن ملاحظاته على ما شاهده في بحوثه على الحيوانات والنباتات جعلت منه قطبا لنظرية التطور والارتقاء التي سميت فيما بعد باسمه ، فقد كانت ملاحظاته في تلك الرحلة اساسا لمؤلفاته الشهيرة التي أقعد بها العالم وأقامه ، وأيد بها القول بنظرية التطور والارتقاء، وقد كان أهم كتبه في هذا الباب هو « أصل الانواع عن طريق الاصطفاء النوعي » اذ انه سند نظريته الشهيرة ، وقد وقف داروين حياته كلها للبحث في التطور والارتقاء وتدعيم النظرية القائلة به ، وقد أحدثت كتبه حيال هذا الامر هزة عنيفة في العالم ، وخاصة بين رجال الكنيسة ، فتعرض من أجل ذلك لحملات عنيفة شعواء ، فانشغل العالم الغربي كله بهذه النظرية ، واحتدم الجدل بين معارضيها ومناصريها بشكل لم يسبق ان حدث من أجل نظرية من النظريات ، قال العالم الشهير « باسكال » مرة « ان وجه العالم كله قد تغير من جراء شكل أنف كيلوباترا » ، وبعد الفي سنة تقريبا تغير وجه التاريخ مرة أخرى من جراء شكل أنف آخر هو أنف داروين .. لم يقل داروين (كما اشيع عنه) ان أصل الانسان قرد ، وانما قال .. ان الانسان والمجموعة الشبيهة به كالشمبانزي منحدران من أصل واحد ، وذلك في كتاب أصدره بعنوان (تحدر الانسان) عام ١٨٧١ م. تزوج داروين عام ١٨٣٩ م ، كان داروين من سكان لندن الا أنه عام ١٨٤٢ م انتقل منها الى (داون) وبقي بها مقيما حتى توفي ، نال داروين وسام الاستحقاق البروسي سنة ١٨٧١ م وفي عام ١٨٧٨ صار عضوا في الاكاديمية الفرنسية ، وقد عمل داروين سكرتيرا للجمعية الجيولوجية من سنة ١٨٣٨ الى سنة ١٨٤١ .

(٢) مزاعم الملحدين ومشاغباتهم عن طريق القول بالتولد الذاتي ، قد ناقشناها في هذا الكتاب (ضمن مناقشتنا لنظرية التطور والارتقاء) لعلاقتها الوثيقة بهذه النظرية ، والقائل بها ليس (داروين) وانما هو (لامارك) و (ارنست هيكل) أما دعوى الملحدين وتشبثهم بالعشوائية والمصادفة كأهم ركنين من أركان مذهبهم ، فقد نقضناها (من جميع وجوهها) في كتابنا (أفي الله شك ؟؟) الذي سيكون التالي لهذا الكتاب ان شاء الله ..

فقال .. انني على استعداد تام لمناقشة أي من هذه الموضوعات وعلى أي مستوى تريد ، وثق انني مستعد للنقاش حتى يأتي قفل باب المناقشة من جانبك أنت.

فقلت له .. عظيم جدا .

ثم التفت الى مجموعة الشباب المسلم الذين حرصوا على حضور كامل جلسات المناقشة ، وقلت لهم :

. هل من ملاحظة او سؤال يمكننا التشرف بالاجابة عليه ؟

فقال أحدهم ، وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره :

لقد تكرر منك القول مراراً فيما مضى من جلسات بانك ستناقش الشيوعي الملحد حول نظرية التطور والارتقاء التي هي (كما تشير دائما) احدى الدعائم التي يتمحك بها الماديون لنصر مذهبهم الالحادي .

فهل لك أن تشرح لنا (باسهاب) حقيقة هذه النظرية ، وما هو مبلغها من الصحة ، ومن هم أبطالها وبالتالي (وهو الأهم) ما هو موقف الاسلام من القائلين بهذه النظرية ؟؟.

ثم اردف قائلا .. ان الخوض في نظرية التطور والارتقاء طالما كان مبعث جدل وخصام بين الشباب المثقف بل طالما جر الكثير منهم ووقف به على شفير الالحاد ، وحيث ان الخوض في هذه النظرية اصبح أمراً لا مفر منه بسبب كثرة ما ألف ونشر وشاع عن هذه النظرية بين طبقات المثقفين ، فانا نود معرفة القول الفصل في هذه النظرية من جميع النواحي .

ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له ... ان نظرية التطور والارتقاء خلاصتها ، أن أنصارها يزعمون أن الحياة الاولى للانسان والحيوان والنبات بدات على ظهر هذه الارض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت الى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الانسان .

وعلى هذا فان الانسان عندهم بدات حياته على ظهر الارض بجرثومة صغيرة تحولت الى حيوان صغير ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى الى حياة حيوانية بدائية فالى حيوانات اكبر فاكبر ريشية ومجنحة ثم تحولت الى ذوات فقرات ثم ارتقت الى حيوان اشبه بالانسان ، ثم كانت نهاية هذا التطور انساناً أول ، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ثم انساناً كاملا وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وادراكه .

ويقولون ان هذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير بين هذه الكائنات وبين عوامل الطبيعة وتقلباتها وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض ، عبر آلاف القرون من اجل البقاء .

كيف بدأت الحياة عند داروين ؟

فهم يقولون (مثلا) ان الحياة الاولى عندما وُجدت حول المستنقعات كان عليها أن تصارع من أجل البقاء وأن أول عمل وقائي لتحصُّن الحياة ضد الفناء هو أن تغلفت هذه الحياة بصدف كلسي يقيها من الحرارة (٣) .

ويقول لامارك (مؤسس نظرية التطور والارتقاء) : ان أول درجات سُلّم الكائنات الحية والذي هو بداية البداية التي نشأت منها صور الحياة الاخرى (بمختلف أنواعها) هو (البوليب) .

والبوليب هذا وصفه (لامارك) (٤) بقوله .. انه ليس له أعضاء خاصة

---

(٣) جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للامام البلخي وهو من علماء القرن الثالث الهجري .. أن الحيوان (كل الحيوان) قد تولد من الرطوبة وأنه كان يغشاه قشر مثل قشر السمك ، ثم قال (وآدم حيوان) فعند بعضهم أن آدم تولد من رطوبة الارض كما يتولد سائر الهوام ، وعند بعضهم أنه ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب واتصل على مرور الزمان وصار انسانا ، وهذا يعني ان نظرية التطور والارتقاء كانت معروفة بين فئات المفكرين المسلمين قبل أن يولد داروين بمئات السنين .

(٤) هو عالم فرنسي اسمه (جان بابتست لامارك) ولد (لامارك) سنة ١٧٤٨ م ، كان ابن أحد النبلاء في فرنسا ، وكان في أول شبابه يدرس علم اللاهوت ، ثم بعد موت أبيه التحق بالجيش الفرنسي الذي عمل فيه جنديا فخاض المعارك ضد الالمان في حرب السنوات السبع ، وقد ترقى لامارك الى رتبة ملازم ، بعد نجاحه في انقاذ بقايا فرقة فرنسية أباد الالمان جميع ضباطها وكثيرا من جنودها ، ثم سرح (لامارك) من الجيش على اثر الم أصابه في الغدد اللمفاوية برقبته ، فبدأ (بعد ذلك) بدراسة الطب ، الا انه ترك دراسة هذا الفن بعد أن التقى بالفيلسوف الشهير (جان جاك روسو) الذي كان يقوم بالتدريس في علم النباتات ، وواصل (لامارك) دراسة علم النبات ثم تتلمذ على عالم النباتات الشهير (برنارده جوسيه) كما انه أيضا درس علم الفلك ، وقد توسعت معارفه فبرع في الطبيعيات ، حتى ان اول كتاب الفه هو (علل أهم الوقائع الطبيعية) وذلك عام ١٧٧٦ وفي عام ١٧٧٨ أصدر كتابا في ثلاثة مجلدات اسمه (النبات الفرنسي) ، واثناء درسه في الطبيعة برع في هذا الفن ، حتى عين سنة ١٧٩٤ أستاذا لعلم الحيوانات اللافقرية ، وبهذا بدأت فلسفته العلمية فاتجه الى القول بنظرية التطور والارتقاء وأعلن ذلك عام ١٨٠٠ م وفي عام ١٨٠٩ م أصدر كتابه (فلسفة الحيوان) الذي شرح فيه مذهبه في التطور والارتقاء ، ومذهب (لامارك) في التطور والارتقاء لا يختلف من حيث القواعد مع نظرية داروين ، الا أن لامارك يعتبر زعيم الجناح الالحادي في هذه النظرية ، حيث زعم أن الحياة الاولى تولدت من المادة تولدا ذاتيا ودونما تدبير من مدبر أو ارادة من مريد ، وقد نقضنا هذه المزاعم الباطلة عند مناقشتنا لآراء الفيلسوف (لامارك) فيما ترى من هذا الكتاب . مات (لامارك) عام ١٨٢٩ م .

للحس أو التنفس أو الدوران او التكاثر وانه لا شيء فيه الا قناة بسيطة منفردة للاغتذاء ، وانه يستطيع ان يمتص غذاءه من خلال اي جزء من اجزاء جسمه ، وان انواع البوليب هذا لضآلة جسمها تكاد تكون غير ذات شكل معين كانها كريات من الهلام والجلاتين .

كيف تتحول الانواع الى غيرها ؟

وهكذا فاقطاب نظرية التطور والارتقاء يرون ان ابسط الكائنات الحية (البوليب أو ما شابهه) قد نشأ عنه كل ما عداه من الأحياء ومنها الانسان وذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات تحوّلت اثناءها انواع من هذه الأحياء الى انواع أخرى ارفع منها ، تخالفها في الشكل والطبيعة واللون .

وعلى هذا فانهم يرون ان حيوانات كانت تمشي على بطنها قد تحولت الى حيوانات ذوات اربع وان ريشيات ومجنحات قد تطورت الى غيرها من ذوات الفقرات ، وهم بهذا يصلون الى القول بأن الانسان ما هو (في الأصل) الا حيوان بسيط تحول من نوع الى آخر وارتقى من الادنى الى الاعلى حتى وصل الى ما هو عليه من كمال ، ومثل هذا يقولونه في النباتات من حيث تطورها وارتقائها وانتقالها من نوع الى آخر .

وهم يصرّحون بأن هذه التغيرات والتطورات التي بها يتغير الحيوان وينتقل من نوع الى آخر تجيء دائماً تبعاً لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة

فهم يقولون ان هذا التطور والتغير قد حدثا لان الحيوان قد تغيّر بمرور الزمن كي يلائم بين نفسه وبيئته وان السلوك وطريقة الحياة التي كان يعيش فيها اسلافههي التي شكلت على مر الزمن صورته الجسدية واعضاءه وخصائصه ، وان لاستخدام الاعضاء او اهمالها اثراً في بقاء النوع على ما هو عليه أو تغيّره الى سواه ، فأعضاء الحيوان اذا أهملت مثلا ، لعدم الحاجة الى استعمالها لتغير الظروف فان هذه الاعضاء تضمر وتذوى ، وهنا يأتي دور ظهور أعضاء جديدة (ظهورها ضروري لبقاء النوع) يستطيع بها الحيوان العيش في البيئة الجديدة ، ومن هنا يبدأ تغيّر النوع وتحوله من نوعه الى نوع آخر وبمثل هذه الطريقة تتحول الانواع وتتطور وتترقى .

فالبوليب (مثلا) يتغير بتأثير بيئته على مرّ آماد متطاولة من الزمن حتى يصبح واحداً من المتشعمات وهذه تتحول الى ديدان ، وتلك تصبح بدورها على مر الزمن حشرات ، وهكذا تذهب الأحياء صاعدة فوق درجات السلم حتى تترقى الى قمته حيث تتربع الثدييات (*) والتي على راسها الانسان .

(*) رجال ومجاهر ص ٨٦ للسيدة كاترين ب. شيبن ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد .

هذه هي خلاصة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون ، والتي يطلـق عليها اليوم اسم (نظرية داروين) .

اول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء

اما قطبا هذه النظرية فهما :

١ ـ لامارك وهو مؤسسها .

٢ ـ داروين وهو مطوّرها وحامل لوائها وباذل عمره في سبيـل تعضيدها ونشرها .

الا أن القائلين بنظرية التطور والارتقاء مع اتفاقهم على أصول هـذه النظرية ، فانهم يختلفون من حيث النتاج الفلسفي للنظرية ازاء العقيدة الدينيـة .

ففريق منهم قد جعل من هذه النظرية منطلقاً للدعوة الى الالحاد وجعلها سندا له في انكار العقيدة الدينية واتخذ منها فلسفة لنفي الخالق سبحانه وتعالى واعطى المادة صفة القادر على كل شيء ، وعلى راس هذا الفريق الفيلسوف الفرنسي (لامارك) والعالم الالماني (ارنست هيكل) (٥)والبروفسور

---

(٥) هو أحد كبار فلاسفة الطبيعة الالمان واسمه (ارنست هنريخ هيكل) ولد عام ١٨٣٤ وتوفي عام ١٩١٩ ، درس علم الطب ونال فيه درجة الدكتوراه ، ولكنه هجر مهنة الطب ورجع الى دراسة الطبيعيات فبرع فيها حتى صار يعد من الرعيل الاول في علم الطبيعة بين فلاسفة المانيا ، وكان كثير التحصيل في الدراسة .. تلقى مختلف العلوم في برلين وووزبرغ وفيينا .. وكان قد سمع (بداروين) وآرائه في التطور والارتقاء فكان يتعصب له ويناضل عن نظريته في كل مكان ، وكان على نقيض (داروين) عنيدا مجاهـرا بالكفر والالحاد ، فقد كـان يعلـن (في وقاحة وتبجح) أنه ليس ثمة من اله ، ولقد راح (في عنـاد) ينشر في النـاس أفكاره الفلسفية التي تدعو الى تأليه الطبيعة وانكار وجود الله تعالى ، وكان (هيكل) يقول بالتولد الذاتي (كما يقول لامارك) الا أن هيكل جعل من نفسه داعية للالحاد في أوروبا ، وكان يقول صراحة (بوحدة الوجود) وهي نظرية الحادية فحواها أن الكون لم يخلق على يد اله بائن عن الكون ، وانما جاء خلق هذا الكون نتيجة طريقة عظمى للنشوء الطبيعي والحركة الدائبـة الابدية الملازمة للمادة منذ الازل ، وقد نسفنا هذه المزاعم السخيفة في كتابنا هذا عند مناقشة آراء هذا الفيلسوف العنيد .. وقد سرى في أوروبا نبأ الحاد (هيكل) فكرهه المؤمنون بالله وحاربوه ، حتى انه مرة وقف في حشد حافل من علماء الطبيعة يلقي محاضرة عـن نظريـة (داروين) ولكنه لم يكد يبدأ هذه المحاضرة حتى أخذ العلماء في مغادرة القاعة وتركوه وحده يحاضر بقاعة ليس فيها غير المقاعد الخشبية ، وعندما حضر (هيكل) الى روما ليشهد مؤتمر أحرار الفكر أمر البابا باقامة الصلوات في الكنائس لطرد روح (هيكل الشريرة) بزعمهم ، وقد منعت جميع كتبه من التدريس وهي (أحجية الكون .. تاريخ الخليقة .. عجائب الحياة .. الحلقة الاخيرة ، ونشوء الانسان) ولم يسلم من المنع الا كتابه (علم التركيب العضوي.. والرسم البياني للشعاعيات .. والحياة في البحار) ، وقد التقى (هيكل) (بداروين) في انكلترا عام ١٨٦٦ م فكان (هيكل) يقول ان ذلك اليوم من أعظم ساعات حياته .

الشيوعي (اوبارين) وغيرهم من ماديين وشيوعيين .

وفريق لم يستند الى هذه النظرية في انكار العقيدة الدينية ولم يجعل منها قاعدة للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ولم يزعم أنه (بها) يفسر سر الحياة او سر الكون ، وانما كان همه الوحيد البحث عن اصل الأنواع الحية وتكوين فكرة عن اصل نشأتها وصلة بعضها ببعض ، ومعرفة الأحوال والمؤثرات والتقلبات التي تعرضت لها عبر آلاف القرون ، وعلى رأس هذا الفريق العالم الشهير (تشارلز داروين) حامل لواء نظرية التطور والارتقاء .

ثم قلت له .. ولأن الفريقين لا يختلفان في النظرية الا من حيث النتاج الفلسفي لها ازاء العقيدة الدينية من حيث استخدامها او عدم استخدامها للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق ، فان مناقشتنا للفريقين بشأن جوهر هذه النظرية (من ناحية ثبوتها او عدم ثبوتها) ستكون مناقشة واحدة لاتفاقهما في الأصل .

بين داروين ولامارك

فقال .. وهل هناك اختلاف جذري بين الفريقين في جوهر نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له : كلا !. ليس هناك اي اختلاف جذري ، فهما متفقان على اصول هذه النظرية اتفاقاً كلياً ، الا أن الفيلسوف (لامارك الذي سبق داروين الى القول بهذه النظرية بأكثر من خمسين سنة) لم يضع لهذه النظرية تفسيراً علمياً حيث كان يُرجع وقائع التطور والتحول والارتقاء الى المصادفة والزمن . كما ان مذهب التطور والارتقاء الذي أعلنه لامارك ظل ضعيفاً أمام مذهب الخلق المستقل ، الى أن جاء (داروين) فوضع لمذهب التطور والارتقاء تفسيراً علمياً (كما سنوضحه فيما بعد) ثم دفع بهذا المذهب الى الأمام بقوة وذلك عندما اصدر كتابه الشهير (أصل الانواع) وكتابه (تسلسل الانسان) اللذين قابلهما الناس بعاصفة من النقاش والجدل مما اعطى مذهب التطور والارتقاء اهمية ما كانت له في عصر الفيلسوف لامارك

وفي غمرة النقاش والجدل الذي دار حامياً حول داروين وما سجله من بحوث وآراء واستنتجات بشأن نظرية التطور والارتقاء نسي الناس (أو كادوا) الفيلسوف (لامارك) واضع اسس هذه النظرية ، وغلب اسم (داروين) على نظرية التطور والارتقاء حتى صار اسمها مقرونا باسمه حيث عبَّر عنها الناس فيما بعد باسم (نظرية داروين) .

غير أننا قبل التعرض لمناقشة جوهر النظرية على صعيد العلم والواقع لا بد لنا من أن نناقش فيها الجانب الالحادي الذي حمل لواءه (باسمها) ارنست هيكل واوبارين وقبلهما لامارك وغيرهم من ماديين وماركسيين استغلّوا اهتمام الناس الشديد (علميا) بهذه النظرية واقبالهم على الاعتناء بها ودراستها ، فصاروا يتخذون منها شرَكاً يصطادون بوساطته صغار العقول من البسطاء الذين قلّ حظهم من الثقافة الدينية فيرمونهم في هاوية الالحاد ، وذلك عن طريق تفسيرهم لهذه النظرية تفسيرا يدخلون بوساطته (وباسم العلم) في رُوع هؤلاء البسطاء المجردين من الحصانة الروحية والدينية ان واقع الوجود وطبيعة الكائنات الحية وتطورها وتحوّل بعضها عن بعض واشتقاق بعضها من البعض الآخر (كما هي قواعد نظرية التطور والارتقاء) من انتخاب طبَعي واصطفاء نوعي ، يجعل من غير الضروري الاعتقاد بوجود خالق يتولى ادارة هذا الكون وتنظيمه ، لأن المادة (كما يزعمون)بطبيعتها وخصائصها اللازمة لها تقوم مقام هذا الخالق في ذلك(٦).

فالجناح الالحادي من انصار هذه النظرية يزعم أن الحياة الاولى جاءت نتيجة تفاعل طبَعي بين اجزاء من المادة .. هذه المادة التي يزعمون انها كانت ولم تزل قادرة (بطبعها) على اعطاء الحياة ، ولهذا فهم ينكرون ان تكون الحياة من صنع قوة فوق الطبيعة .

فهذا الجناح الالحادي (عند ما يتحدث عن مراحل التطور والارتقاء) يُخرج من حسابه قوة ما فوق الطبيعة (وهي القوة الالهية) لأن حالة المادة (بزعمهم) لا تحتاج الى هذه القوة ، فالطبيعة اللازمة للمادة) بحركتها الدائبة) هي التي تخلق وتبدع وتنوّع وتطوّر وتصطفي وتبيد .

ما هي الطبيعة عند الملاحدة ؟

فقال : وما هو تفسير الطبيعة عند هؤلاء الملحدين ؟ وماذا يعنون بها على وجه التحديد ؟

فقلت له : فسّر (لامارك) الطبيعة بأنها القوة العامة الملازمة للمادة المنزهة عن الفساد التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين غير انها مجرّدة عن العقل ومحكومة بقوانين ، هكذا يقول لامارك .

---

(٦) قد فندنا هذه المزاعم الباطلة في كتابنا القادم (أفي الله شك ؟؟) وذلك على نطاق اوسع حيث ابتنا بالحجج العقلية الدامغة والبراهين العلمية القاطعة فساد مزاعم هؤلاء الملحدين التي يرفضها العقل ويكذبها الواقع .

ووصف الفيلسوف (ليتريه) الطبيعة في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) بقوله :

يظهر لنا أن الأسباب التي أوجدت الكون هي ذاتية فيه غير متميزة وهي التي نسميها نحن بالنواميس الطَبَعيَّة . فلامارك ، ومن على مذهبه من الماديين يزعمون ان ظهور الاحياء الى الوجود قد تم بفعل الطبيعة (مباشرة) وأن تنوّع الاحياء انما حدث بقوة الطبيعة الملازمة للمادة وعلى طريقة النشوء والتحول والارتقاء .

كيف تتولد الحياة عند لامارك

وإذا كان العلامة (داروين) قد أعلن عجزه عن معرّفة سر الحياة وكيف وممّ تكوّنت ، فان (لامارك) يزعم انه قد عرف كل ذلك عن الحياة .

فهو يزعم أن الحياة قد تكونت من المادة مباشرة بفعل الطبيعة وعلى سبيل المصادفة ، وذلك بعد عملية مزج مواد مخصوصة بعضها ببعض. يقول :

ان الطبيعة تولد بعض الكائنات توليداً مباشرا ، فتعمد الى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه الغراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الأحوال الموافقة بالسوائل المناسبة و (تحييها) بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها طبيعتها التهييج تأتيها (على الاستمرار) من البيئات المحيطة ..

ويقول عن قوة الحياة .. انها ليست بقوة خاصة وانما هي نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وقتي فيها ، وان الانواع الحية لم تتكون الا شيئا فشيئا ، ووجودها نسبي وبقاؤها محدود ، والطبيعة في تكوينها الحيوانات بدأت من الادنى فما فوقه حتى انتهت الى الاعلى . ولا فرق (عند لامارك) في ذلك بين النباتات والحيوانات الا في الحس ، والحياة عند (لامارك) عرض طبعي وليست بأصل مستقل (٧) .

نقض مزاعم الملحدين بشأن قدرة الطبيعة

وبعد ان انتهيت من هذا الحديث قلت للشيوعي الملحد :

أوليس هذا ما يقوله الفيلسوف (لامارك) بشأن الحياة والاحياء والمادة ؟

---

(٧) الآيات البينات ، ص ٦٨ للسلطان صالح بن غالب القعيطي .

فقال : بلى ! ان هذا هو جوهر مذهب العلامة (لامارك) وقد تابعه عليه العلامة (ارنست هيكل) وغيره من الفلاسفة والعلماء التقدميين .

فقلت له : ولكن الفيلسوف (لامارك) بعد أن اعطى طبيعة المادة صفة القدرة على الخلق والتطوير والابداع والتنزه عن النقص ، قال : ان هذه الطبيعة مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين ثابتة قاهرة تخضع لها أبد الآبدين .

فقال : نعم ! وهذا هو الواقع ، لاننا لو سلمنا بأن الطبيعة تتصرف بعقل وقصد وادراك لكان ذلك منا اعترافا بفكرة وجود الاله الخالق ، وهذا ما ننفيه بشدة .

تناقض الملحدين بشان الطبيعة

فقلت له : ولكنكم معشر الماديين تقعون بقولكم هذا في احط انواع الخلط والتناقض . . .

فقال : وكيف ؟

فقلت له : الستم تزعمون أن كل كائن حي (ومن ذلك الانسان) انما صنعته المادة بطبيعتها الازلية الخلاقة ، وأن هذه المخلوقات كلها قد تكوّنت بواسطةحركة المادة القهرية الملازمة لها من الازل ، وأن كل ذلك قد تمّ وصدر عن المادة دون أن يكون للمادة وطبيعتها اي قصد او علم أو ارادة ، لان المادة ، بحركتها مجردة عن العقل والشعور ومحكومة بقوانين ؟؟.

فقال . . بلى وكل عباقرة العلم المحققين يقولون بهذا .

لا يكون الخالق احط من المخلوق

فقلت له . . كيف يمكن لعاقل يحترم نفسه أن يسلّم بأن السافل الناقص العاجز الاخرس الابكم المجرد عن العقل والشعور والادراك ، (وهذه منزلة المادة والطبيعة) يستطيع ان يخلق الاعلى القادر العاقل المتكلم الناطق المفكر (وهذه صفات الانسان) ثم يرعاه ويسيّره بل ويطوّره وينميه ؟؟؟.

فهل يصح في قضية العقل ، ان يكون الخالق المبدع المتصرف احط من المخلوق ، والصانع المبدع ادنى من المصنوع ؟؟؟.

هذا ما يقوله الفيلسوف لامارك ، ويريد منا أن نؤمن به ، حيث يزعم ان المادة الخرساء الجامدة الميتة (في ظل الطبيعة العمياء البكماء الميتة) قد

صنعت كل كائن حي وأشرفت على تطويره وترقيته ومن ذلك الانسان العاقل المدرك المفكر .

فهل تريدون (معشر الملحدين) تناقضا أشنع من هذا ؟؟.

ان شيخ الملحدين (لامارك) يتابعه في ذلك داعية الالحاد في المانيا ، ويسانده العالم السوفياتي أوبارين (٨) ، كل هؤلاء وأمثالهم من دعاة الكفر والالحاد ، في الوقت الذي يزعمون فيه .. أن الطبيعة المنزهة عن الفساد قد تولت خلق كل كائن حي ، وانها القوة القاهرة العامة التي لا تعلوها قوة ، يعترفون (في الوقت نفسه) ـ كما قال عمدتهم .. لامارك .. بأن هذه الطبيعة خاضعة لغيرها ومحكومة بقوانين تتحكم فيها لا تستطيع الخروج عن توجيهها .

وهكذا يدفع الحرص على انكار الاله الخالق، بهؤلاء الماديين الى الوقوع في أشنع أنواع التناقض المفضوح .. فبينما نرى الفيلسوف (لامارك) يرفع المادة والطبيعة الى أرقى درجات الكمال فيعطيها صفة القادر على كل شيء المنزه عن كل نقص حينما يقول :

انها القوة العامة المنزهة عن الفساد والقادرة على الرعاية الابدية والخلق والابداع .. اذا به يجردها من هذه الصفات ، فيضعها في مكانها ، ويهوي بها الى منزلتها ، منزلة العاجز المربوب بين المخلوقات ، المحكوم بغيره والمحتاج الى سواه ، حيث يقول :

انها (اي المادة) بطبيعتها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين .

ان لامارك هنا اراد بهذه الفلسفة انكار وجود الاله الخالق ، ولكنه (في هذه الفلسفة) قد اعترف من حيث لا يعلم (مرغما) بوجود الله تعالى .

---

(٨) أوبارين عالم سوفياتي طبيعي كبير ، يردد اليوم نفس المزاعم التي كان يرددها [فلا]سفة الالحاد (امثال هيكل ، ولامارك) فهو يزعم (كما يزعم ارنست هيكل) ان المادة [بطبيعتها]) دائمة التحرك والتحول والتدرج ، وأنه بامكان الانسان صنع كائن حي عن طريق [مز]ج عناصر مخصوصة وعلى أوزان مخصوصة ، تتفاعل بذاتها تفاعلا كيماويا وبيولوجيا كما حدث (بزعمه) عند ظهور الحياة الاولى منذ ملايين السنين ، ولكن العالم الشيوعي (اوبارين) قد ارتج عليه عندما سأله البعض هل هذا التفاعل الكيمي الطبعي في المادة قادر الآن على ايجاد الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الاولى بها ؟؟ فقد تلعثم ، ولعلمه بأن هذا القول خرافة في خرافة ومن المستحيل (على أي انسان تحقيقه) فقد قال .. ان هذا لا يزال ممكنا ، ولكي لا يطالب بالتدليل (عمليا) على صحة زعمه ، قال : ولكن هذا ممكن في كواكب أخرى غير كوكبنا (يعني الارض) وهكذا يتملص الملحدون ، عندما يدعون الى البرهنة على صحة مزاعمهم الالحادية عمليا .

فقال .. وكيف ؟

فقلت له .. انه بفلسفته هذه ، لم يستطع ان يقنع الناس بعدم وجود الله ، بل اثبت للعقلاء وجود الله سبحانه وتعالى من حيث اراد أن ينفيه ويجحده .

فهو يقول ان المادة (التي نسب اليها القدرة على الخلق والابداع) مسيَّرة لا مخيَّرة ، ومحكومة لا حاكمة ، وذلك عندما صرح (كما تقدم) أن المادة محكومة بقوانين لا يمكنها الخروج عليها ..

وهذا (بالتأكيد) اعتراف بأن هناك سلطة اقوى من طبيعة المادة واعلى، سلطة قادرة حكيمة مدبرة .. هي التي وضعت هذه القوانين التي اعترف لامارك بأنها تتحكم في المادة وتسيِّرها ، اذ يستحيل أن توضع انظمة وقوانين دون أن يضعها مقنِّن ومنظِّم .

وهذه قضية بدهية ، لا يعارض في الاعتراف بها عاقل يحترم نفسه .

اذن ، فلم يبق (أمام لامارك ومن على مذهبه) الا أن يعترفوا أن الله تعالى وحده هو الذي وضع هذه الانظمة والقوانين التي تخضع لها المادة وتسير بموجبها .

لانه كما قلنا .. يستحيل أن توضع قوانين وأنظمة دون أن تضعها ذات عالمة حكيمة ومدبرة .

والا فهل يستطيع الماديون (وقد اعترفوا بأن هناك قوانين وانظمة وضعت للتحكم في المادة والتصرف فيها) هل يستطيعون (اذا ما أصروا على انكار وجود الله) أن يخبرونا بالتحديد من هو الذي وضع هذه القوانين التي ذكروا ، ومن هو الذي أخضع المادة لهذه القوانين وجعلها محكومة لها ؟؟

ان اللاماركيين وغيرهم من الماديين الملاحدة ، سيظلون عاجزين أبدا عن الاجابة على هذا السؤال ــ اجابة صحيحة ــ اذا ما ظلوا مصرين على انكار وجود الله سبحانه وتعالى .

ثم قلت للشيوعي ، فما هو رايك، وهل لديك اجابة علىهذا السؤال؟؟

فقال .. نعم .. ان هذه القوانين هي من صنع الطبيعة نفسها ، فهي التي (بمرور الزمن وعلى سبيل المصادفة لا القصد) أوجدتها فصار كل ما في الكون (من حيوان وجماد وشجر) خاضعا لحكمها ..

فقلت له .. ان اجابتك هذه ، لا تعدو أن تكون تكرارا ممجوجا لما قاله

الفيلسوف (لامارك) وهي اجابة غير مقبولة لانها لا تعني شيئا .

هل يهب الحياة فاقدها ؟

لانه (كما قلنا) يستحيل (عقلاً) ان يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون ، وأن يهب الحياة ويضع نظامها من ليس بحي في نفسه ، كما أنه من الصفاقة والوقاحة بمكان ، القول بأن المحروم من العقل والادراك هو الذي يمنح العقل ويهب الادراك ، وأن الذي لا يشعر بوجود نفسه يضع لغيره قانون الشعور .. فالطبيعة (التي تعزون اليها وضع نواميس الكون بما فيه من انسان وحيوان وجماد وشجر) هي (كما قال لامارك ويقول كل الملحدين حتى هذه اللحظة) مجردة عن العقل والحياة والشعور والادراك .

فبأي منطق يمكن للانسان العاقل ان يصدقكم حينما تزعمون ان الطبيعة التي هذا شأنها هي التي أوجدت لكل كائن حي في هذا الكون نظام حياته وقوانين شعوره وادراكه ؟!.

حقا ، ان هذا لهو الهوس الذي لا هوس بعده والتناقض الذي دونه كل تناقض .

ارنست هيكل والتولد الذاتي

ثم قلت للشيوعي الملحد :

قبل التحدث الى الاخوة الحاضرين عن نظرية التطور والارتقاء ، وقبل مناقشة هذه النظرية من الناحية العلمية ، احب ان تشرح لنا وللاخوة الحاضرين خلاصة مذهب عمدة الالحاد في المانيا (ارنست هيكل) ، ليستمع اليها هؤلاء الشباب ، ولنناقشها بحضورهم كما اوعدناهم بذلك .

فقال ... ان خلاصة مذهب أرنست هيكل ــ وهو مذهب الماديين جميعا ــ هي :

أن الكون كله وحدة متماسكة ، لا خالق ولا مخلوق، (٩) وانما كل ما في الكون قد جاء نتيجة طريقة عظمى للنشوء ضمن نطاق سلسلة من التحولات متصل بعضها ببعض، وأثناء ترابط هذه السلسلة تؤلف النباتات والحيوانات شجرة سلالة واحدة من الخلية الاصلية (١٠) .

وتفصيل ذلك ان الكون مؤلف من المادة ، والمادة مؤلفة من الذرات ،

---

(٩) وهذه هي نظرية وحدة الوجود القائلة ان الله هو الكون والكون هو الله .
(١٠) انظر كتاب ــ عباقرة العلم في الغرب ــ ص ٣٠٤

ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من أحياء وغير احياء ، وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدىء من أبسط الذرات وينتهي الى ارقى الكائنات .

وهذه الكائنات كلها ــ حيها وجمادها ــ تتألف من عناصر واحدة لا فرق في ذلك بين حي وغير حي ، لان عناصر المواد العضوية موجودة في المواد غير العضوية، وان بالامكان تحضير بعض مركبات عضويةبطريقة صناعية (١١)، وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد الانسان كائنا حيا دونما احتياج الى اله ينفرد بالخلق والتكوين .

هذه هي خلاصة نظرية العلامة ارنست هيكل بشأن الخلق والتكوين .

نقض نظرية التولد الذاتي

فقلت له . . ان ارنست هيكل ، يعني بقوله هذا ، أن أصل الحياة نشأ أول ما نشأ ، من المادة وبطريق التولد الذاتي مصادفة ، وتحت اشراف الطبيعة العمياء ، ودون أن يكون ذلك بقصد وتدبير من سلطة عليا لها صفة العلم والارادة ، فقال : اجل .

فقلت له . . ولكن كيف تم هذا التولد الذاتي للحياة من الجماد ، وكيف استطاع هذا الجماد الذي هو أحط الكائنات عجزا ، ان يخلق (في ظل الطبيعة الخرساء الميتة) انسانا او حيوانا يتمتع بما لم يتمتع به الجماد والطبيعة من حياة وشعور وادراك ؟؟

فقال . . ان هناك توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية يمكنه (اذا ما تم في أي وقت من الاوقات) أن يوجد كائنا حيا .

وبعبارة أوضح ، يقول العلامة (ارنست هيكل) ان اجتماع عناصر مخصوصة من المادة ، وحسب أوزان مخصوصة كفيل بأن يخلق انسانا ، سواء تم هذا الاجتماع والتوازن مصادفة أو بقصد سابق ، وبمثل هذه الكيفية تم (مصادفة) ظهور الحياة الاولى على وجه الارض، ومن هذه الخلية الاولى للحياة استمد (في ظل نواميس التطور والارتقاء) كل كائن حي حياته حتى وصل الى ما وصل عليه الآن ، وستبقى كل فصيلة من الاحياء تمنح نوعها الحياة بالاتصال والتوالد في ظل الطبيعة التي لازمت كل كائن واشرفت على تطويره منذ ظهرت الحياة لاول مرة على ظهر هذا الكوكب .

تخبط الملحدين في دعواهم التولد الذاتي

فقلت له . . هنا سؤال أمام هذا الهذيان العجيب الذي تسمونه فلسفة وعلما ، وهو :

---

(١١) انظر كتاب (قصة الايمان) لفضيلة الشيخ نديم الجسر ص ١٨٨ ط ــ ١

كيف عرف الفيلسوف هيكل ان الحياة الاولى نشأت على تلك الصورة التي ذكر ، وكيف عرف أن النشأة الاولى للحياة قد جاءت بطريق التولد الذاتي الاوتوماتيكي ، وهو يعترف بأن وجود الحياة على وجه هذه الارض قد مرّ عليه ملايين السنين ؟؟.

فهل كان (ارنست هيكل) حاضرا عندما تم توليد الحياة الاولى من المادة اوتوماتيكيا ، وهل شاهد بنفسه كيف تم (داخل الصيدلية الطبيعية للتولد الذاتي) الجمع والموازنة بين المواد غير العضوية التي بمزجها (كما يزعم) تم ـ مصادفة ـ ايجاد الحياة الاولى ؟.

ام انه قد قام (بنفسه) بتجربة عملية اوجد بها (بموجب هذه الطريقة) من المادة انسانا أو أي كائن حي آخر ؟؟.

ان هذا السؤال (ايضا) سيظل دونما اجابة صحيحة الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، لان ارنست هيكل وأمثاله من الملحدين ليس لديهم من الحقائق العلمية ما يجعلهم يجيبون على هذا السؤال اجابة تقنع الانسان بصدق هذه النظرية التي وضعها هيكل وزعم انه بها عرف سر الحياة .

فكل ما قاله (ارنست هيكل) عن أصل الحياة وقصة امكان توليدها من المادة مباشرة عن طريق مزج بعض العناصر المادية ببعض بأقدار معلومة وعلى اوزان مخصوصة (دون أن يبرهن لنا على ذلك عمليا) انما هو أشبه بخيالات المخمورين الذين يتصورونها أشياء ويتخيلونها ، وهي لا وجود لها في الواقع ، ومع هذا فيعطونها صفة الحقيقة الموجودة .

ان نظرية هيكل هذه ليست اكثر من افتراضات وتخمينات سخيفة ، وتقديرات مضحكة فارغة ، لا يمكن اثباتها بالطرق العلمية أو الحسية ، ولهذا لا يمكن لعاقل ان يلتفت اليها أو يعيرها اي اهتمام .

فقال الشيوعي الملحد :

ان العلامة (هيكل) قد قال بالتولد الذاتي على أساس تقديرات علمية لا تخطىء ، ولا يغيب عن بالك ان كثيرا من المكتشفات العلمية قد سلّم بوجودها الناس على أساس التقدير لا المشاهدة .

فقلت له .. نعم هذا صحيح (في كثير من المكتشفات)، ولكن التقديرات التي يكذبها الواقع وتبطلها الحقيقة المشاهدة القائمة ، لا يمكن التسليم بها ، لان التسليم بها ضرب من التلاعب والهوس .

فهيكل يزعم ان أصل الحياة قد نشأ ـ صدفة ـ من توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية .. غير العضوية (اي غير المواد العضوية

التي أودع الله فيها امكانية التولد (بقدرته) كماء الحيوان الذكر وبويضات الانثى) وأنه بالامكان توليد كائن حي (صناعيا) من المواد غير العضوية اذا ما تَم التوازن النسبي المطلوب بين مقاديرها الخاصة .

هكذا يَدعي ارنست هيكل ، او قل هكذا يفتري .

ولكنا اذا نظرنا الى هذه النظرية نظرة اختبار وجدنا أن الواقع يكذبها والحقيقة ترفضها ، ذلك انه منذ أن عرفت هذه النظرية الالحادية لم يستطع ولن يستطيع أحد من القائلين بها حتى هذا اليوم والى يوم القيامة ، أن يثبت صحتها عمليا ، فيولد لنا الحياة من مواد غير عضوية وبالطريقة التي ادعى الفيلسوف (هيكل) انه بها تم توليد الحياة الاولى .

ثم ان توليد الحياة من المادة غير العضوية بالطريقة التي ذكر (هيكل) ليست بحاجة الى الوقوف عند التقدير والافتراض فقط .

فالمواد غير العضوية (التي ادعى هيكل أن الحياة الاولى انبثقت عنها انبثاقا كيماويا تلقائيا) هي موجودة بين أيديهم ..

وما دام أنهم يجزمون بصحة ما يدعون ، فلماذا لا يبرهنون للملأ (عمليا) على صحة نظريتهم التي يدّعون ؟؟

فالمسألة لا تحتاج التقدير والافتراض ، فالتقدير انما يلجأ اليه اذا كانت اليد غير قادرة على الوصول الى الشيء الذي يراد تحقيقه واثباته ، كمعرفة أوزان الكواكب وتقدير مساحاتها وابعادها .

أما ايجاد الحياة (من المواد غير العضوية ــ وهي مواد أرضية كلها موجودة ــ) فلا يحتاج القطع به الى الوقوف عند التقدير فقط ، ما دام انه ممكن (كما يزعم أرنست هيكل) ، هذا هو حكم المنطق السليم .

كيف يزوغ الملحدون

ولكن دعاة الالحاد ، لما كان هدفهم (فقط) تشكيك الناس في ذات الله الخالق العظيم فانهم ، اذا نوقشوا هذه المناقشة ، وجوبهوا بمثل هذا التحدي ، لجأوا الى اللف والدوران والمراوغة والسفسطة .

فأوبارين، العالم الطبيعي الشيوعي السوفييتي، وهو أحد خلفاء داعية الالحاد (أرنست هيكل) صاحب النظرية اياها .. أوبارين هذا ، عندما جوبه بمثل هذا التحدي وسئل (في موسكو) هذا السؤال ، وهو :
هل التفاعل الكيمي في المادة (غير العضوية) قادر (وبالطريقة التي ذكر أرنست هيكل) على بعث الحياة كما انبعثت الحياة الاولى منذ ملايين

السنين وعلى الصورة التي ادعاها ارنست هيكل ؟؟.

فأجاب (اوبارين) بأن هذا ممكن ، ولكن في كواكب اخرى غير كوكبنا هذا (يعني الارض) .

واقل تمعن في هذه الاجابة تعطي الدليل القاطع على سخف هذه النظرية وانها من المفتريات التي يفتريها دعاة الالحاد ، ويلبسونها تاج العلم والبحث ، لاجتذاب قصار النظر وضعاف النفوس الى صفوف المنكرين لوجود الله سبحانه وتعالى .

سفسطة الماديين

فاوبارين الشيوعي ، لما كان يعلم (تمام العلم) انه لا يمكن أن يتم ، ولم يتم (في اي وقت من الاوقات) ايجاد الحياة من المادة غير العضوية ، وبطريقة التولد الذاتي التي ذكروا ، راوغ (في سفسطة مفضوحة) حينما ادعى أن ذلك ممكن ، ولكن في كواكب غير كوكبنا (الارض) .

ولا يخفى على عاقل ، ما في هذه الاجابة السخيفة من مراوغة وتنصل، لان هذا الشيوعي ، لو قال ان ذلك ممكن على ظهر هذه الارض ، لانتصب امامه سؤال محرج للغاية ، يقول :

لماذا لم تقوموا (انتم معشر فطاحل الفلاسفة الطبعيين) بتحقيق هذا الامر الممكن ؟؟.

نوادر جحا واقوال الملاحدة

لهذا ولكي ينجو هؤلاء الملاحدة الخبثاء من الوقوع في ورطة هذا السؤال المحرج لجأوا ، الى هذه المراوغة فأحالوا السائل على الكواكب الاخرى ، ولسان حالهم يقول :

عليك بالزهرة والمريخ ان اردت التحقق من صحة نظريتنا هذه التي ليس لدينا ادنى شك في صحتها .

وتذكرنا هذه الاجابة المضحكة من الملحدين ، بجحا المشهور بالاجابات السريعة المضحكة .. فقد ساله احد الناس .. كم هو عدد نجوم السماء ؟؟

فقال .. خمسون الفا .

فقيل له .. ولكن كيف عرفتها وانت في بغداد ، والسماء محيطة بالارض كلها ؟؟

فقال .. هذه حقيقة اعرفها واجزم بها واصر عليها ، ومن لديه شك

فيما اقول ، فما عليه الا ان يذهب بنفسه الى السماء للتأكد من صحة ما اقول .

سؤال يعجز الملحدون عن الاجابة عليه

ثم قلت للشيوعي .. ولو سلمنا جدلا ان الحياة (كما زعم هيكل) نشأت - أول ما نشأت - نتيجة امتزاج عناصر مادية مخصوصة وحسب مقادير معلومة وبطريقة طبعية تلقائية ، فان سؤالا آخر ينتصب أمام الفيلسوف (أرنست هيكل ومن على مذهبه من الماديين) يصعب عليهم الاجابة عليه اجابة مقنعة وهو :

اذا كانت الحياة الاولى قد نشأت تلقائيا نتيجة لامتزاج عناصر مخصوصة وحسب مقادير معلومة ، لا يمكن للحياة ان تظهر بدونها .. فمن هو الذي قدر هذه العناصر ووضع تلك المقادير ، وحكم حكما أبديا قاهرا بأن توليد الحياة من العناصر المادية لا يمكن أن يتم اذا ما نقص جزء أو زاد جزء على المقادير المقدرة للتوليد الذاتي ؟؟

قد تقولون ان ذلك التقدير قد حدث مصادفة وفي ظل رعاية الطبيعة.

ولكنا نقول لكم ان المصادفة العمياء ، والطبيعة الميتة الخرساء لهي أعجز من أن تقدّر هذه المقادير الدقيقة ، لأن المقادير والموازين الثابتة لا يقدر على وضعها الا من كان حيا عالما قادرا ، والمصادفة والطبيعة محرومتان من كل هذه الصفات .

لهذا فان هذا السؤال (ايضا) سيظل دونما اجابة صحيحة يقرها المنطق السليم ، اذا لم يؤمن أتباع (أرنست هيكل) بوجود الله سبحانه وتعالى .

لان المقاييس الدقيقة التي زعموا والمقادير التي أفترضوا يستحيل أن تكون الا من صنع شيء أقوى من الطبيعة ، وأحكم من المصادفة ، يتميز بصفات العلم والادراك والقدرة المطلقة .

ولا يمكن أن تكون هذه الصفات الا لله واجب الوجود الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ثم قلت للشيوعي الملحد .. ونحن نناقش (أرنست هيكل وأتباع نظريته) بهذا الاسلوب ، على فرض أننا مسلّمون بنظريتهم جدلا ، والا فنحن غير مسلمين بها ، لان القول بتولد الحياة الذاتي من الجماد تلقائيا وتحت رعاية الطبيعة ، هو كفر والحاد لا نقره .

اعتراف الملحدين بوجود الله من حيث لا يعلمون

ولكننا نناقش الملحدين هذه المناقشة لنثبت لكل مفتون بهم وبأضاليلهم التي يلبسونها لباس العلم والمعرفة أن هؤلاء الملحدين كلما حاولوا اقناع الناس بعدم وجود الله ، وجدوا انفسهم (من حيث لا يعلمون) يعترفون بوجود الله ، كما فعل أرنست هيكل حينما زعم ان التولد الذاتي يتم حسب مقادير من المادة مخصوصة وأوزان معلومة ، ونسي ان الموازين والمقادير التي يتوقف وجود الشيء عليها والتي وضعت بقصد أيجاده لا يمكن أن تكون الا من صنع عالم مدبر قادر وحكيم ، وما فاه به هيكل وسجله في مؤلفاته (بهذا الشأن) هو اعتراف منه ــ شاء أم أبى ــ بوجود سلطة أقوى من المادة وأقدر من الطبيعة ، وان المادة والطبيعة قد وجدتا خاضعتين مقهورتين لشيء أعظم واقوى واقدر منهما .

فلم يبق (اذن) امام الذي يقول مثل هذا القول ويعترف مثل هذا الاعتراف الا أن يقر بوجود الله تعالى .

والا فماذا يسمي هؤلاء الملاحدة القوة التي هي اقوى من المادة والطبيعة والتي اعترفوا (مرغمين) بوجودها ؟؟. والتي يسمونها آنا بالنواميس الثابتة ، وآنا بالقوانين القاهرة) ؟؟.

اعتراف بخنر بقوة ما فوق الطبيعة

فقال الشيوعي :

ومن من الفلاسفة الماديين التقدميين يقول ان المادة تخضع لنواميس قاهرة ؟؟.

فقلت له .. امام الالحاد في العالم (الفيلسوف بخنر) (١٢) ، فقد

---

(١٢) (بخنر هذا) عالم الماني كبير ، ويعتبر من اكبر قادة الداروينيين ، كما أنه من كبار الملحدين وهو الذي يقول .. لا يمكن ان يتصور احد ان تتحد حكمة ازلية مع نواميس طبيعية ثابتة ، فاما أن تكون النواميس هي الحاكمة واما أن تكون الحاكمة هي تلك الحكمة الازلية .. فاذا كانت الحكمة الازلية هي الحاكمة ، فلا لزوم لقوانين الطبيعة ، واذا كان الامر بالعكس ، وكانت النواميس الطبيعية هي الحاكمة فان ذلك ينفي كل تدخل سماوي (ا.هـ) .. وقد كان هذا من (بخنر) ردا على العلامة (أوسيد) الذي كتب (لبخنر) ليعيده الى طريق الايمان قائلا (ان الكون محكوم بحكمة أزلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة في الطبيعة) ، والحقيقة أن (بخنر) لو تخلى عن الهوى والعناد ، لوجد أن هذه النواميس الثابتة الدائمة التي وضعت باحكام ودقة هي من أقوى الادلة على وجود الخالق الاعظم ، لانه يستحيل (عقلا) وجود نظام من غير منظم ، ويستحيل بقاء الانظمة والقوانين سائرة بدون خلل أو اضطراب من غير قوة أعلى وأعظم وأقوى من هذه القوانين والانظمة ترعاها وتحافظ عليها .. وهل يصح (في قضية العقل) أن تسير أشياء محرومة من العقل والحياة والشعور والادراك (وهي القوانين والانظمة) دون أن تكون تحت رعاية ذات لها صفة الحياة والقدرة والعلم والارادة ؟؟.. كان (بخنر) استاذا بجامعة (ليبز) وقد عرف (اولا) بمذهب ميتافيزيقي . وقد ولد (بخنر) عام ١٨٠١ م وتوفي عام ١٨٨٧ م .

قال مرة في حديث له عن نظام الاجرام السماوية :

ان كل الاجرام السماوية كبيرة وصغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا انحراف للناموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة من آن لآخر ، وأن جميع حركاتها تبدو لنا وتتحد أمامنا وتنبئنا عن حدوثها بضبط رياضي لا يتطرق اليه الخلل (١٣) .

فاذا كانت الاجرام السماوية تتحرك في مداراتها بنظام ثابت ، خاضعة لناموس مقرر ، فهل بعد هذا دليل على وجود قوة مدبرة تخضع لها جميع الكائنات ؟.

ان بداهة العقل تشعر بأن النظام لا يصدر من العدم ولا بد من وجود قوة تدبر هذا النظام البديع والا اختل النظام كله ، فالنظام هو اقوى دليل على وجود منظم (عالم مدرك مريد) يدبر نظام الكائنات كلها ، وهو الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والارض .

فاذا لم تكن هناك قوة مدبرة فمن جعل للمادة هذا الناموس العظيم الذي تخضع له جميع اجزاء المادة والاجرام السماوية ؟؟.

لا بد من الاعتراف بوجود الله

وهكذا فان دعوى (ارنست هيكل) بأن الحياة قد نشأت ويمكن أن تنشأ من المادة وتتولد اذا ما تم توازن نسبي دقيق بين مقادير خاصة من العناصر المادية ، تعني أن هذا التولد الذاتي من المادة (على فرض التسليم به) لا يتم الا بموجب نظام دقيق ثابت ، وهذا ما لا يمكن لارنست هيكل وانصاره أن يكابروا في الاعتراف به .. فاذا اعترفوا بوجود نظام تخضع له المادة صاغرة ، فلا مناص لهم من الاعتراف بوجود منظم ، واذا اعترفوا بوجود منظم ، فلا مفر لهم من الاعتراف بأن هذا المنظم ، لا بد وأن يكون حيا قادرا مدركا عليما منزها عن المادية والجسمية ، واذا اعترفوا بهذا (ولا مفر لهم من الاعتراف به) لزمهم الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى، لان الطبيعة التي (قد ينسبون اليها هذا النظام) قد اعترفوا كلهم (بالاجماع) بأنها مجردة عن العقل والشعور والادراك ومحكومة بقوانين .

والشيء الذي هو مجرّد عن العقل والشعور والادراك ومحكوم لغيره ، وخاضع (في نفسه) خضوعا مطلقا لسواه يستحيل عليه القيام بوضع أي نظام (مهما كان تافها) فكيف بوضع نظام هذه الحياة واخراجها من العدم ، حسب نظرية التولد الذاتي التي ذكر ارنست هيكل والتي زعم أن هذه الحياة

---

(١٣) الآيات البينات ، ص ٦٠ .

تولدت في أول نشأتها من المادة ، تولدا كيماويا تحت اشراف الطبيعة ؟؟؟.

وهكذا مهما حاولتم (معشر الماديين) الاجتهاد في اقناع الناس بعدم وجود الله تعالى ، ومهما أطلتم البحث والفلسفة ، فانكم تجدون أنفسكم في النهاية (من حيث لا تعلمون) مقرّين بوجود خالق مدبر لهذا الكون .

تفاصيل نظرية داروين

فقال أحد الحاضرين من الشباب :

لقد وعدتنا في الجلسة الماضية بأنك ستناقش (باسهاب) نظرية التطور والارتقاء مناقشة علمية مجرّدة ...

ونحن معشر الشباب (خاصة) تؤاقون الى معرفة هذه النظرية بالتفصيل وسماع القول الفصل فيها من ناحية ثبوتها (علميا) أو عدم ثبوتها ، ثم اننا حريصون على معرفة حقيقة موقف الدين منها .

فقد تضاربت الآراء (كثيرا) حول هذه النظرية ، فمن الناس من يرى ان القول بها كفر وزندقة ، ومنهم من يقول ان القول بهذه النظرية لا يتنافى مع الدين ، لانها ليست أكثر من واقع مجهول اكتشفه العلم .

فقلت له ـ حقا ـ انه لم يدر في الاعصر الاخيرة نقاش حول نظرية من النظريات العلمية مثل ما دار حول نظرية التطور والنشوء والارتقاء .

الا انه من الانصاف القول بأن هناك افراطا شديدا في الحكم على القائلين بها (كنظرية علمية) من المعارضين لها ، ومبالغة كبيرة من المؤيدين لها .. ثم قلت له :

ان القائلين بنظرية التطور والنشوء والارتقاء ينقسمون الى قسمين.. كما قلنا فيما مضى .

قسم جعل انكار الخالق سبحانه وتعالى أساسا لهذه النظرية ، وعلى رأس هؤلاء الفيلسوف (ارنست هيكل) الالماني ، وقبله لامارك الفرنسي .

وقسم أقل أحواله انه (أثناء بحثه في هذه النظرية) لم يتعرض لنفي الخالق ، وانما قدّم بحوثه لنصر هذه النظرية على أساس علمي بحت ، وعلى رأس هذا القسم (تشارلز داروين) الذي أصبح اسم نظرية التطور والارتقاء مقرونا باسمه .

نظرية هيكل ولامارك

اما نظرية التطور والنشوء والارتقاء ـ كما يراها لامارك وهيكل ـ

فخلاصتها ان انواع الاحياء ليست اصيلة في الخلق والتكوين وانما يشتق بعضها من بعض عن طريق التفاعل المادي ، وان مصدر الحياة هو الجماد الذي تتولى الطبيعة (في ظروف خاصة) توليد الحياة منه .

فيزعم لامارك (كما تقدم) أن الطبيعة تعمد الى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه الغراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الاحوال الموافقة بالسوائل المناسبة فتولد الحياة بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها ، طبيعتها التهييج على الاستمرار من البيئات المحيطة بها .

وقد فسر لامارك وارنست هيكل ، الطبيعة (كما تقدم) بأنها القوة العامة المنزّهة عن الفساد بطبيعتها التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين .

ومن بين هذه القوى قوة تسمى بالحياة ، وهي ليست بقوة خاصة ، لكنها نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وقتي فيها .

ولا فرق عند (لامارك) في ذلك بين الحياة الحيوانية والحياة النباتية الا في الحس ، ويقول (لامارك) ان الحياة الاولى بعد أن نشأت (على الصورة التي ذكر) وهي ما يسميها بعض دعاة الالحاد (بالخلية الاولى) (*) التي تفرّع منها كل كائن حي .. يقول لامارك ان الحياة بعد أن وجدت على النحو الذي ذكر نشأت شيئا فشيئا وانها بدات من الادنى فما فوقه حتى انتهت الى الاعلى المشاهد الآن ، وان كل كائن حي تطور وارتقى وتنوّع حسب ظروف البيئة التي نشأ فيها .

وانه حسب قانون التطور والتحول والارتقاء ، قد تحوّلت أنواع من الاحياء عن أصلها الى أنواع أخرى ارفع منها تخالفها في الشكل والطبيعة والنوع .

وهذا يعني ان أنواعا من الزحافات على البطن ، قد تحولت (في عصر من العصور) الى حيوانات من ذوات الاربع وان الانسان أيضا (في ظل ناموس التطور والتحول والارتقاء) ما هو الا حيوانا تحوّل من أحط أنواعه الى انسان .

ويقول لامارك مثل هذا في النباتات من حيث تطوّرها وارتقائها

(*) يعبر دعاة الالحاد عن هذه الخلية بقولهم ، انها غشاء حي على شكل كروي يحوي في داخله مادة لزجة ، يقال لها (البروتوبلاسما) عائم فيها نويات صغيرة ، وهي بما حوت لا تدرك الا بالمنظار .

وانتقالها من انواعها الاصلية الى انواع أخرى أعلى منهـا (حسب ناموس التطور والارتقاء) وتحت سيطرة الطبيعة وتدبيرها .

هذا هو مجمل نظرية لامارك في التطور والتحول والارتقاء .

وموطن الالحاد والكفر في هذه النظرية هو القول بأن ذلـك قـد تمّ بفعل الطبيعة ودونما تقدير او قصد او تدبير من خالق قادر مريد .

وفيما تقدم بينّا فساد هذا القول ، فلا حاجـة بنـا الى تكرار هذا التبيين .

الاتفاق بين داروين ولامارك

اما القسم الثاني من القائلين بالتطور والارتقاء (والذين على رأسهم العالم داروين) فهم يتفقون مع هيكل ولامارك وانصارهما من دعاة الالحاد ، من حيث القول بالتطور والتحول والارتقاء .

ولكن (لامارك) يُعَدُّ سابقا لهم في مضمار القول بنظريـة التطور والارتقاء ، الا انه لم يتوسع في دعم هذه النظرية حيث لم يضع لها تفسيرا علميا ، كما فعل (داروين) الذي تبنىً هذه النظرية وأوقف حياته عـلى دعمها وتأييدها ، وأعطى لها تفسيرات علمية مختلفة ، اقنع بهذه التفسيرات الكثير من الناس بأن هذه النظرية حقيقة واقعة .

موضع الاختلاف بين الفريقين

كما ان القسم الثاني من انصار القول بالتطور والارتقاء يختلفون مـع القسم الاول من القائلين بها في أمرين اثنين :

اولهما .. مصدر الحياة ومعطيها .

ثانيهما .. معرفة الطريقة التي وجدت بها الحياة .

فدعاة الالحاد من القسم الاول (وعلى راسهم أرنست هيكل) يزعمون، ان الحياة ليست من صنع الخالق ، وانه لا ضرورة للقول بوجود اله خالق.

لان الحياة (بزعمهم) كامنة طبيعيا في المادة ، وانها لذلك قد تكونت (في عهدها الاول) تلقائيا بعد مزج عناصر مخصوصة من المادة وفي ظروف خاصة، وعلى سبيل المصادفة كما جاء مفصلا في مزاعم (لامارك) فيما مضى.

اما القائلون بنظرية التطور والارتقاء من القسم الثاني (وعلى رأسهم فارسها المعلم داروين) فانهم لم يتطرقوا الى السؤال ، مـن أيـن نشأت الحياة ، أو كيف نشأت ، ولم يجرؤ أحد منهم على القول بأن الحيـاة هي حصيلة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما يزعم دعاة الالحاد) .

فنظرية داروين انطلقت من كون الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ثم تدرّجت على ممر الاجيال الى حياة نباتية حول المستنقعات التي ظهرت فيها .. وبعدئذ تدرجت ارتقاء الى حياة حيوانية بدائية ، فالى حيوانات اكبر فأكبر ريشية ومجنحة .. فحيوانات أعلى ذات فقرات ، فانسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، فالانسان الحاضر بعقله وادراكه وتفكيره وهو المرحلة الاخيرة .

عجز داروين عن معرفة سر الحياة

هذا يعني ان العالم (داروين) لم يستطع معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى وكيف نشأت ، فلم يقل أنها نتيجة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما زعم هيكل ومن على مذهبه المادي) بل صرح داروين في آخر كتابه (أصل الانواع) بأن هذه الحياة قد نفخها الخالق .

وعجز داروين عن معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى (بالرغم من الجهود الجبّارة التي بذلها طيلة حياته كزعيم لنظرية التطور والارتقاء) قد جاء صريحا في ندائه الشهير الذي اهاب فيه بعلماء الطبيعة أن يبحثوا عن نشأة الحياة الاولى .

ولكن هيهات هيهات أن يظفروا في (بحثهم) بما يتوقون الى معرفته ويسألون عنه بشأن النشأة الاولى للحياة ، لان ذلك من العلم الذي لا يمكن ان يطّلع عليه غير فاطر السماوات والارض الذي يقول في محكم كتابه العزيز (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . (١٤)

عمدة الالحاد يجهل كيفية التولد الذاتي

ولقد اعترف العالم (بخنر) ـ وهو عمدة الالحاد في العصر الاخير ـ اعترف بهذه الحقيقة حيث قال :

ان البت في أمر التولّد الذاتي للكريّة الاولى التي نشأ عنها الاصل الاول ، أمر غير متيسر ، لان الاحوال المناسبة لتولّد الكريّات الاولى تولّدا ذاتيا غير معروفة ، والكريّة ذاتها ـ على بساطتها ـ ذات بناء وتركيب يمتنع معه صدورها من الجماد مباشرة ، بل ان ظهورها (أي الحياة) من الجماد ـ في نظر العلم ـ معجزة ليست أقل بعدا عن العقل من ظهور الاحياء العليا من الجماد رأسا . (١٥)

---

(١٤) الاسراء : ٨٥

(١٥) قصة الايمان ، ص ١٨٩ ط أ

ثم قلت له :
ان بخنر واشياعه من ملاحدة العصر الاخير يعترفون بعجزهم عن الاهتداء الى معرفة سر الحياة هكذا ، وفي الوقت نفسه يشنثون حربا على تشارلز (داروين) ويتهمونه بالنفاق ومصانعة رجال الدين لأنه أعلن أن أحدا لم يهتد الى معرفة سر الحياة ، وأن التفسير الحقيقي الذي تطمئن اليه النفس ، لنشأة الحياة الاولى هو أن هذه الحياة قد نفخها الله (في الاصل بقدرته سبحانه وتعالى .

والخلاصة أن الماديين الملاحدة لم ولن يهتدوا الى معرفة سر الحياة ، والبت في امر نشأتها الاولى وأن كل ما زعموه ويزعمونه عن معرفة تكوين الحياة مما يهرفون به من قصة الخلية الاولى والكريئة البسيطة ذات الخلية الواحدة (١٦) والتولد الذاتي عن طريق التفاعل المادي الى غير ذلك انما هو اوهام وافتراضات وخيالات حيث لم ولن يستطيع أحد من هؤلاء الماديين اثبات هذه المزاعم بالطرق العلمية او العملية الحسية ، كما اعترف بذلك (صراحة) عمدة الالحاد (بخنر) كما تقدم .

القواعد الاربع لنظرية داروين

فقال احد الشباب من حاضري المناقشة :
لقد شرحت لنا جانبا لا بأس به من نظرية التطور والارتقاء ، واقوالهم عن قصة وجود الحياة الاولى ، ولكننا نريد شرحا اوفى ، فما هي القواعد العلمية التي بنى عليها داروين (نظرية التطور والارتقاء) بعد أن أصبح اسم هذه النظرية مقرونا باسمه ؟؟.

فقلت له .. أن داروين قد بنى مذهبه (في التطور والنشوء والارتقاء) على أربع قواعد :
١ ــ ناموس تنازع البقاء .
٢ ــ ناموس الانتخاب الطبيعي .
٣ ــ ناموس المطابقة .
٤ ــ ناموس الوراثة .
آ ــ أما ناموس تنازع البقاء ، فمعناه (كما يراه داروين) هو أن كل

---

(١٦) ذكر الاستاذ الكبير نديم الجسر في كتابه (قصة الايمان) أن فرق أخرى من الملحدين يزعمون ان أصل الحياة كرية بسيطة ذات خلية واحدة ، وزعم آخرون ان الحياة عبارة عن كتل زلالية حية صغيرة هي ادنى من ذات الخلية الواحدة وابسط ، لذلك سموها (مونيرا Monere اي الوحدة البسيطة في اليونانية ، وزعموا ، أنها تتكون من الجماد (بالتولد الذاتي) ومن اشهر القائلين بذلك العالم البيولوجي الالماني (ارنست هيكل) ا ه

الكائنات الحية في تنازع مستمر ، وان البقاء انما يكون للاكمل والاقوى من المتنازعين ، أما الاضعف فانه يتلاشى لانه غير صالح للحياة .

ويضرب داروين لذلك مثلا بما معناه :

اذا فرضنا وجود سرب من الابقار الوحشية تسير في غابة متحئدة كعادتها لطلب الغذاء ، فاذا رات مرعى تزاحمت عليه ، فالقوي منها يفوز بأطاييب هذا المرعى ، فتزداد قوة على قوتها ، أما أضعفها فانه يزداد ضعفا على ضعفه .

فبادمانها على هذا العمل، يزداد القوي قوة واكتمالا ، اما أضعفها فانه يزداد ضعفا الى ضعفه ، فلا يزال يتناقص حتى يتلاشى ، فهذا ما يسمئونه بناموس تنازع البقاء .

ب ـ أما ناموس الانتخاب الطبيعي فيشرحه داروين بما معناه معقبا على ما تقدم :

فاذا انتقل هذا السرب (من الابقار) الى مسافة بعيدة ومرّ بطريق وعرة ، لا يقوى على اختراقها الا الممتازون منها بالقوة ، فلا يصل الى مأمنه الا الممتازون بالقوة ، وهذا يعني أن نتيجة هذا التنازع كله ، بقاء الاصلح للبقاء وهلاك غير الاصلح أو زيادة ضعفه ، كأن الطبيعة (في نظر داروين) تنتخب الاقوى والاكمل فتبقيه وتلاشي الاضعف والانقص وتبيده ليكون نتيجة ذلك ، الارتقاء بمعناه الاعم .

ج ـ اما ناموس المطابقة فمعناه (كما يرى داروين) :

أن لنوع الاغذية وطرق الوصول اليها دخلا كبيرا في احداث الاختلافات بين الانواع .

فمثلا . . المعروف عن الاسد الآن انه حيوان من اكلة اللحوم ، مفترس له أنياب حادة ، وبراثن قوية لاضطراره لتمزيق فريسته بأنيابه واظفاره ، فلو أوجدت نوع الاسد آلافا من السنين متوالية في وسط لا يمكنه من الافتراس ويجبره على تعاطي الاغذية النباتية ، لاضطر (بحكم الضرورة) لتعاطيها .

فتبطل وظيفة انيابه الحادة واظفاره الماضية ، فتضعف (لاهمالها) على توالي الاحقاب وتضمر وتوجد فيه آلات اخرى اصلح لمعيشته الجديدة ظاهرا وباطنا ، كأن يتغير تدريجيا شكل اسنانه وتطول أمعاؤه لتحاكي امعاء أكلة الحشائش من الحيوانات ، الى غير ذلك من التنوعات .

ولو فرض أن تلك النباتات لا تتسنى للاسد الا بخوض نهر أو بالتسلق على الاشجار ، تخلقت فيه على توالي الاحقاب أعضاء تناسب السباحة

والتسلق الخ .. فهذا هو ناموس المطابقة ، او ناموس التحول كما يسميه البعض .

د ـ اما ناموس الوراثة فمعناه (كما يراه داروين) :

ان الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط المعيشية تنتقل الى الابناء ، فتنشأ تلك الابناء مختلفة فيما بينها ، ولا يزال هذا الاختلاف يقوى على مر الاجيال والقرون ، حتى تستحيل تلك الاختلافات العرضية الى اختلافات جوهرية توهم الرائي لها انها اختلافات نوعية من أصل الخلقة ، وهي في الحقيقة اختلافات بسيطة في مبدئها ، توالت عليها الحقب حتى ازدادت تأصلا في الكائن الحي ونمت فيه فأدته الى مباينة الاصل الذي نشأ منه تمام المباينة .

حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين ، وهما من نوع واحد، كما نرى ذلك بين الحمار والحصان ، فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد ، وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذي عاش فيه الحمار والجهاد المعيشي الشديد الذي بلي به (١٧) .. هذه هي خلاصة القواعد الاربع التي بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والارتقاء .

ويعلق السلطان صالح بن غالب القعيطي (١٨) (سلطان حضرموت)

---

(١٧) انظر كتاب دائرة المعارف للاستاذ محمد فريد وجدي ج ٤ ص ٣٠ ـ ٣١ ، وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القعيطي ص ٦٩ ط حيدر اباد .

(١٨) **ترجمة السلطان القعيطي**

هو السلطان صالح بن غالب بن عوض بن عمر بن عوض القعيطي ، كان مولده في حيدر اباد الدكن حوالي عام ١٢٨٨ هـ ، وقد تربى كما يتربى أولاد الامراء على ممارسة الاعمال العسكرية والرياضية فاجاد هذه الفنون ونال شهرة واسعة ، وكان محل عناية جده السلطان عوض بن عمر ، وقد لاحظ جده ميوله الشديدة الى طلب العلم فأشبع نهمه ، ويسر له طلب العلم ، فأخذ عن كبار العلماء ، وكان من ابرز الذين اخذ عنهم السيد ابو بكر بن شهاب الحضرمي ، وقد برع في العلوم الدينية والعربية والفلسفية ومنها علم الكلام ، ولم يكتف بهذا بل عكف على العلوم الرياضية والميكانيكية والهندسة والعلوم البحرية ، فأخذ منها بنصيب وافر ، وكان يجيد اللغة الانكليزية والافرنسية والالمانية والفارسية والاوردية ، علاوة على اللغة العربية ، وكان على جانب كبير من المعرفة بالحديث والفقه والتفسير مما مكنه من اصدار مؤلفات قيمة في هذه الفنون ، وكان ـ مع أبهة السلطنة وجاه الملك ـ محبا للعلماء والصلحاء والمفكرين فكان مجلسه دائما عامرا بهذه الطبقة الممتازة (سواء كان في حيدر اباد او في حضرموت) ، وكانت مجالسه غالبا مسرحا للمناظرة والمناقشة والبحث في مختلف العلوم المفيدة ، وقد زرته في قصره (بالمكلا) مرارا ، فوجدته على غاية من التواضع في مناقشته ومناظرته بحيث لا يشعر المناظر له انه امام اكبر راس في السلطنة ، وكان مع جاه السلطان مشهورا بالاستقامة وأداء الفرائض المكتوبة في أوقاتها .. تولى عرش السلطنة ـ

على هذه القواعد الاربع في كتابه (الآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات) بقوله :

ان داروين لم يبحث في أصل الحياة ، بل قال :

ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد أو أصول محدودة نفخ فيها الخالق (سبحانه وتعالى) روح الحياة ، وان الخلية الاولى التي تكونت منها كل الاحياء تكاثرت أولا بحكم طبيعتها فصارت نباتات دنيئة أو حيوانات دنيئة ، فتولتها النواميس الاربعة المذكورة آنفا قرونا فلبثت تتنازع ، فلم يبق منها الا الاصلح ، ثم تتغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها وهلم جرًا حتى تتكون من هذه الجرثومة جميع المخلوقات .

هذه هي نظرية داروين قال بها كعالم طبيعي تخصص في علم الاحياء ومراحل تكوينها ، وقد تضمَّن هذه النظرية كتابان لداروين الاول اسمه (أصل الانسان بطريق الانتخاب الطبيعي) أصدره عام ١٨٥٩ م ، والثاني اسمه (تسلسل الانسان) أصدره عام ١٨٧١ م. والثالث ، اسمه (أصل الانواع) .

فقال الشاب المسلم .. بعد الانتهاء من القائنا هذا التفصيل عن نظرية داروين :

= بخضرموت سنة ١٣٥٧ هـ ، وكان حريصا على نشر الامن والعلم في ربوع البلاد ، ففي ايامه استتب الامن في حضرموت التي كانت الى ما قبل توليه السلطة مسرحا للفوضى والاضطراب في كثير من نواحيها ، وفي عهده انتشرت المدارس التي كانت قبل عهده شبه معدومه ، وكان من مؤلفاته القيمة :

١ ــ مصادر الاحكام الشرعية ، طبع في ثلاثة أجزاء ، وقد الفه على طريقة أهل الحديث ، غير متقيد بمذهب .

٢ ــ الآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات ، الفه للرد على الملحدين .. طبع في حيدر أباد وهو الآن تحت الطبع في مصر . وهذا الكتاب مع فائدته العظمى فيه اتجاهات غير صحيحة فيما يتعلق بتحضير الارواح .

٣ ــ مبحث التعبد بأحاديث الآحاد ، مطبوع .

٤ ــ رحلته الى دوعن .

٥ ــ رسالة في الهندسة .. مخطوطة لم تطبع .

٦ ــ الملاحة البحرية ، يقع في جزأين .. مخطوط لم يطبع .

٧ ــ تفسير مفردات القرآن ، الفه باللغة العربية والاوردية .. مخطوط لم يطبع .

وقد اثنى عليه وعلى جهوده العلمية كثير من كبار المسلمين ، منهم الامير عبد الكريم الخطابي الذي اشاد بكتابه الآيات البينات ، توفي السلطان صالح عام ١٣٧٥ هـ . وكان سلفي العقيدة لا يقر الخرافات والبدع ظهر ذلك واضحا في مؤلفاته وخاصة مصادر الاحكام الشرعية .

اني ارى الشيوعي مصغيا لا يتكلم طيلة هذا الحديث الطويل عن نظرية التطور والارتقاء ، فهل يعني هذا ، انه موافق على كل ما جاء في هذا الشرح والتفصيــل ؟

فقال الشيوعي :

لم يعد هناك مكان لمناقشة صاحبكم فيما يتعلق بشرح نظرية التطور والارتقاء ، لان كل ما قاله بشأن هذه النظرية مما نسب الى داروين ولامارك وهيكل (دع الانتقاد) هو واقع لا يحتاج الى معارضة او جدل .

ما هي ادلة داروين العلمية ؟

فقال شاب آخــر :

لقد سمعنا في الجلسة الماضية ما اشبعنا فهما عن نظريــة التطــور والتحول والارتقاء .

ولكن اذا كانت هذه هي أقوال (داروين) وتفريعاته وفلسفاته بشأن نظرية التطور والارتقاء ، فهل لديه من الادلة العلمية القاطعة ، أو الشواهد الحسية المسكتة، ما يجعل نظريته في التطور والارتقاء حقيقة واقعة لا ريب فيهـــا ؟؟.

فقلت له .. ان هذا السؤال له اهميته القصوى ، ويجب أن تــكون الاجابة عليه على جانب كبير من الدقة والانصاف والتجرّد .

لان الناس قد اختلفوا في هذه النظرية اختلافا كبيرا ، كما افتتــن آخرون بها افتتانا شديدا .

ففريق يتعصب لهذه النظرية تعصبا اعمى ويؤمن بها وكانها حقيقــة واقعة محسوسة لا تقبل الجدل والنقاش ويتهم من يحاول نقد هذه النظرية او انكار شيء منها بالرجعية والجمود والتزمت ، كما أن هــذا الفريـــق المتعصب لنظرية داروين قد جعل منها نقطة ارتكاز للهجوم عــلى الاديــان وسندا لانكار وجود الله تعالى .

وفريق يعتبر مجرّد التحدث عن هذه النظرية (كنظرية قابلة للاخذ والرد) والتصديق (ولو ببعض ما جاء فيها) خروجا على الدين وكفرا برب العالمين .

والحقيقة أن كلا الفريقين قد غالى فيما ذهب اليه ، وخاصة ابواق الالحاد الذين جعلوا من نظرية داروين مستندا علميا لهم في الكفر بالاديان وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، كما سترى ذلك بالتفصيل فيما يأتي مــن مناقشة ان شاء الله .

ثم قلت له .. ولنبدأ الآن بالاجابة على سؤالك فنقول :

ليس لداروين دليل قاطع على صحة نظريته

ان نظرية التطور والارتقاء التي قال بها داروين نظرية غير ثابتة ثبوتا قاطعا (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الحسية) .

واذا كان داروين ، قد اعترف (صراحة) بأن الطريقة التي وجدت بها الحياة الاولى على وجه الارض ، لا تزال مجهولة حتى يومنا هذا ، فان جهله بالطريقة التي تسلسلت بها الكائنات الحية وتنوعت (كما يزعم) لا يقل عن جهله بالطريقة التي وجدت بها الحياة الاولى على وجه الارض وكيف ومتى وجدت .

فالمتتبع لما كتبه ونشره (داروين) عن نظرية التطور والارتقاء يجد أن داروين لم يبن هذه النظرية على أسس علمية قاطعة ثابتة لا يمكن الرجوع عنها ، وانما بناها على افتراضات وتقديرات وتخمينات تحتمل الخطأ والصواب .

فجميع الذين قالوا بنظرية التطور والارتقاء (وعلى رأسهم داروين) يعترفون بأن هذه النظرية هي فرض علمي يعوزه الدليل الحسي ، بل ان جوهر بحوث علماء التطور والارتقاء جميعا تشير كلها الى أن أصول هذه النظرية وفروعها هي من باب الافتراض لا القطع ، والتقدير لا التأكيد .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (عقائد المفكرين) :

واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا منه من أصوله وفروعه ، واكبر انصاره لا يدعي له أكثر من أنه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته .

العلم يرفض الوقوف بجانب داروين

ثم قلت للاخ المستفسر :

وهكذا فاننا اذا عدلنا عن مناقشة نظرية التطور والارتقاء من ناحية الدين ، وناقشناها من الناحية العلمية فقط لوجدنا أن العلم يرفض الوقوف بجانب اصحاب هذه النظرية ، ويرفض اعطاءها صفة القطع والثبوت . (١٩)

---

(١٩) قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١١ ــ ١٢) تتجدد العلوم الانسانية مع الزمن على سنة التقدم ، فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح وموزع يتجمع وخطأ يقترب من الصواب ، ويستأنف الباحثون (في القواعد العلمية) تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون ، ثم قال .. ان مذهب التطور والارتقاء لا يزال بعد ذلك عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات ، بل عرضة لسنة التطور والارتقاء التي تنتقل به من تفسير الى تفسير .

ذلك أن كل ما استند عليه لامارك وداروين لاثبات هذه النظرية هـو تفسيرات وتقديرات مصدرها الافتراض والتخمين الذي لا يسنده أي واقع شهد به العلم ، أو عضده الحس في أي عصر من العصور والازمان .

فمنذ أن خلق الله الدنيا حتى يومنا هذا لم يشهد أحد ولم يشعر بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء الذي يزعمون .

فلم يثبت (بأية وسيلة من الوسائل ولم تخط كلمة واحدة في أي سفر من الاسفار) تشير الى أن شيئا من هذا قد حدث فعلا .

فلم يثبت في اي عصر من العصور ان عصفورا قد تحول الى ديك أو ان حمارا قد تطور الى حصان ، او أن قردا قد تحول (كما يزعمون) الى انســان .

فلو حدث شيء من هذا (في اي عصر من العصور) لظل مـدى الدهر من الاخبار المتواترة ، ولتكرر حدوثه في عدة عصور وفي مناسبات مختلفة ، ما دام أن ناموس التطور والارتقاء حقيقة واقعة كما يزعمون .

ولكن الواقع المشاهد (بالتواتر منذ أن خلق الله الارض ومن عليها) هو أن جميع أنواع الاحياء باقية على ما هي عليه (من ناحية البنية والتركيب والطبيعة) منذ أن ظهرت على وجه الارض .

فالانسان هو الانسان بكل هيئته وكامل طبيعته منذ أن نفخ الله فيه الروح ، وكذلك الحيوانات (بكامل أنواعها) هي هي باقية على ما هي عليه في تكوينها العضوي وحالتها الطبيعية منذ نشأتها الاولى ، وهذا واقـع لا يستطيع أحد أن يثبت سواه أبدا (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الواقعيــة) .

اهم الاعتراضات على مذهب داروين

قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائـرة المعـارف) ج ٤ ص ٣١ .. ان اكبر الاعتراضات على مذهب داروين تنحصر في ثلاثة أمور، هــي :

١ ــ عدم مشاهدة اي ارتقاء من اي نوع كان في الاحياء الارضية من عهد الوف السنين .

٢ ــ عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل، كأن يوجد (مثلا) حيوان أرقى من القرد رتبة واحدة وأدنى مـن الانسان رتبة واحدة ايضا .

٣ ـ طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الاحياء ، فان عمر الأرض كما قالوا لا يكفي لاحداث كل ما يرى من هذه الاشكال المختلفة غاية الاختلاف .

راي الاستاذ نديم الجسر

وقال الاستاذ نديم الجسر في كتابه قصة الايمان ـ في معرض الحديث عن نظرية داروين ـ .. أما الردود العلمية فهي كثيرة أهمها .. أن الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية ، حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في ابتداء العالم ، ولم نجد انها تأثرت بناموس الارتقاء ، وأن طوائف الاحياء الكبرى ، الدنيا منها والعليا ، وجدت منها آثار في أسفل طبقات الارض ، فلو كان ناموس الإرتقاء اكيدا لوجب أن يكون الاعلى منها كذوات الفقرات ، في أعلى الطبقات ، واننا نجد كثيرا من الاجناس والطوائف قد كانت في العصور القديمة الاولى اكمل منها اليوم ، ونجد في الطبقات الارضية بعض حيوانات دنيئة فوق حيوانات عالية جدا ، اه .

علماء أوربا المعارضون لمذهب داروين

فقال الاخ المستفسر .. وهل قام احد من فلاسفة أوروبا بالرد (علميا) على مذهب داروين ؟.

فقلت له نعم .. انهم كثيرون ، وكلهم ناقش مذهب داروين نقاشا علميا مركزا ، نفى به أن يكون مذهب التطور والنشوء والارتقاء مذهبا صحيحا ثابتا .

فهذا العلامة (دوفري) قد اثبت خطأ أصول اللاماركية والداروينية، ورفض نواميسهم الاربعة التي بنوا عليها نظرية التطور والارتقاء ، فقد قال ان التجارب العلمية الحسية أثبتت بطلان هذه النظرية ، فأعلن مشاهدات (فيما سماه بالظهور الفجائي) لانواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من أسلافها الاولية .

كذلك الدكتور جوستاف جوليبه يأبى نظرية التطور والارتقاء ولا يسلم بنواميسها الاربعة التي بنيت عليها ، بل يثبت أن تجارب العلم الطبيعي تقف ضد نظرية داروين .

واذا كانت قاعدة التطور والارتقاء التي يقول بها الداروينيون هي مجرد افتراض وتقدير فحسب ، فان الدكتور (جوستاف جوليبه) يبطل هذه النظرية على اساس من الواقع العلمي المشاهد الملموس الذي لا يستطيع أحد انكاره .

فانه يقول .. ان التحولات الفجائية هي القاعدة في عالم الحيوانات والنباتات ، فاذا درس الانسان جميع التاريخ الطبعي (بدقة) رأى نظرية التحول بالطفرة تصادفه في كل مكان .

واقع دودة القز ينقض مذهب داروين

ويقول .. ان حياة الحشرات تنقض مذهب داروين ولامارك ونظرية التحول البطيء المستمر ، ويضرب (جوستاف جولييه) لذلك مثلا بدودة القــز فيقول :

ان دودة القز تولد دودة تحيى أياما حياتها المعروفـة ، ثم تنسـج لنفسها شرنقة فتدخل فيها ، وهناك لا تموت فقط ، بل يسيل جسمهـا ويستحيل الى مادة أولية لا شكل لها ، ثم تتركب هذه المادة فتكون جسما لا نسبة بين شكله وشكل الدودة ، يكون فراشة ذات اجنحة وغرائز أخرى غير غرائز الدودة .

فهذا المثال وحده يبطل كـل نظريـات الداروينيين واللاماركيين المؤسسة على ان اختلاف الاعضاء وتطورها وارتقاء الانواع واشتقاق بعضها من بعض لا يكون الا على مقتضى نواميس سموها بأسماء متنوعة ، ثم يكر الاستاذ (جوستاف جولييه) على الجناح الالحادي في نظرية التطـور والارتقاء فيقول .. والحقيقة .. أن كل نوع نشأ بفعل قوى ليست مـن القوى الطبعية المعروفة ، واي شاهد أصدق من هذا الشاهد المحسوس ؟؟.

فقال الشاب المسلم المستفسر .. اليس ما يحدث لدودة القز هـو تحوّل في الانواع يثبت نظرية داروين ؟.

فقلت له كلا .. انه تحول (فعلا) ولكنه يناقض النواميس الاربعة التي بنيت عليها النظرية ..

فنظرية التطور والارتقاء تقول :

ان أحط الحشرات (كالدودة مثلا) تتطور الى حيوانات أعلى منهـا (تدريجيا) حتى تصل الى حيوانات أكبر فأكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات أعلى ذات فقرات الخ .

ولكن واقع دودة القز (او الحريـر) ينسف هـذه النظريـة مـن اساسها تماما .

فمثلا : بيض دود الحرير تكون في حجم بزر التين ، فاذا جاء فصل الربيع خرج من كل بيضة دودة ، فاذا خرج أطعم ورق التوت الابيض

فيكبر تدريجيا حتى يصير في حجم الاصبع ، ثم ينتقل من اللون الاسود الى الابيض رويدا رويدا في مدة ستين يوما ، ثم يأخذ (هذا الدود) في النسج على نفسه ، وما الخيوط التي يخرجها من فيه الا مادة لزجة متى لامست الهواء جفت .

فلا يزال (هذا الدود) يخرج تلك المادة ويحيلها الى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينحبس فيها نحوا من عشرة أيام لا يموت أثناءها فحسب بل (كما قال الدكتور جوليبه) : يستحيل الى مادة أولية ، بتركيبها من جديد تتكون جسما جديدا لا نسبة بين شكله وبين شكل الدودة ، ثم يثقب هذا الجسم الجديد تلك الجوزة ويخرج منها فراشا أبيضا له جناحان لا يسكنان من الاضطراب .

وعند خروجه يميل للتزاوج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان فتبيض الانثى البيض الذي تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصدا ثم يموتان (٢٠)

فمنذ عرف الناس القز والحرير ، ومنذ وجدت هذه الدودة على وجه الارض (ومنذ الاف السنين) وطريقتها في التحول والانتاج هي هي ، لم يلاحظ عليها أي تغير او تبدل يوحي بأنها تطورت وارتقت من الحالة التي كانت عليها .

فالتحول الذي يحدث لدودة القز والحرير لا يتم لتترقى هذه الدودة وتتطور الى أنواع ارقى منها وأعلى (كما هي نظرية الداروينيين واللاماركيين) وانما هو عامل ضروري ثابت لانتاج القز والحرير اذ بدون هذا التحول يستحيل على الانسان الحصول على شيء من هذه المادة الثمينة (القز والحرير) .

وهكذا .. ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

فثبات دودة القز والحرير (شكلا وتحولا وانتاجا) على ما هي عليه ، منذ أن عرف الانسان القز والحرير (وقد عرفه قبل عشرات آلاف السنين) هو أكبر دليل على بطلان نظرية التطور والارتقاء .

فلو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان ـ طيلة هذه الالاف من السنين ـ شيئا من التطور والارتقاء على هذه الدودة ، لا سيما وأن هذه الدودة تواتر أمرها بين بني الانسان منذ أقدم العصور لارتباط وجودها بوجود الحرير والقز الذي لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذه الدودة وحسب

(٢٠) دائرة معارف وجدي ج ٤ ص ٨٨

النظام الالهي الذي تسير عليه هذه الدودة لتوفير هذا الانتاج .

ولو حدث شيء من التطور والارتقاء على هذه الدودة (وحسب النواميس التي وضعها الداروينيون لنظريـة التطور والارتقاء) لافتقـد الانسـان مادة القز والحرير الى الابد ، لان هذه الدودة ستكون قد تطورت وارتقت الى أي نوعمن الاحياء لا يسمح لها تركيبها وشكلها بانتاجهذه المادة، لانها تكون قد تحولت الى ديك او نسر أو ظبي أو ما شابه ذلك من الكائنات.

وهكذا فان واقع دودة القز والحرير ـ سواء كان من ناحية التحول الفجائي أو من ناحية بقائها على ما هي عليه منذ ان ظهرت علىوجه الارض ـ لمن أقوى الادلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء .

اما العلامة والاس ـ فبالرغم من مناصرته داروين في مذهبه ـ فانـه أنكر على استاذه داروين القول بأن يكون الانسـان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث قال .. أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسـان ، ولا بد من القول بخلقه رأسا .

وقال الاستاذ (فرخو) انه يتبين لنا من الواقع ان بين الانسـان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا ان نحكم بأن الانسـان سلالة قرد أو غـيره مـن البهائم ، ولا يحسن ان نتفوه بذلك .

وقال (هيفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه راي مـن آراء الصبيـــان .

أما العلامة (أغاسيز) (٢١) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان ،

---

(٢١) ترجمة (اغاسيز)

هو ليس جون أغاسيز عالم سويسري شهير ، ومن اشهر علماء الطبيعة في اوروبا ، ولد في قرية موتييه من منطقة الالب عام ١٨٠٧ م وتوفي عام ١٨٧٣ ، كان جده الاول فرنسي لجأ الى سويسرا في عهد لويس الرابع عشر هربا من تعسفه واضطهاده .. تنقى أغاسيـز علـوم الطب في جامعات « زيوريخ » و « مونيخ » و « هايدلبرغ » وقد ذهب الى امريكا وعلـّم في جامعتي « هارفارد » و« كورنيل » فيها ، كان أغاسيز ـ وهو ابن اسقف مواتييه ـ بروتستانتي المذهب ، وكان شديد التمسـك بدينه ، وهو من الافذاذ المتدينين الذين برعوا في العلوم مع التمسك بدينهم ، يعتبر اغاسيز حجة في علم الاسماك وطبائعها ، وكانَ من أشد المعارضين لنظرية التطور والارتقاء ، وتعتبر أقواله حجة في معارضته نظرية داروين ، بصفته أحد العلماء الافذاذفيعلم الطبيعة ، فقد رفض اغاسيز الاعتراف بنظرية النطور والارتقاء(كما وضعها داروين ولامارك) وصرح بأن النشوء لا يتم الا وفقا لخطة الهية حكيمـة دون القوى النظامية فينا ، ويقول (كما في كتاب عباقرة العلم) ان الاصطفاء الطبيعي (الذي يلهج به دعاة نظرية التطور والارتقاء) اذا ما حل محل الخلق الآلهي فان الانسـان يكون قد جرد من روحه وغـدا آلـة صماء ، ويقول أغاسيز .. ان التفسير الحرفي لنظرية « داروين » يفسـح المجال لتأليـه «سوبرمان ـ نيتشيه» وتمجيد القوى البدنية على أنها الاسـاس الوحيد للسلوك بين الناس ، =

وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الانسان) وتلاها في ندوة العلم الفكتورية ، فقال فيها ما خلاصته .. ان مذهب داروين خطأ علمي باطل في الواقع ، واسلوبه ليس من اساليب العلم بشيء ، ولا طائل تحته .

هكسلي يرد على صديقه داروين

أما العلامة (هكسلي) فبالرغم من انـه على مذهب (اللاادريـة) وصديق حميم لداروين ، فقد ابى ان يسلم بصحة مذهب التطور والارتقاء ، فقد صح عنه انه قال .. انه بموجب ما لنا من البيانات لم تبرهن قط أن نوعا من النباتات او الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي او الانتخاب الصناعي.

ودعا العلامة (تندل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين ، فقال .. انه لا ريب في أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .. ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب داروين .

وقال العالم الايطالي (روزا) ان الاختبار الاصطناعي الذي جربـه بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين .

علماء الشرق الذين عارضوا مذهب داروين

فقال شاب آخر .. وهل احد من فلاسفة الشرق عارض مذهب داروين وناقشه على الصعيد العلمي مناقشة دقيقة .؟.

فقلت له .. نعم ، لقد ناقش فلاسفة الشرق وجهابذة الفكر مـن المسلمين والمسيحيين ، نظرية داروين مناقشة واعية مركزةعارضوا بهـا مذهب داروين وبرهنوا على اهتزاز هذا المذهب وعدم صحته وأنه قـد نال من الاهتمام أكثر مما يستحق .

ولعل اقوى هؤلاء العلماء حجة في نقض نظرية داروين هم :

= وقد كان اغاسيز — في مجال الرد على داروين—يصرح بأن ثمة فرقا واضحا بين تناسل الانواع وبين خلق الانواع ، فالحيوانات تتناسل فتنتج نوعها ، أما الله وحده فقادر على خلق نوع جديد ، وقال .. ان الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست الا افتراضا اعتباطيا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة ، وانه هو ، لا يصدق بأن المظهر البيولوجي الذي كان ولا يزال سائدا على وجه الارض يعود لعمل القوى البدنية دون تدخل القوة الخالقة مباشرة . قال الاستاذ جورج سلستي في كتابه (عباقرة العلم ص ٢٢١) لقد كان اغاسيز أعظم معلم في جيله ، ومكانه ما يزال شاغرا حتى اليوم لم يملاه احد ، كان شخصا نبيلا غاية النبل ، وهو احدى دعائم التقدم والمدنية في العالم .

فيلسوف الاسلام (جمال الدين الافغاني) (٢٢) وعلامة الشيعة الكبير الشيخ (محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهاني) من علماء كربلاء.. والاستاذ ابراهيم الحوراني ، والاب (جرجس فرج صفير الماروني) والاسقف خير الله اسطفان والدكتور حليم عطية سوريال ،

وزيادة في الايضاح فانا هنا سنذكر لكم بعضا من ردود هؤلاء العلماء (مسلمين ومسيحيين) على مذهب داروين ، لان هذه الردود من المتانة والعمق والتركيز بحيث لا يستغني عن الاطلاع عليها من يرغب في معرفة مذهب التطور والارتقاء على حقيقته .

رد الافغاني على داروين

قال الامام جمال الدين الافغاني في كتابه (الرد على الدهريين) أثناء مناقشته لمذهب التطور والارتقاء قال :

---

(٢٢) ترجمة جمال الدين الافغاني

قال الزركلي في الاعلام : هو محمد بن صفدر الحسيني ، جمال الدين .. فيلسوف الاسلام في عصره وأحد الرجال الافذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة .. ولد في أسعد اباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل . وتلقى العلوم العقلية والنقلية ، وبرع في الرياضيات وسافر الى الهند ، وحج سنة ١٢٧٣ هـ ، وعاد الى وطنه ، فأقام بكابل . وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل مارا بالهند ومصر ، الى الآستانة سنة ١٢٨٥ هـ وجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف . ونفي منها (سنة ١٢٨٨) فقصد مصر ، فنفخ فيها روح النهضة الاصلاحية ، في الدين والسياسة ، وتتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده ، وكثيرون . وأصدر أديب اسحاق ، وهو من مريديه ، جريدة « مصر » فكان جمال الدين يكتب فيها بتوقيع (مظهر بن وضاح) أما منشوراته بعد ذلك فكان توقيعه على بعضها « السيد الحسيني » او « السيد » ونفته الحكومة المصرية عام ١٢٩٦ هـ فرحل الى حيدر أباد ، ثم الى باريس . وانشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) ورحل رحلات طويلة فأقام في العاصمة الروسية « بطر سبرج » كما كانت تسمى ، أربع سنوات ، ومكث قليلا في ميونيخ (بالمانيا) حيث التقى بشاه ايران « ناصر الدين » ودعاه هذا الى بلاده ، فسافر الى أيران . ثم ضيق عليه ، فاعتكف في أحد المساجد سبعة أشهر ، كان خلالها يكتب الى الصحف مبينا مساوىء الشاه ، محرضا على خلعه . وخرج الى اوروبا ، ونزل بلندن ، فدعاه السلطان عبد الحميد الى الآستانة ، فذهب وقابله ، وطلب منه السلطان ان يكف عن التعرض للشاه ، فأطاع . وعلم السلطان بعد ذلك أنه قابل « عباس حلمي » الخديوي ، فعاتبه قائلا .. اتريد ان تجعلها عباسية ؟ ومرض بعد هذا بالسرطان ، في فكه ، ويقال دس له السم . وتوفي بالآستانة سنة ١٣١٥ هـ وكان ميلاده في أسعد اباد (بافغانستان) سنة ١٢٥٤ هـ ، وقد نقل رفاته الى بلاد الافغان سنة ١٣٦٣ هـ ، وكان عارفا باللغات العربية والافغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية ، واذا تكلم بالعربية فلغته الفصحى ، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، كريم الاخلاق كبير العقل ، لم يكثر من التصنيف اعتمادا على ما كان يبثه في نفوس العاملين وانصرافا الى الدعوة بالسر والعلن . له (تاريخ الافغان) و (رسالة الرد على الدهريين) ترجمها الى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده .

راس القائلين بهذا القول داروين ، وقد ألف كتابا في بيان أن الانسان كان قردا (٢٣) ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على تتالي القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ أوران أوتان ، ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان فكان صنف (النيمنم) وسائر الزنوج ، ومن هناك عرج أفراده الى افق أعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي .

وعلى زعم داروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور ، وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك .

ثم يناقش الافغاني (داروين) في ناموس التحول والتباين الـذي يزعمه (ضمن نظريته) فيقول :

فان سئل داروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة من ازمان بعيدة لا يحدها التاريخ (الا ظنا) واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب في اختلاف كل منها عن الاخر في بنيتهأو أشكال أوراقه وطوله وقصرهوضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره ، فأي فاعل خارجي أثَّر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟.. اظن لا سبيل الـى الجواب سوى العجز عنـــه .

ثم يستمر العلامة الافغاني في الرد على داروين قائلا :
وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسبين تشاركها في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد ، ترى فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيدا في الالوان والاشكال والاعمال ــ فما السبب في هذا التباين والتفاوت ؟ فلا أراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر .

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البني والصور والقــوى والخواص ، وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق من الحشرات المتباينة في الخلقة ، المتباعدة في التركيب ، المتولدة في بقعة واحدة ، ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة .. فماذا تكون حجته في علة اختلافها ؟.. بل اذا قيل له أي هاد هدى تلك الجراثيم في نقصهـــا وخداجها ؟.. واي مرشد ارشدها الى استتمام هــذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو اداء وظيفته وايفاء عمل حيوي مما عجز

(٢٣) لم يثبت عن داروين القول بأن الانسان تحدر من القرد وانما الثابت عنه (كما في مؤلفاته) أنه قال انه من المحتمل ان يكون الانسان والقرد قد تحدرا من أصل واحد .

الحكماء عن درك سره ، ووقف علماء الفسيولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه ، وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا اطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية ؟.. لا ريب انه (أي داروين) يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة ، يدفعه ريب ويتلقاه شك الى ابد الآبدين .

ثم يكر الفيلسوف الافغاني على ما يتشبث به الداروينيون مما يسمونه قانون المطابقة الذي بموجبه يكون لظروف المعيشة سبب في تحوّل الانواع وتطورها الى غيرها ، فيقول :

وكاني بهذا المسكين (يعني داروين) وما رماه في مجاهيل الاوهام (٢٤) ومجاهيل الخرافات الا قرّب المشابهة بين القرد والانسان ، وكأن ما اخذ به من الشبهة الواهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية .

وانا نورد شيئا مما تمسك به ، فمن ذلك أن الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعرا من الخيل المولودة في البلاد العربية ، وانما علة ذلك الضرورة وعدمها . ونقول .. ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها اوجد علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة .. والضخامة والسمن في أهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة .

ثم يبطل الامام الافغاني مذهب داروين القائل بحدوث التحولات الجذرية في الحيوانات عن طريق الوراثة بقوله :

ومن واهياته ما كان يرويه داروين من ان جماعة كانوا يقطعون اذناب كلابهم ، فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذناب .. كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته .. وهل صمّت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفا من السنين ، لا يولد مولود حتى يختتن .. والى الان لم يولد واحد منهم مختونا الا لاعجاز .

ثم يقول السيد الافغاني موجها نقده للماديين عموما :

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم

---

(٢٤) أثبتنا في صلب هذا الكتاب عدة مرات أن اساس مذهب داروين انما هو الظن والوهم والحدس والتخمين ، وانه لم يصل (في اية ناحية من نواحيه) الى مرتبة الحقائق التي لا تقبل الجدل .

ابذوا آراءهم واخذوا طريقا جديدة .. فقالوا ليس من الممكن أن تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال العجيبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره ، ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية .. والموجب لاختلاف الصور والمقدر لاشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء .. متيير ، وفورس ، وانتليجانس ، اي مادة وقوة وادراك ، وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلامسها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الاشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصور الاجساد ، نباتية كانت أو حيوانية تراعي بما يلابسها من الشعور وما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشيء لها من الاعضاء والالات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعيةمع الالتفاف الىالازمنة والامكنة والفصول السنوية .. هذا انفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعدما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف نفق ، وما هو اقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبقعلىسائر اصولهم،فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجساممركبة من الاجزاء الديمقراطيسيةـ نسبة الىديمقريطسـولا ينطبقرايهم الجديد في هذا النظام الكوني على رايهمفي تركيب الاجسام، وذلك لانه يلزم عن القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسي شعور خاص ، كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بها عن سائر الاجزاء ، اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين ، فلا يقوم علم واحد بجزاين ولا بأجزاء .

ثم يختم الافغاني هذا الفصل من الرد على داروين بقوله :

وبعد ذلك فأني سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ؟. وباية آلة افهم كل منها باقيها بما ينويه من مطلبه ؟ واي برلمان أو اي سنات ــ مجلس شيوخ ــ عقدت للتشاور في ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف ؟ واني لهذه الاجزاء أن تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب ، فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته اليها ؟.. ا. هـ

عالم شيعي يناقش مذهب داروين

أما علامة الشيعة الشيخ محمد رضا التقي الاصفهاني ، فقد تقد مذهب داروين ، الا انه ــ مع عدم تسليمه بصحة هذا المذهب ــ كان اخف وطأة في هجومه على داروين من الفيلسوف الافغاني ، وكان مع ذلك أكثر تعمقا في المناقشة ، واكثر دقة في البحث والمقارنة .

ولقد كان العلامة الشيعي ــ مع رفضه لمذهب داروين ــ لا يرى في

القول بالنشوء والتطور والارتقاء اي الحاد او انكار للخالق سبحانه وتعالى ، وقد تضمن كل مناقشاته لمذهب النشوء والارتقاء كتاب اسمه (نقد فلسفة داروين) .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد (رحمه الله) في كتابه (الانسان) ص ١٠٥ .. وبعد كتابة (الرد على الدهريين) بنحو من ثلاثين سنة ، ظهر كتاب نقد (فلسفة داروين) لمؤلفه الشيخ (محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهاني) وهو باحث فاضل من علماء الشيعة بكربلاء المعلى تحرى فيه النظر في مجموعة وافية من مراجع مذهب النشوء العربية والافرنجية .

وقال في وضع آخر .. وانصف المؤلف مذهب النشوء ، فلم يحسبه من مذاهب الالحاد والتعطيل لان القول بالنشوء لا يقتضي انكار الخالق وانما يتسرب إليه الالحاد من تفسيرات الماديين لمقدماته على الوجه الذي يوافق نتائجهم المقررة عندهم قبل ظهوره، فيقول المؤلف عن فلسفة النشوء والارتقاء انها ليست مما ينافي الدين ، اذ الذي يجب علينا اعتقاده هو ان جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات من نباتاتها وحيواناتها ، والبشر على صنوفها واختلاف لغاتها ، صنع اله واحد قادر حكيم قد وسع كل شيء علما واتقنه صنعا .. خلق جميع الاصناف من جميع الانواع عن قصد واختيار .

وهذا امر متفق عليه في جميع الاديان .

واما كيفية الخلق وأن هذه الانواع كلها خلقت خلقا مستقلا ، وانها لم تتغير عما وجدت عليه في أوائل الخلق ، فهذا أمر لم يرد به نص صريح من الكتاب والسنّة ولا متواتر من السنة .

وسواء كانت آباء الجمل جمالا أو كانت ضفادع تنق في الماء ، والجد الاعلى للفيل فيلا أو (سنونوا) يطير في الهواء ، فان أدلة الصنع عليهما في الحالين ظاهرة ، وفيها على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة ، ففرحة الملاحدة بهذه الاراء وجعلها أساسا للالحاد من اغرب الاشياء .

ثم يقول المؤلف : ان هذه الاراء « ليس فيها الا بيان ترتيب المخلوقات وكيفية الصنع فيها ، ومتى كان أهل الدين ينكرون ذلك ويدعون أن الله تعالى خلق جميع الاشياء في وقت واحد خلقا مستقلا عن الاخر ؟؟ وهم يرون الله تعالى بلطيف حكمته وبديع صنعته يخلق الثمر من الشجر ، والشجر من النواة ولا يجعل العنب حلوا الا بعد ما يجعله حامضا ، ولا يجعله حامضا الا بعد ما يجعله مرا » .

وينتقد المؤلف حجة المشابهة بين الانسان وبعض أنواع الحيوان (في مذهب داروين) فيقول :

بل لعل في الحيوانات الدنيا من شبه الانسان أقساما لا توجد في العليا ، فلا يصح الاعتماد على مجرد المشابهة .. وهذا الاستاذ الشهير (كوفييه) يقول ان ادراك القرد ليس أرقى من ادراك الكلب الا قليلا .. واذا سلمنا أن من لوازم المشابهة التحول ، فكيف يتعين تحول الانسان عن حيوان نشأ عنه القرد ؟ فلعل الانسان تحول قردا ... وهذا ما نص عليه الذكر الحكيم .

وبعد مناقشة العالم الشيعي قرينة الشبه بين الانسان والقرد التي هي احدى حجج النشوئيين ، مضى يناقش القرائن الاخرى التي يستند اليها الداروينيون للقول بتحول الانواع وتحوّل النوع الانساني من بينها ، عن أصله المشترك بينه وبين الفقاريات العليا ، فنهج في مناقشته على هذا المنهج الذي يستمد الدليل من أصول الجدل المنطقي تارة ومن تجارب الواقع تارة اخرى ..

وافادته مطالعاته المتفرقة لمراجع المذهب.. فلم يخطيء مواضع الحجة الواقعية احيانا ، مع اعتماده الغالب على منهج النقائض الجدلية . ومن قبيل ذلك انه عمد الى دليل من اقوى ادلة النشوئيين وهو بقاء الاعضاء الاثرية (٢٥) ـ كالثندوة ـ في ذكور الانسان ، فتساءل .. قائلا « لا أدري لماذا بقي أثر عار الخنوثة ظاهرا في الانسان ، ولم يبق فيما هو ادون منه في سلم الارتقاء كذوات الحافر » ولم ينس ان يستدرك على هذا الاعتراض بما اسنده الى ما قال الرئيس (اي ابن سينا) في الشفاء « ان الفيل الذكر له ثدي كما للانسان،وذكور ذوات الحافر لا ثدي لها الا ما يشبه امهاتها وينزع اليها كما يعرض مرارا في الخيل » .

وجملة راي المؤلف ان ما يسمى بالاعضاء الاثرية يدخل في باب « الشذوذات » التي تعرض لتركيب بعض الاحياء ، وهي اجنة في بطون امهاتها ، أو تعرض لها خلال نموها ، وعدّد من ذلك ما يولد وله اربع أيد او ما يولد وله جوف واحد وراسان واربع اقدام ، أو ما يولد وقلبه في غير موضعه ، ثم قال متسائلا :

« فهل يمكن تعليل هذه الشواذ المشنوعة بحيوانات كانت كذلك في العصور الجيولوجية فانتقلت الى هؤلاء التعساء بناموس «الاتافيسيم»؟. فان لم يكن ذلك فلتكن الشواذ التي فيها بعض الشبه بالحيوان من هذا القبيل ؟ » .

---

(٢٥) أنظر بحثنا المستفيض المفصل في مناقشة احتجاج الداروينيين بوجود الاعضاء الاثرية في صلب هذا الكتاب تحت عنوان (أقوى حجة للملحدين في النظرية .

ومنهج المؤلف في نقد الانتخاب الجنسي ـ وهو سبب هام من أسباب التطور ـ كمنهجه فيما تقدم ، فهو يبدأ بالانتخاب الجنسي في النباتات .. ويسأل .. كيف يقع الانتخاب الجنسي بين النباتات التي لا يتوقف تلقيحها على الحشرات والطيور ؟ وكيف تميز الحشرات والطيور ما هو جميل وما هو اجمل ؟ ثم يقول .. « ان العجماوات قليلة الادراك لما في المصنوعات الجميلة من الجمال حتى ان بعضهم جعل ذلك أعظم فارق بين الانسان وبينها ، وكان الاستاذ هكسلي (٢٦) ممن يذهب هذا المذهب » .

قال .. (ثم هب ان هذه الحيوانات الملقحة عذرية الهوى والغرام ، وهائمة بالجمال كعورة بن خزام .. ولكنها لا تريد مغازلتها بل تطلب رزقها المقسوم لها ، وعند أي نبات وجدته لقحته حسنا كان او قبيحا فلا ادري بم يعلل هذا الحسن والانتظام في الفواكه والاثمار وما فيها من الطعم المحبوب والنكهة الطيبة ونحوهما مما لا يوجد الا بعد التلقيح ؟)

ثم انحى المؤلف (الاصفهاني) على أساس مذهب التحول (في نظرية التطور والارتقاء) لانه قائم على افتراض تعدد الانواع بعد انفرادها أو قلتها ، وليس هذا الافتراض باللازم ضرورة من قياس العقل ولا من نتائج الواقع :

« ومن الطريف في هذا الرأي أنه يعلل به القول باتحاد أصول الانواع أو قلتها ، كذلك يمكن القول بعكس ذلك والتعليل له أيضا ، فيقال ان أصول الاحياء كانت في بدء الخلق متباينة بأقصى ما يكون من التباين وعدم التشابه (٢٧) فلم يزل كل حي يخلف نسلا يشبهه بناموس الوراثة ويباينه بناموس المباينة

---

(٢٦) ترجمة هكسلي

هو ، توماس هنري هكسلي ، عالم انكليزي ، ولد عام ١٨٢٥ م وتوفي عام ١٨٩٥ م ، كان من أكبر أساتذة علم الاحياء في القرن التاسع عشر ، كان قد تخرج في الطب من جامعة لندن ، وكان من أكبر الجراحين في البحرية البريطانية .. الا أنه بعد ذلك عين استاذا للتاريخ الطبيعي في « كلية التعدين » ، وهكسلي هو الذي وضع مصطلح « اللاادرية » في اللغة ، وهو يعني التوقف في مسئلة وجود الباري سبحانه وتعالى ، وعدم البت فيها لا بنفي ولا اثبات ، وهو من أشهر القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وكان شديد المهاترة في مناقشة الخصوم ، وكان هكسلي على مذهب « اللاادرية » فقد قال في أحد اجتماعات نادي الجمعية البريطانية ، لقد ذكر احد أعضاء هذا النادي بأن الاغلبية منا تكفر بالله وتنكر وجوده ، أما أنا ردا على ذلك بأني « لا ادري » وحسب .. أي أن عقلي قاصر عن ادراك معنى الوحي الالهي فأنا حقا لا اعرف .. قال الاستاذ جورج سلستي الذي نقل عنه هذا القول في كتابه (عباقرة العلم ص ١٩٧) .. ويتضح لنا من كلمته تلك أنه مسلم غير مؤمن اكثر منه جاحدا ينكر وجود الله، فهو خارج على المعتقد الكنسي وليس مارقا يتبرأ من الدين .

(٢٧) وهذا القول عكس مذهب داروين في التطور والارتقاء .

لكن بما يقربه الى فرد آخر ، فلم تزل تلك المباينات مع الاجداد تزيد المشابهات مع سائر الافراد ، وتنازع البقاء يلاشي الضعيف ، والطبيعة (كما يزعمون) تنتخب القوي حتى صارت التباينات التي قلنا أنها مع غير المشابهات ثابتة ، فتألفت منه الانواع الموجودة .. وله شواهد على مذهب هؤلاء ، فالحية مثلا تعد الآن من جنس الدبابات ولا تجتمع معها في الاصل بل اصلها من ذوات الارجل ، وقل مثله في الحيوانات المنحطة التي يذكرها بخنر وغيره فانها الان تؤلف جنس المنحطات وهي بعيدة في الاصل منها ..»

أصل لغات البشر

ثم قال .. « وهذا الاحتمال .. وان لم اجد احدا قال به في أصول الانواع ، ولكنه أحد القولين المشهورين في أصل اللغات .. وعند العلماء مذهبان شهيران ..

الاول أن لغات البشر متشابهة ، وهي كلها من اصل واحد .. وهذا الاصل قد تفرع وتنوع فتولدت منه لغات البشر المختلفة ، فما اللغات سوى لهجات من لغة واحدة ولكنها بعدت عن الاصل كثيرا وتغيرت بالزيادات والنقصان والنحت والحذف حتى بعدت بعضها عن بعض هذا البعد الشاسع وتعذر رد بعضها الى بعض لفقد الحلقات الكثيرة من بينها ..

والمذهب الثاني أنه كانت للغات البشر أصول مختلفة بحسب عدد طوائفها ، وانه مع الزمان اقتربت هذه اللغات بعضها من بعض فتمازجت وتشابهت الخ .. وعند الكاتب أن المذهب الثاني اقرب الى الصحة وأقدر على حل المشكلة من الاول .. »

وتابع العلامة الشيعي بحثه في النشوء ونقده للنظرية التطورية ، فاستطرد منه الى البحث في الارتقاء وسأل :

« اي معنى لارتقاء ذوات الاربع عن الطيور ، وارتقاء الانسان عن ذوات الاربع ، مع اشتراك الكل في حصول التغير ؟ » .

ثم ينتهي المؤلف في بحثه الى ان مذهب د .وين مذهب ناقص لا توجد فيه حجة قاطعة يعتمد عليها غير قرائن الترجيح والتغليب ... غنى له عن المزيد من البحث والتنقيب ، كما قال بعد أكثر من خمسمائة صفحة على هذا المنهج مستندا الى قول (فيرسو) العالم الالماني .. « انه في بعض طوائف الناس صفات يشاركهم القرد فيها ، كما في بروز الفك وفطس الانف مما يجعل العلاقة قريبة بين تلك الطوائف والقرود حتى يحتمل ارتقاؤها

من القرود ، ولكن بين الاحتمال والقطع بونا شاسعا ، لان الصفات المشار اليها لا تقوّم نوع القرد بل المقوّم له خواص اخرى ، وكل قدة من جلده كافية لتمييز نوعه من غيره من الانواع .

ولا اظن ان واحدا من المشرحين المشهورين يرتاب في ذلك ، والفرق بين الانسان والقرد واضح جدا حتى أن كل قطعة من الواحد كافية ليستدل منها على النوع المقطوعة منه .. فالادلة على النشوء الفعلي قاصرة جدا لا يبنى عليها حكم ، ولا بد من أن يزيدنا البحث والتنقيب للوقوف على أدلة اخرى قوية .. » اهـ .

علماء مسيحيون يناقشون مذهب داروين

اما العلماء المسيحيون الشرقيون الذين ناقشوا مذهب التطور والارتقاء واثبتوا عدم صحته فهم كثيرون ، ولعل أقوى هؤلاء حجة (فيما وصل الينا) هم أربعة من مشاهيرهم ، ناقشوا مذهب داروين على الصعيد العلمي والديني .

الاب جرجس فرج يناقش النظرية

واحسن ما رايت من مناقشة هؤلاء المسيحيين الشرقيين لنظرية التطور والارتقاء مناقشة الأب جرجس فرج صفير الماروني مدرس الفلسفة بالمدرسة اللبنانية في قرنة شهوان .

فقد اصدر هذا العالم الماروني سنة ١٨٩٠ م كتابا ناقش فيه أنصار مذهب التطور والارتقاء مناقشة اثبت بها أن هؤلاء ليسوا على شيء وأن مذهبهم انما بني على الوهم والتخيل .

وقد نهج نقاشه نهج الحوار بين خصمين سمى احدهما بالانسان القردي وسمى الآخر بالانسان الآدمي ، وأدار الحجاج بينهما على هذا المثال الذي نسمعكم اياه منقولا من كتاب (الانسان في القرآن الكريم) ص ١١٤ :

الآدمي ــ أين تجدون أشكال الانتقال من يد قرد الى رجل انسان ؟ ، افهل عثر على ذلك أحد علمائكم ؟ فان لم تعثروا على شيء من ذلك فالانسان القردي لا يكون له وجود ..

القردي ــ ان المباحث البالونتولوجية « الحفرية » والحق يقال لم تات بما يعرب عن تسلسل بين الانسان والقرد او احد انواع الحيوانات .. على أن أساتذتنا قد اجمعوا على أنه من المحتمل ان من الحيوانات التي على شكل حصان البحر ما يتحول الى حيوان قوائمه على شكل قوائم الخنزير ،

وان منها ما قد يتحول الى الماعز ومنها الى الخرفان ... الخ .

الآدمي — فان كان ذلك من طوالع المحتمل لا من امارات اليقين ، فأين العلم الحقيقي الذي تعوّلون عليه ؟.

القردي — نعم .. اننا لم نجد الى الآن أثرا الى الانسان القردي ، غير أن العلم لم ينه قضاءه .

الآدمي — ولكن ماذا يكون هذا العلم الذي يقضي بخلاف الواقع ؟ فاننا نرى الأنواع لا تتغير عن ذاتها وان كثرت فيها الانسال ، فان قلت لا فارق بين النوع والنسل اسكتتك العلائم الفزيولوجية ونحن نحصرها في امر وهو النتاج .

القردي — ومن يمكنه أن يرسم تخوم النوع ، والعلماء لا يكادون يتفقون على شيء منه ؟.

الآدمي — أو يكون الجهل في اصل شيء او في علته حجة في انكار وجوده ؟ افنفقه ما للعلائم الجوية والأرضية من الاسباب والعلائق ؟ ونحن مع ذلك لا ننكر وجودها .. انا نعلم ان المولود من قران الفرس والحمار لا يكون الا عاقرا ، فنقول .. لا بد من فرق نوعي في مولده .. افجهلنا في رسم حدوده يمكننا من انكار وجوده ؟..

القردي — الا اني اعرف من اصحابكم من يقول بامكانية مذهب التحول.

الآدمي — لا نجهل أن البعض من أصحاب الايمان يحبون أن يوفقوا بين التحول والايمان ، فيقولون .. ان الله سبحانه قد جبل آدم من تراب ، قد عركه كثير من المولدين من الخازباز الى آخر حيوان ذي اربع قوائم ، فأخذ الله هذا الحيوان الاخير من السلسلة المتحولة وهو القرد ونفخ فيه النفس البشرية ، وعليه فيكون آدم نتاج عمل محول وخالق معا .. وأبين لك في غير مفاوضة كيف يعمه هؤلاء في الضلال .. ومن العجيب كيف لا يفقهون أن هذا المذهب انما تنفيه الفلسفة نفسها كما سبق بيانه .

القردي — أو هل تنفيه الفلسفة لو افترضنا تدخل الله عند انتقال كل من الانواع كما تدخل عند خلق الانسان ؟.

الآدمي — اذا افترضت تدخل الله سبحانه كان لا بد من تعويض نفس بنفس .. اما هذا التعويض فيتم اما بوجود القرد الاول الذي تكون أو في بداية الانتشار ، وكلا الافتراضين لا يتحقق .. اما الاول فلأنه يفترض قتل الحي ثم اقامته أو ملاشاته ثم اقامة آخر بدله .

القردي — قرات في كتب بعض اصحاب مذهب التحول أن التمايز

انما ينتج من عمل صدفة يدور عليها الانتخاب الطبيعي فما قولك فيه ؟.

الآدمي ـ قد سبقهم الى مثل هذا القول غيرهم من الملحدين الذين يؤيدون المادة .. ونحن نوقفك على ادلة تذكر ما يعوّلون عليه من فعل الصدفة في تمايز الكائنات .

ان الصدفة لا تقع الا في الاشياء التي يمكن لها ان تكون على خلاف ما هي .. فقد يمكن للطاولة التي يصنعها النجار ان تكون مربعة أو مدورة ، اما الاشياء التي هي من الضرورة ، ودائما ، فلا يمكن لها أن تحدث بطريق الاتفاق .. ولكن من الاشياء ما لا يمكن له أن يكون على خلاف ما هو ، مثل الجواهر البسيطة وذوات الاشياء وحقائقها ومثل الاعمال التي تصدر عن فاعل لا يصادمه في فعله شيء ، كالجاذبية مع قطع النظر عن كل مانع يصادمها في فعلها ، وعليه فان هذه الاشياء لا تقع عليها الصدفة .

أتظن أن للصدفة أن تجعل الكلب حمارا والحمار كلبا .. ونحن نشاهد أن الحركات والافعال انما تلي تمايز الاشياء ولا تسبقها .. أو لا ترى أن السفينة لا تتحرك ولا تجري قبل أن يجعل كل من آلاتها في موضعه على هيئة من التمايز لا ينبغي ان يشوبه ادنى خلل ؟.

ويفضي هذا الحوار الى عجز الانسان القردي عن الجواب .

الاسقف خيرالله اسطفان

اما الاسقف خيرالله اسطفان وهو عالم مسيحي عربي ، فقد أصدر كتابا اسمه (صفوة علم اليقين في حقيقة مذهب داروين) سنة ١٩٢٩ م تناول فيه مذهب داروين بالبحث ، وذكر الادوار التي مرت بهذا المذهب وما لاقاه من مقاومة عنيفة ابان ظهوره ، وما بدا عليه من تصدع وتهدم بعد أن تعرض للبحث والتمحيص في العقد الاول من القرن العشرين .

فقد نقل عن العالم الالماني ادوارد فون هراتمان كلاما قال فيه : « انه في سنة ١٨٦٠ م كانت مقاومة الافذاذ من العلماء الشيوخ لنظرية داروين شديدة ، الا انه في سنة السبعين اخذت هذه النظرية تنتشر في كل صقع تقريبا ، وفي سنة الثمانين كان نفوذ المذهب الداروني عاما ومطلقا حتى كاد يبلغ بسموه سمت الراس ، وفي سنة التسعين بدات بعض الشكوك تعتلي وبعض المقاومات تظهر ، وعلامة التصدع والانهدام تبينت واتضحت .

وفي العقد الاول من الجيل العشرين بدات ايام المذهب أن تكون معدودة وقال ان من بين مضاديه وداحضي حججه من أعلام العلماء ايمر ، وغوستاف وولف ، ودي فريز وفون والشتين ، وفليشمان ، ورينك وغيرهم كثيرون .

وقد رفض الاسقف اسطفان مذهب داروين ، ولم يسلم بأن الانسان تحول عن غيره من الحيوان ، لأن هذا لم يثبت علمياً ولم يشهده احد ، وطالب انصار المذهب بالحلقة التي يعترف الداروينيون بأنها مفقودة ، والتي لم ير لها اثر او عين بين الاحياء ولا بين الاموات ، لا في الاحافير ولا في المتحجرات .

الا أن الاسقف المذكور مع رفضه مذهب داروين ، لا يرى فيه (اذا ثبت) اية مناقضة للدين .

وقد جاء هذا صريحا في قوله متسائلا : « اذا ثبت مذهب النشوء هل يناقض الدين ؟ » والذي اجاب عليه قائلا « اننا نجيب مع العلماء النزيهين المجردين من الاغراض والاهواء بالنفي ، وانه لا يضاد مقاصد الخالق وغاياته » .

واستشهد ببحث للدكتور مكوشي الذي يقول فيه «ان النشوء بجميع مذاهبه لا ينفي مقاصد وغايات الباري عز وجل ، فالاستاذ هكسلي النشوئي الكبير والمادي المعروف بين الناس النبهاء سلّم بكون النشوء لا يلزم منه نفي مقاصد الله ، وان ترتب او توقف مخلوق على آخر او عملهما معا لاتمام مقصد جيد أو اكمال غاية حسنة كالحياة للنبات وطيب العيش للانسان لهو دليل واضح عند كبار العلماء على مقاصد الله .. فالذي يصنع آلة تعمل هي آلة مثلها ، لهو احذق واقدر وأحكم من الذي يصنع آلة تقتصر على العمل المقصود منها ولا تتعداه » .

نقض الدكتور حليم عطية لمذهب داروين

اما الدكتور حليم عطية سوريال الطبيب الاول لسجن اسيوط ، فقد نسف مذهب داروين بأدلة علمية وعقلية لا تقاوم ، وذلك في كتاب أصدره عام ١٩٣٧ م بعنوان (تصدع مذهب داروين والاثبات العلمي لعقيدة الخلق) وقد لفت الانظار فيه الى انه من الخطأ الاعتقاد الشائع أن انكار مذهب التطور والارتقاء مقصور على رجال الدين ، ذلك أن من كبار العلماء الطبيعيين من يرفض هذا المذهب ولا يسلم به ، وذكر في كتابه أن من بين هؤلاء العلماء ، عميد كلية الطب بجامعة مونبليه وأستاذ علم الاجنة فيها ، والاستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبيعي بباريس الذي كان ينفي مذهب داروين بقوله « اننا لا نعلم كيف تكونت الانواع الحية .. اننا نعلم فقط انها غير قابلة للتحول واننا على يقين بأن داروين ولامارك لم يكتشفا الناموس لطريقة تكوينها » .

وقد سرد الدكتور سوريال في كتابه المذكور أسماء كثير من اساطين

علماء الطبيعة المعارضين لمذهب التحول والتطور ، وذكر أن رايهم في الاختلاف بين الانواع يتلخص في « ان جميع تلك العوامل لا يمكنها أن تغير انواعا من الانواع الحية الى نوع آخر ، وكل التغيرات التي يمكنها أن تحدثها سطحية لا تمس التركيب الجوهري للحيوان او النبات وبعضها باثولوجية ـ مرضية ـ (٢٨) تقود الى انقراض النوع ، ولقد قال العالم الايطالي روزا .. ان الاختبار الاصطناعي الذي جربه بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين » .

ويقول الدكتور سوريال في كتابه ان الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الاحياء ، وليست بالناقصة بين الانسان وما دونه فحسب « فلا توجد حلقات بين الحيوانات الاولية ذات الخلية الوحيدة والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة ولا بين المفصلية ، ولا بين الحيوانات اللافقرية والفقرية ، ولا بين الاسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الاخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرتها على ترتيب ظهورها في العصور الجيولوجية » .

ثم ينفي الدكتور سوريال الزعم القائل (في مذهب داروين) أن الانسان كان (أثناء بعض فترات تطوره) ضعيف الجسم غير مكتمل البنية ، وناقصا في عقله وادراكه وتفكيره .. ينفي الدكتور سوريال هذا الزعم الدارويني بقوله :

كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم وضعيف العقل أن يعيش وحوله الاسد والفيل والدب والنمر وغيرها من الحيوانات المفترسة ؟.

ويؤكد الدكتور سوريال اهتزاز مذهب داروين ، بقوله : « ان مشكلة الحلقة المفقودة بين الانواع هي مشكلة المشاكل في تمحيص مذهب داروين ، وانها ـ أي المشكلة ـ لا تزال على قوتها بعد انقضاء مائة سنة على ظهور كتاب أصل الانواع (لداروين) واستئناف التعليق عليه بين خصوم المذهب وأنصاره الذين استجمعوا غاية ما استطاعوا لحل هذه المشكلة عند الاحتفال بذكرى مرور القرن على ظهور ذلك الكتاب ا هـ . »

الأستاذ الحوراني ومذهب داروين

أما الاستاذ ابراهيم حوراني ـ وهو من علماء اللغة ومن ذوي الاطلاع الواسع على المباحث العلمية ، فقد ناقش مذهب داروين مناقشة علمية

---

(٢٨) انظر في هذا الكتاب تحت عنوان (مشاهدات تنقض حجة داروين) قصة واقعية يرويها المؤلف تقيم الدليل على اهتزاز ادلة النشوئيين في القول بالتطور والارتقاء .

وعقلية ، ردّ بها على هذا المذهب في رسالتين ألفهما ، احداهما (مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء) والاخرى « الحق اليقين في الرد على بطل داروين » قام بطبعها في بيروت سنة ١٨٨٦ ، وقد كان هجومه مركزا على نواحي الضعف في مذهب داروين ، وهو اهتزاز أدلته وعدم ثبوتها واعتماد هذا المذهب على الشواهد التي لا تعطي اليقين وتذهب بالشكوك ، أو تسكت المعترض بدليل قاطع لا يقبل الجدل ، وانما تفسح المجال للافتراض والتخمين الذي هو أساس المذهب .

وقد اشار الاستاذ حوراني في ردوده الى العلماء الراسخين المختصين الذين لم يثبتوا مذهب داروين ، بل لقد نفوه وطعنوا فيه مع علمهم أن داروين قضى عشرين سنة في بحثه وتدعيمه .

وقد أورد الاستاذ حوراني (ضمن ردوده) احصاء لبعض علماء الحفريات عن الانواع التي وجدت في بطن الارض ، فقال .. ان ثمانية وعشرين في المائة منها أنواع لم تتغير ، وسبعة في المائة أنواع مهاجرة ، وخمسة وستين في المائة لا سلف لها ، وأما الانواع التي نشأت بالتغير أو الانواع الجديدة ، فلا وجود لها في شيء من بقايا الحفريات .

ويرد الاستاذ حوراني على استدلال النشوئيين بتشابه الاجنة بين الانسان وبعض الحيوان ، فيقول ان علة هذا التشابه « بساطة التكوين وقصر النظر .. بدليل أن التباين يعظم على توالي اقترابهما من كمال التكوين ، فلا ينشأ من بيوض الانسان أو أجنته سوى أناس ، ولا ينشأ من بذرة اللوز الا لوزة » .

ثم يرد على احتجاج النشوئيين بالاعضاء الاثرية ، ويثبت لهم أن هذه الاعضاء (اذا وجدت) فانه لا علاقة لها بالتطور والنشوء والارتقاء الذي يزعمون وانما هي شواذ لا حجة لمذهبهم فيها ، وليثبت لهم ذلك فانه يحيلهم الى بحث التيرانولوجيا ــ أي المشوهات ــ لتفسير الاعضاء الاثرية التي تثبت بعد ولادة الجنين ، والتي من أمثلتها « الاعنش » أي من له ست أصابع وهو من أبسط الامثلة ، والاشوه المزدوج كهيلين وجوديت وهما الاختان العنفاريتان المشهورتان ، كانتا ملتصقتين بالمتنين والافخاذ والاحقاء ، ولدتا سنة ١٧٠١ م وعاشتا اثنتين وعشرين سنة وكانتا مختلفتي السجايا والاخلاق .

وينفي الاستاذ حوراني ان يكون الانتخاب الطبيعي أس الارتقاء الدارويني لان الطبيعة (كما يقول) انما تؤثر في الموجود ، وليس لها أن توجد المعدوم ، فيمكنها (بزعمه) أن تعمي العيون .. ولكنها لا تستطيع أن توجد البصر « ويقتضي مذهب داروين أن لا تجتمع الانواع الدنيا والعليا

بل تتعاقب وتسبق الاولى الثانية ابدا ، ولكن ذلك الاجتماع الذي نفاه داروين ، ثبت في المنقرضات والاحياء » .

واثناء مناقشة الاستاذ حوراني مذهب داروين ، قسم انصار مذهب التطور والنشوء والارتقاء الى ثلاث فرق .. معطلة ولاادرية والهية .. « اما المعطلة فهي التي نفت الخالق سبحانه وتعالى وقالت بقدم المادة .. واما اللا ادرية فهي التي لم تتعرض لنفي الخالق ولا لاثباته .. وأما الالهية فهي التي اعترفت بالواجب تعالى وقالت بأنه خلق المادة والحياة .. ويعتبر الاستاذ حوراني (تشارلز داروين) من هذه الفرقة الالهية حيث يقول .. وانقسمت هذه الفرقة (أي الالهية) الى اثنتين ، ظنت احداهما الانسان ابن القرد أو صنوه ، ومنها (داروين) وقالت الاخرى .. بأن الله تعالى خلق الانسان من البدء انسانا ومنها العلامة (ولاس) .. ويقول الاستاذ حوراني ان علماء هذه الفرقة ــ اصحاب النشوء الالهي ــ هم الذين قالوا بامكان التطور والارتقاء ، ولكنهم قالوا بعدم البرهان على وقوعه ، وبأن عليه اعتراضات لم تدفع دفعا مقنعا » . (٢٩)

علماء الشرق الذين نصروا مذهب داروين

وبعد ان انتهينا من ذكر ردود علماء الشرق المسلمين والمسيحيين على نظرية داروين ، قال أحد الحاضرين .. وهل قام أحد من مفكري الشرق بمناصرة مذهب داروين وتأييد صحته ؟؟

فقلت له .. ان الذي وصل الى علمي (حتى الآن) هو أن الذي ناصر هذا المذهب من العلماء (على صعيد النشر والتأليف) رجلان (الدكتور شبلي شميل (٣٠) و (الدكتور جورج حنا) .

---

(٢٩) أنظر كتاب (الانسان في القرآن) للاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله من ص ١٠٢ ــ ١١٤ ففيه مزيد من التفاصيل عن ردود هؤلاء العلماء الشرقيين على مذهب داروين .

(٣٠) **ترجمة الدكتور شبلي شميل**

هو الدكتور شبلي ابراهيم شميّل (بتشديد الياء) طبيب لبناني ، ولد في قرية كفرشيما (بلبنان) سنة ١٨٥٣ م وتوفي في القاهرة سنة ١٩١٤ م ، قال الزركلي في الاعلام .. كان ينحو منحى الفلاسفة في عيشته وآرائه وتعلم في الجامعة الامريكية ببيروت ، وقضى سنة في أوروبا . وسكن مصر ، فأقام في الاسكندرية ثم في طنطا ، ثم في القاهرة ، وتوفي فيها . أصدر مجلة « الشفاء » سنة ١٨٨٦ م ــ ١٨٩١ م وألف فلسفة النشوء والارتقاء ، وله رسالة « المعاطس ــ ط » صغيرة على نسق رسالة الغفران للمعري ، و « شكوى وآمال ــ ط » رسالة ، و « آراء الدكتور شميل ــ ط » رسالة ، و « سوريا ومستقبلها ــ ط » و « شرح بخنر على مذهب داروين ــ » وكتب شروحا وتعليقات على كتب طبية قديمة تولى نشرها ، كفصول ابقراط ، وارجوزة ابن سينا .

والذي ظهر لي أن اقوى الرجلين واشدهمـا عنادا في مناصرة مذهب داروين بل ومناصرة الجناح الالحادي في هذا المذهب ، هو الدكتور شبلي شميل ، الذي لم يكتف بمناصرة نظرية داروين كنظرية علمية ، بل أعلن خصومته الشديدة لجميع الاديان ونفى وجود الخالق سبحانه وتعالى .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الانسان في القرآن الكريم ص ١٢١) .. اما أنصار مذهب النشوء في الشرق العربي وافصحهم بيانـا الدكتور شبلي شميل ، وقد كاد ان يسبق داروين واصحابـه الى الاخـذ بالنظريات النشوئية على علاتها ، وقد سبق الماديين الغربيين الى نفي كل صفة روحية ، أو غيبية في الانســان ، اذ قال في مقدمـة ترجمته لشرح بخنر (٣١) على مذهب داروين « أن الانسـان على راي هذا المذهب طبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة . وهذه الحقيقة لم يبق سبيل للريب فيها اليوم ، ولو اصر على انكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخا في ذهنه رسوخ النقش في الحجر .. فالانسان يتصل اتصالا شديدا بعالم الحس والشهادة ، وليس في تركيبه شيء مـن المواد والقـوى يدل علـى اتصاله بعالم الروح والغيب ، فان جميع العناصر المؤلف منهـا موجودة في الطبيعة وجميع القوى التي فيه تعمل على حكـم قـوى الطبيعـة .. فهو كالحيوان فزيولوجيا ، وكالجماد كيماويا ، والفرق بينه وبينها فقط بالكمية لا الكيفية ، والصورة لا الماهية ، والعرض لا الجوهر ، ونواميس التغذيـة واحدة فيهما .. غير أن الانسـان يدرك اكثر من الحيوان لأنه اكمل تركيبا من الحيوان » .

وكانت ردود الدكتور شبلي شميل على مناقشته تكرارا لردود داروين وبخنر وغيرهما من القائلين بتحول الانواع ، وفحواها :

١ ــ أن التباينات بين الانواع لا تزيد على التباينات بين أفراد النوع الواحد الا بالوراثة ، وهذه أثر ثابت لا يحكم عليه بالفترة المعلومة من تاريخ الانسان لانها ثبتت بعد انقضاء مئات الملايين من السنين (٣٢) .

٢ ــ وان انصاف الانواع ليس من شأنها أن تعيش وتنقل ميراثها الى زمن طويل ، لأن التوريث مرتبط بتمام الجهاز المميز للنوع وهو لا يتم في انصاف الانواع ، ولكن قد يدل عليه التناسل بين بعض الحيوانات كالخيل

---

(٣١) انظر ترجمة هذا العالم الملحد في هذا الكتاب .

(٣٢) لست أدري كيف تثبت هذه الامور المزعومة لدى هؤلاء الناس وكيف قطعوا بهـا مع انه (كما يزعمون) قد انقضى عليها مئات الملايين من السنين ، بل بأيـة وسيلة علمية قاطعة يستطيعون اثبات مضي هذه المئات من ملايين السنين ؟؟ انه الوهم والتخيـل ، بـل والعناد ليس الا .

والحميز والكلاب والذئاب ، وقد يدل عليه « اكتشاف الطير العجيب ـ الاركوبتركوس ـ الذي وصل بين طائفتين من الحيوان منفصل بعضهما عن بعض انفصالا تاما وهما الطيور والحشرات » .

٣ ـ ان العلماء يخطئون في وضع حدود الانواع ، وقد ذكر داروين « ان النباتي الانجليزي وستن يذكر ١٨٢ نباتا انجليزيا عدّها غيره أنواعا مع انها تباينات ، وقد قال هوكر في هذا المعنى ما نصه .. ان النباتيين يعدون الآن من ٨٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ نوع من النبات ، فالنوع اذن غير محدود » .

٤ ـ ان التحولات لا ينبغي أن يبحث عنها في الانواع الحاضرة (٣٣) لان كلا منها تطور عن أنواع سابقة له في سلسلة هي التي كان يمكن أن يجري بينها التحول في أوانه ، ولكن الانواع الحاضرة تباعدت عن أصولها فابتعدت الاشباه المتحولة فيما بينها (٣٤) .

ثم يعلق الاستاذ العقاد على كلام الدكتور شبلي شميل بقوله .. « ولا ننسى ـ عند تقدير عوامل العناد بين الطرفين ـ أن الدكتور شبلي شميل انما يواجه بهذه الخصومة اللدود سلطان رجال الدين ، فانساق من هذه الخصومة الى خصومة الاديان (٣٥) ، ورأى كما قال في مقدمة الترجمة أن « الملل والديانات أصلها واحد ، وقيامها في الدنيا انما هو لعاملين ، حب الرئاسة في الرؤساء ، وارتياح المرؤوس الى حب البقاء ، وكلاهما لما في الانسان من محبة الذات .. فسطا دهاة الناس على ساذجي العقول منهم ، فساد البعض وسيد على البعض الآخر ، وتم بذلك غرض الفريقين » .

وخاطب رؤساء الدين قبل ختام المقدمة قائلا « سوف يتولى ما بقي ،

---

(٣٣) ان الداروينيين يقولون هذا عجزا منهم عن مواجهة أقوى حجة يحتج بها المعارضون على بطلان مذهب التطور والتحول والارتقاء ، وهي انه منذ فجر التاريخ لم يشاهد أحد ان نوعا تحول الى آخر ، فلم يقل أحد (بل حتى انصار المذهب نفسه) لم يجرؤ احد منهم على القول بأنه قد تم فعلا (وبصورة قطعية) أن ديكا قد تحول الى نعامة الخ .

(٣٤) كل هذا الكلام اذا ما وضعه المنصف تحت مجهر البحث الحر النزيه يجد أن أساسه الوهم ومصدره التخيل والافتراض ، اذ ليس له اي سند من علم معتبر او واقع مشهود ، يمنحه صفة الحقيقة الواقعة ، فهو ليس أكثر من كلام مكرور أنتجه الوهم والتخيل ، يرويه دعاة النشوء والارتقاء بعضهم عن بعض ، ويحتجون به وكأنه كلمات كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(٣٥) وهذا تعسف سافر يرتكبه كثير من المفكرين الجاهلين بحقيقة الاديان ، فهم اذا ما رأوا انحرافا او فسادا من بعض المنتسبين الى الاديان أو نشبت بينهم وبين هؤلاء خصومة شخصية صبوا جام غضبهم على الاديان ذاتها ونسبوا اليها (زورا وبهتانا) كل نقيصة ، كما فعل الدكتور شبلي شميل ، وهذا منتهى الشطط والظلم والاعتداء .

ولربما كان حظكم من ذلك في الشرق اطول جدا لولا أن الغرب باسط فوقه يديه .. ولا تعللوا النفس بما في التاريخ من سقوط بعض الامم .. القت اليكم مقاليد احكامها وسلمتكم زمام أمورها فانه ـ وان حصل ذلك ـ الا انكم لن تبلغوا امانيكم لتوفر معدات التقدم في العلوم والصنائع وانتشار ذلك بواسطة الطباعة » . ا هـ .

الرد على اتهام الشيوعية للاديان

ان هذا الاتهام الموجه الى الاديان الذي أورده الاستاذ العقاد عن الدكتور شبلي شميّل ، ليس من بنات افكار هذا الدكتور ، وانما هو ترديد لما قاله مؤسس الشيوعية العالمية كارل ماركس ، الذي كان يعلم (منذ اللحظة الاولى التي قاده فيها حقده اليهودي الاسود الى التفكير في ابتداع هذا المذهب الالحادي) أن أول خصم قوي سيصمد في وجه مذهبه الالحادي هو الاديان السماوية .

رمتني بدائها وانسلت

ولما كان كارل ماركس يعلم (قبل غيره) أن نغمة الاشتراكية الحلوة التي يضرب الشيوعيون على وترها عند تحسين الشيوعية للناس والدعوة الى اعتناقها ، ليست الا مخدّرا يخدّرون به الفاشلين في الحياة من الكسالى والحاقدين وقصار النظر من العاطفيين والباحثين عن النعيم والمنصب من اقرب الطرق ، فقد سارع هذا الزعيم الشيوعي الى توجيه هذا الاتهام الكاذب الى الاديان .. هذا الاتهام الذي ينطبق (حقيقة) على المذهب الشيوعي ومخترعيه ، وبهذا ينطبق على دعاة المذهب الشيوعي (تماما) ذلك المثل السائر ، ـ رمتني بدائها وانسلت .

ذلك أن المنصف المتجرد من الهوى اذا القى نظرة فاحصة واعية على اصول المذهب الشيوعي وفلسفته وما هيأ هذا المذهب لزعمائه من مناصب وسلطات مطلقة جعلتهم في مصاف الآلهة ، لوجد أن هذا الاتهام الذي يوجهه الشيوعيون للأديان انما ينطبق (كحقيقة واقعة مشهودة) على النحلة الشيوعية التي لم يبتدعها اقطابها الا لتتسلط هذه الحفنة من الزعماء ـ باسم تحقيق النعيم الكاذب المزيف ـ على مئات الملايين من البشر وتتصرف فيهم تصرف الوحوش الضارية في قطعان الغنم الضعيفة الوادعة ، كما هو الواقع المشهود .

والا فان لدينا سؤالا يصعب على دعاة الشيوعية وفلاسفتها أن يجيبوا عليه وهو :

اذا كانت الاديان السماوية ليست الا من صنع الاشخاص الطامعين في التسلط اخترعوها ليتحكموا (باسمها) في سواهم ويسودوا على غيرهم ، وانه لذلك يجب أن تزول هذه الاديان ويخلعها الناس من قلوبهم ، لتحل محلها النحلة الشيوعية العالمية لأن فيها (بزعمهم) الشفقة والرحمة بالفرد وانقاذه من تسلط الاديان وامتهانها لكرامته ؟.. فهل يعطي نظام الشيوعية القائم اليوم للفرد من الحرية الشخصية والشعور بالكرامة والتعبير عن الرأي اكثر مما تعطيه الاديان السماوية (وخاصة الاسلام) للأفراد التابعين لهذه الاديان عندما كان حكمها سائدا على الشعوب ؟.

وهل استطاعت النحلة الشيوعية ان تضع حدودا لسلطة الحاكم لا يتعداها في معاملته للفرد المحكوم كما فعل دين الاسلام (مثلا) الذي قال أول خليفة من خلفائه .. لقد وليتكم ولست بخيركم ، اطيعوني ما اطعت الله فان عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ؟.

بل هل اعطت النحلة الشيوعية الفرد من الحرية مثلما اعطى الاسلام ذلك الاعرابي الذي قاطع اكبر راس في الدولة واقوى خليفة في الاسلام (عمر بن الخطاب) وهو يخطب ، وقال له ـ عندما سمعه يقول أيها الناس اسمعوا واطيعوا ـ لا سمعا ولا طاعة حتى تخبرنا لماذا الثوب الذي عليك اكبر من الاثواب التي علينا نحن افراد الشعب ؟

وهل في فلسفات الشيوعية وتعاليمها وتشريعاتها التي ما جاءت (كما تقولون) الا لتحمي الفرد من تسلط الزعماء وتحكم الحاكمين باسم الدين .. هل في هذه التعاليم والفلسفات والتشريعات ما يجبر حاكما من حكامكم على قطع خطبة يلقيها على شعبه ليستمع (وبصدر رحب) الى انتقاد يوجهه اليه شخصيا فرد عادي بسيط من أبناء البادية ، ثم يناقشه (من على المنبر) مناقشة الند للند كما فعل الاعرابي مع الخليفة عمر الذي لم يستأنف خطابه الا بعد أن اثبت للاعرابي ان الزيادة التي رآها في ثوبه لم يأخذها من مال الشعب ليمتاز بها عليهم ، وانما هي ثوب أحد ابنائه تكرم به عليه ليضيفه الى ثوبه الذي اخذه من مال الامة كأحد افراد الشعب ، والذي جاء قصيرا عليه عند ما اراد لبسه لانه كان طوالا من الرجال ، حتى اقتنع الاعرابي وسحب اعتراضه قائلا ، اما والامر هكذا فسمعا وطاعة يا امير المؤمنين ؟.

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية ـ التي يريد الشيوعيون احلالها محل الدين العالمي ـ ان توفر للفرد العادي من الضمان والطمأنينة ما يجعله يجبر (خروتشوف أو ماوتسي تنج) على قطع خطبته ليدخل في نقاش حر نزيه مع فرد عادي يوجه اليه نقدا شخصيا ، كما فعل الاسلام الذي

اعطى ذلك الاعرابي من الضمان ما جعله يجبر الحاكم الاعلى في الدولة على قطع خطبته (دونما أي خوف او وجل) ليدخل معه في ذلك النقاش الذي أثاره الانتقاد الشخصي الموجه الى عمر بن الخطاب من ذلك الاعرابي ؟.

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية التي ما جاءت الا لتنقذ الشعوب من تسلط الاديان وجبروت الحاكمين باسمها وتقدم لهم حكاما رحماء لا يمتازون عليهم بشيء .. هل استطاعت هذه الشيوعية التي تدعي هذا ، أن تصنع مثلما صنع الاسلام حاكما مثل عمر بن الخطاب الذي كان على ذلك المستوى من المثالية الحقه والعدالة البعيدة كل البعد عن النفاق والرياء ؟.

لقد كان عمر بن الخطاب (قبل أن يدين بالاسلام) أقرب الى الوحشية الضارية منه الى الانسانية المهذبة ، فقد كان (قبل اعتناقه لديـن الاسلام) يضرب به المثل في الطغيان والتوحش والهمجية، ولكنه لما دان بالاسلام وتقيد بتعاليمه جعل منه هذا الدين انسانا آخر حيث استل بتعاليمه السمحـة من نفسه كل ما كان فيها من نقائص الجاهلية وعيوب الوحشية والهمجية ، حتى جعل منه مثلا أعلى للحاكم العادل الذي جعل من نفسه خادما أمينـا للشعب الذي ارتضى أن يكون حاكما عليه ، حتى صار يضرب به المثل في العدل والانصاف .. وكم صنع الاسلام (وهو من الاديان السماوية التي تهاجمها الشيوعية) رجالا من نوع عمر بن الخطاب ، كان ولا يزال ذكرهم الطيب في مجال العدل وتوفير الخير والامن والاستقرار والمساواة للشعوب يعطر أرجاء الدنيا ، وما هذا المجد الباذخ الذي بناه العرب ثم الشعوب الاخرى التي دخلت في الاسلام ، والذي لا يزال (بالرغم من توالي الدهور) أنشودة التاريخ الخالدة يرددها جذلا (رغم أنف الشيوعية والشيوعيين) الا حصيلة تعاليم الاسلام الذي تزعم الشيوعية انه (مع غـيره من الاديان السماوية) مصدر اذلال واستعباد للشعوب والامم .

انني اعتقد (جازما) أن زعماء الشيوعية العالمية الذين يتهمون الاديان ذلك الاتهام ، لو انصفوا فقارنوا مقارنة صحيحة بين ما أعطتـه الاديان ــ وخاصة الاسلام ــ للحاكمين باسمها من سلطات وبين ما منحته الشيوعية من سلطات وصلاحيات لزعمائها ، لاتضح لهم أن أي دين سماوي لم يعط حاكما باسمه عشر معشار ما أعطته الشيوعية الملحدة لهؤلاء الزعماء من سلطات مطلقة ، جعلت منهم ــ لا حكاما مطلقي التصرف فحسب ــ بل آلهة مخيفة سفاحة ، يكون الموت والفناء مصير من يفكر في معارضتهم أو رد كلمة يريدون تنفيذها ، حتى صار الفرد في ظل النظام الشيوعي يكاد يضع قفلا على فمه خوفا من أن تفلت منه كلمة يشم منها رائحة المعارضة لزعيم مـن زعماء الشيوعية ، فتذهب به الى العالم الاخر فورا .

وهذا (في محيط الحكم الشيوعي) شيء أمره معلوم وخبره متواتر

مشهود ، وهو بلاء لم يتعرض لمثله اي فرد في ظل حكم اي دين من الاديان السماوية التي يقول الشيوعيون ان حكمها كان شرا ووبالا على البشرية .

وحتى رجال الكنيسة الحاكمون باسمها في الغرب ، والذين قال عنهم التاريخ الغربي انهم كانوا على غاية من القسوة في معاملة المخالفين لهم ، لم يرو التاريخ أن شعوبهم كانت تعاني من الذل والغاء الشخصية والافناء بالجملة مثلما تعانيه الشعوب الواقعة تحت ظل الحكم الشيوعي اليوم ، اللهم الا ما كان من الملك فرديناند والملكة ايزابلا عند سقوط الاندلس المسلمة في أيديهما ، على أن ما ارتكبه فرديناند وايزابلا من وحشية وهمجية ضد المسلمين لم يكن نتيجة تعاليم الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ، وانما كان نتيجة حقد شخصي كان كامنا في نفوس أولئك الحكام المتوحشين .

بل لقد عرف الباحثون المطلعون على دقائق الاخبار كيف أن رجال الكنيسة هؤلاء لم يسمحوا لانفسهم (وهم في أوج سلطانهم) بأن ينزلوا العقاب بأكبر خصومهم ومعارضيهم ، أمثال لامارك ونيوتن وبختر وأرنست هيكل وداروين ، هؤلاء العلماء الذين سفّه أكثرهم الدين المسيحي وسخر من رجال الكنيسة ودعا الى هدم سلطانهم ، فبالرغم من غضب رجال الكنيسة على هؤلاء العلماء الماديين وحكمهم عليهم بالكفر والالحاد، فان رجال الكنيسة هؤلاء – مع نفوذهم المطلق – لم ينفّذوا في أحد من معارضيهم هؤلاء حكم الموت ، كما يفعل الشيوعيون – لا في من يجاهر بمعارضة النحلة الشيوعية – بل فيمن يشكّون في انه معارض للمذهب الشيوعي، وغير مخلص للمبادىء الماركسية .

فهل بعد هذا يصح للشيوعيين أن يزعموا بأن النحلة الشيوعية خير للبشرية واحفظ لكرامة الفرد واضمن لحريته من الاديان السماوية ، وأن هذه الاديان انما هي من صنع اشخاص اخترعوها حبا منهم في التسلط والسيطرة باسمها على الشعوب ؟.

انني كلما تذكرت مزاعم اقطاب الشيوعية القائلة ان الاديان من صنع اشخاص ابتدعوها للتسلط والتحكم باسمها ، وكلما تذكرت قول كبير مجرميها كارل ماركس « الدّين أفيون الشعوب » تذكرت ذلك المثل العربي السائر (رمتني بدائها وانسلت) ، لانه لم يبق شيء اسمه تخدير وتحكم وتسلط ووحشية بل ونذالة ، لم يرتكبه أقطاب الشيوعية باسم هذه الشيوعية ضد الواقعين تحت نير حكمهم البغيض الرهيب ، وخاصة الذين يفكرون – مجرد تفكير – في انتقاد أو معارضة هؤلاء الاقطاب ، واسألوا مجاهل سيبيريا الموحشة عن عشرات الملايين من الضحايا الذين دفنوا فيها جزاء تفكيرهم في معارضة القائمين على النظام الشيوعي في روسيا .

فامتهان الفرد العادى (شيوعيا كان أو غير شيوعى) ومصادرة حريته والغاء شخصيته واجباره على تأليه الزعماء الشيوعيين وعبادتهم ، وانزال العقاب الساحق المميت بمن يفكر فى معارضة اقطاب الحزب الشيوعى الحاكم هو العمود الفقرى للنظام الشيوعى والحارس القوى المخيف الذى يكفل البقاء لاقطاب الشيوعية فى كراسى الحكم ، ولهذا صارت اليوم اغلى أمنية للفرد العادى فى دائرة الحكم الشيوعى ان يجد السبيل الذى يستطيع بواسطته الافلات من قبضة النظام الشيوعى الرهيب .

ومن لديه ادنى شك فى صحة ما نقول فما عليه الا ان يذهب الى دائرة النعيم الشيوعى المزعوم ليعيش فى ظله كأى فرد عادى ، وهناك سيتجسد له الواقع الرهيب ، وستذهب السكرة لتحل محلها الفكرة .

بل على الذين يشكون فى صحة ما نقول ــ اذا ما ارادوا معرفة حقيقة الجحيم الشيوعى دون أن يعرضوا انفسهم للفح لهبه ــ أن يذهبوا الى برلين الغربية ويقفوا عند الحائط ويلقوا نظرة فاحصة على القطاع الشرقى من برلين الواقع تحت الحكم الشيوعى التقدمى الاشتراكى الديموقراطى الشعبى ، ثم يلقوا نظرة اخرى على القطاع الغربى من المدينة الواقع تحت الحكم الرجعى الراسمالى ، وبالمقارنة الصحيحة المجردة ستتجسد ملامح المأساة الرهيبة التى يعيشها الفرد العادى داخل الجنة الاشتراكية الشيوعية الحمراء المزعومة التى جاء بها كارل ماركس لينقذ البشرية من تسلط الأديان ، والتى لكى يفسح الطريق لهـا ويخدر الفاشلين والكسالى والحاقدين بمخدر دعاواها العريضة الطويلة الخلابة البراقة الخادعة ، هاجم الأديان وقال كلمته تلك (الدين أفيون الشعوب) .

نعم هناك عند حائط الموت ــ الحائط الذى يفصل برلين الغربية عن برلين الشرقية ــ سيرى هناك كيف أن الافراد ــ ليتخلصوا من جنة ماركس الحمراء ــ يفرون من القطاع الشرقى سباحة فى الانهر غير مبالين بالرصاص الشيوعى الذى ينهمر عليهم لاجبارهم على البقاء فى الجنة الشيوعية الحمراء وكيف أن هؤلاء الأفراد ــ لينجو من جنة الشيوعية الكريهة التى خلبت معزوفتها الساحرة لب المغفلين وخدرت مشاعرهم يعملون فى نقب الانفاق سرا تحت الأرض ليهربوا عبرها الى القطاع الغربى من برلين ، مفضلين تعريض حياتهم للخطر على العيش فى ظل نظام الشيوعية الذى كثيرا ما بلغت به القسوة وشدة امتهان كرامة الانسان الى أن فضل الكثير من الناس الموت على العيش فى ظله ، وهذه حقيقة واقعة تشهد بها الاخبار المتواترة عن الضحايا الذين يفقدون ارواحهم برصاص الشيوعيين وهم يعبرون الانهار سباحة الى القطاع الغربى او يحاولون اقتحام جدار الموت هربا ، او يقذفون بأنفسهم من الطوابق العليا فى البيوت الواقعة فى القطاع الشرقى ، والواقعة

مشارفها على الشوارع الواقعة فى القطاع الغربى ، ولقد شاهدت بعينى عندما كنت فى زيارة لبرلين الغربية ـ عند مرورى فى احد الشوارع ـ نوافذ بيوت كثيرة مسدودة كلها بالآجر الاحمر ، كما شاهدت رجالا فى القطاع الشيوعى رابضين وراء مدافعهم الرشاشة التى سددت فوهاتها على حيطان البيوت المنخفضة التى تقع على حدود القطاعين ، فلما سألت عن ذلك ـ مستغربا ـ اتضح لى أن سبب سد منافذ تلك البيوت ، هو أن كثيرا من سكان القطاع الشيوعى فى برلين كانوا يقذفون بأنفسهم من تلك النوافذ الى الشوارع الواقعة فى القطاع الغربى لينجوا بأنفسهم من الجحيم الشيوعى وان كثيرا من هؤلاء فقد حياته نتيجة لبعد المسافة التى قذف بنفسه منها ، اما المدافع الرشاشة المصوبة على الحيطان المنخفضة فقد نصبت لقتل من يحاول الفرار من القطاع الشيوعى عن طريق تسلق هذه الحيطان ، وان كثيرا من الناس قد لقوا حتفهم برصاص هذه الرشاشات لمحاولتهم الهرب الى القطاع الغربى .

هذه هى الشيوعية التى ما جاء بها ماركس الا ليمنح الفرد الحرية والكرامة ويوفر له الرخاء والطمأنينة والامن وينقذه من جبروت سلطان الدين ، وتلك هى الحرية والكرامة والطمأنينة والرخاء التى حققتها الشيوعية العالمية للفرد الذى يكون مصيره الموت اذا ما حاول الخروج من نعيمها !! .

وأى رخاء وطمأنينة وحرية وكرامة تلك التى يجبر الفرد على العيش فى ظلها تحت فوهات المدافع الرشاشة ؟ .

حقا انها اكذوبة الدهر الكبرى وفرية التاريخ العظمى .

فهل سيفهم الذين لا يزالون ـ تحت تأثير أفيون معزوفات الدعاوى الشيوعية الساحرة البراقة الكاذبة ـ يتهمون الاديان بأنها سبب شقاء البشرية واستعباد الانسان للانسان ، ويرددون ـ كالببغاء مع كارل ماركس ـ تلك الكلمة الفاجرة المفتراة (الدين أفيون الشعوب) ؟؟

هل سيفهم هؤلاء المسحورون حقيقة هذه الشيوعية الرهيبة التى توفر فى ظل نظامها المرعب (من الغاء لشخصية الفرد وهدم لكرامته وذبح لحريته وقتل لارادته ونزول به الى منزلة أحط من منزلة الحيوان) ، ما لم يتوفر فى ظل أى نظام عرفته الدنيا حتى يومنا هذا ؟ . أم أنهم سيظلون يرددون (دونما ادراك أو تفكير) تلك المفرية التى تعتبر أعظم فرية فى عالم الى استقراره ورخائه وحماية حرية الفرد فيه وضمان سعادته الا بسيادة الكذب والدجل والتزوير والمغالطة ، القائلة (انه لانجاة للعالم ولا سبيل النظام الشيوعى على العالم وتمكين أقطابه من قيادة البشرية ؟؟. »

وبعد أن وصلنا الى هذا الحد من تفنيد مزاعم الشيوعية قلت للاخ

المستفسر .. معذرة لقد خرج بنا الحديث عن صلب الموضوع ، فقال .. لا عليك ، فالحديث ـ كما يقولون ـ ذو شجون ، وفيما تطرقت اليه من الردّ على مفتريات الشيوعية ليس خروجا عن الموضوع بل هو من صميمه.

نظرية داروين ليست حقيقة واقعة

فقال شاب آخر من شهود جلسات المناقشة :

فاذا كانت نظرية التطور والارتقاء من الاهتزاز وعدم الثبوت بهذه الدرجة فما هي (اذن) الادلة العلمية التي اقتنع بها الداروينيون على صحة هذه النظرية التي (بها) أقاموا الدنيا وأقعدوها ؟!.

فقلت له ... لم ار فيما كتبه اقطاب نظرية التطور والارتقاء شيئا يمكن تسميته دليلا قاطعا أو برهانا مقنعا يجعل الانسان يؤمن بأن هذه النظرية تعني حقيقة واقعة لا تقبل الجدل .

فكل ما يتفلسفون به من اوصاف عجيبة لمراحل تطور الاحياء وارتقائها انما بنوه على احتمالات وافتراضات جاءت نتيجة لدراسات فحصوا فيها انواعا من الاحياء واشكالا مختلفة من عظام الجماجم والكواهل والاضراس لبقايا أنواع من الانسان وما شابه ذلك .

مستند لامارك في النظرية

فمثلا .. الفيلسوف (لامارك) مؤسس نظرية التطور والارتقاء .. يستند في تدعيم هذه النظرية الى دراسات لمجموعة من الكائنات الحية المختلفة ، على أثر هذه الدراسات تخيّل وجود سلّم لجميع الكائنات الحية يرتبط بعضه ببعض وتطوّر خياله الى ما يشبه اليقين ، فافترض وجود هذا السلم وقال به كنظرية علمية لا بد من التسليم بها .

وقد وضع في راس هذا السلم الانسان والقردة العليا والخيل والكلاب لانها (كما يقول) أذكى الكائنات ، ولها دم حار ، ثم تلاها بالطيور لانها ذكية أيضا ، ثم جاء بالزواحف ثم الاسماك ثم الحيوانات غير ذوات الفقار ، ثم اخذ في التدرج الهابط بين تلك الحيوانات التي أسماها اللافقريات حيث جعل في قمتها الرخويات والقواقع (وهي تتنفس بالخياشيم كالاسماك) .

ثم تلا ذلك بالحلقيات ، وهو أسم أطلقه (لامارك) على مجموعة معينة من الديدان البحرية ، وهذه ايضا تتنفس بالخياشيم التي قد تختفي أحيانا تحت الجلد .

واستمر (لامارك) يختبر مجموعة الحيوان ويرتبها واحدة وراء

الاخرى من القشريات الى العناكب ، ثم الى الحشرات ثم الى الديدان التي تفتقر الى الالسنة واعضاء السمع أو الابصار ، ثم انتقل الى المتشععات مثل نجوم البحر وانتهى عند قاعدة سلمه بأبسط الكائنات جميعا (البوليبات) وهي كائنات حية ليس لها اعضاء خاصة للحس او التنفس او الدوران أو التكاثر ، ولا شيء فيها الا قناة بسيطة منفردة للاغتذاء ، وهي تستطيع أن تمتص غذاءها من خلال أي جزء من اجزاء اجسامها ، وهذه (البوليبات) تكاد (لحقارتها) تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام أو الجلاتين .

وقد زعم (لامارك) أن هذه (البوليبات) هي الاصل الاول التي نشأت عنه جميع صور الحياة الاخرى بما في ذلك الانسان .

مناقشة لامارك

غير أن جميع الاقوال التي أدلى بها لامارك ليجعل منها حجته الكبرى لصحة نظرية التطور والارتقاء يعتريها الاهتزاز الشديد عندما يأتي دور اختبارها لتأخذ طريقها الى مكانها بين الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل الجدل أو النقاش .

وذلك انك عندما تسأل (لامارك) الذي قال مرة وهو يخاطب الفرنسيين مخاطبة الواثق من نفسه :

ايها المواطنون تقدموا من البسيط الى الاكبر تعقيدا حتى تمسكوا بالخيط الحقيقي الذي يربط بين كل ما انتجته الطبيعة ، وحتى تدركوا صورة دقيقة لسير موكب الترقي ، ولسوف تقتنعون بأن أبسط الكائنات الحية هو الذي ادى الى نشأة كل ما عداه من الاحياء . (٣٦) .

هذا لامارك .. عندما تسأله أو تسأل من يعتنق نظريته ، كيف وبأية طريقة (علمية أو حسية) عرف أن الكائنات الحية قد تكونت وترقت وتطورت بموجب السلم السحري العجيب الذي تخيله هذا الفيلسوف : فانك لن تجد سوى الافتراض والحدس والتخمين .

لانه ، لا (لامارك) ولا غيره من أقطاب هذه النظرية استطاع أويستطيع أن يتقدم ببرهان علمي أو عملي قاطع واحد يجعل الناس يقتنعون بأن هذه النظرية حقيقة واقعة .

---

(٣٦) انظر كتاب (رجال ومجاهر) ص ٨٥ ـ ٨٦ ـ ٨٧ للكاتبة (كاترين ب. شيبن ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد ، أستاذ علم الحيوان المساعد بكلية العلوم جامعة عين شمس .

ولقد سئل لامارك مرة .. كيف ولماذا حدث التطور الـذي ذكـر فأجاب قائلا :

لان هذا قد حدث لان الحيوان قد تغيّر بمرور الزمن كـي يلائـم بين نفسه وبين بيئته .

وهذا الجواب ، مصدره التخيل والافتراض ، فهو لا يشفي غليلا . ومن السهل على كل من يريد نصر نظرية التطور والارتقاء ان يتفوه به .

ولكن ليس من السهل اثبات ما جاء في هذا الجواب بطريقة تجعل الانسـان ملزما بالتسليم بصحة النظرية التي ذكروا .

لان التغير والتحول الذي زعموا انه يطرا على الحيوان ليتطور ويترقى من الادنى الى الاعلى لم يستطع أحد (منذ ان خلق الله الدنيا) أن يقول انه شاهده قد حدث بين أي نوع من انواع الكائنات الحية .

ولهذا فأنت لا تسمع دائما من هؤلاء الناس (عندما يأتي دور مطالبتهم بالدليل المقنع) سوى كلمة (لابد من أن يكون قد حدث كذا)و (من المحتمل أن يكون قد صار كذا وكذا) و (من المفروض انه قد كان كذا وكذا) . افتراضات وتخمينات وتخيلات ليس الا .

مستند داروين في نظريته

ثم قلت له .. وداروين ايضا (مثلا) عندما رست بـه السفينة (بيغل) في جزر الجالا كانت تراوده (كما قالت الكاتبة كاترين ب. شيبن) الافكار الغريبة أفكار البحث عن معرفة كيف وجدت الحياة الاولى وكيف كان انتشـار الاحياء وطريقة تنوعها .

فأخذ لذلك يفحص أنواعا من حيوانات هذه الجزيرة (الجالا) التـي تبعد عن ساحل أمريكا الجنوبية خمسمائة ميل ، فوجد أن هذه الحيوانات هي عين الاجناس التي تتبعها الحيوانات في قارة أمريكا الجنوبية ، الا انها لم تكن تماثلها ، بل بدا لـه أن انواعهـا تختلف في الجزيرة عنهـا في ارض القارة الرئيسية .

كما لاحظ ايضا (وهو يزور الجزر الاخرى المجاورة) أن حيوانـات ونباتات كل جزيرة تختلف عن الجزيرة الاخرى وخاصة في الطيـور ذات المناقير المتباينة .

ثم اخذ (كباحث جيولوجي وبدافع من الافكار التي راودته عن معرفة سر الحياة وتنوع الاحياء) يتساءل لماذا وجِد نوع خاص من الحيوانات

لكل جزيرة صغيرة بذاتها ، ولماذا كل هذا التعدد في الانـواع ، ولمـاذا كان هناك آلاف من الانواع المتباينة في تلك الجزر ، بل ولماذا كانت هذه الانواع تتبع عين الاجناس التي تتبعها الكائنات الموجودة في امريكا الجنوبية التي تبعد عنها مئات الاميـال ؟؟

ثم اخذ يفترض ويتخيل .. لعل الرياح قد حملت البذور من ارض القارة الرئيسية الى تلك الجزر ، ولعل الحيوانـات قـد سبحت عابـرة البحر اليها (افتراضات وتخمينات وظنون) .

ولكن اذا كان هذا صحيحا ، لماذا كل نوع في هذه الجزيرة يختلف قليلا عن مثيله في القارة ؟؟

هكذا كان داروين (كما يقولون) يتسـاءل وهو يتجول في جزيرة الجالا ومـا جاورهـا .

وانتابه القلق الشديد مع الرغبة الملحة في مواصلة البحث ، واخـذ يدون (في مفكرته) ملاحظاته على الحيوانات والنباتات المختلفة ويسجل ما يصل اليه من استنتاج .

واخيرا اخذ يترجح لديه أن سبب هذا التنـوع في الكائنات الحية ، هو ان هذه الكائنات جميعها كانت تتغير وتتحول من انواعها الاصلية وتتطور (حسب تقلبات الظروف والبيئات) الى انواع اخرى تغايرها ، وان اصلها جميعها انما كان نوعا واحدا . (٣٧)

وهذا ، أول خيط يمسك به داروين (وهو في رحلته البحرية) ليسير خلفه في طريق القول بنظرية التطور والارتقاء ، فقد كتب (داروين) (عند عودته من رحلته) كتب الى عالم النبات (جوزيف دالتون هوكر) ما يلي :

ـ واخيرا بدات أرى بصيصا من النور واكـاد أجـزم الآن (بعكس عقيدتي السـابقة) ان الانواع ليست « وهذا يشبـه اعترافا مني بجريمـة قتل » ثابتة أو غير قابلة للتغير .

فهكذا فانت ترى أن اول مصدر (عند داروين) لفكرة التطور والارتقاء هي افتراضات وظنون ، منبعها ملاحظاته مناقير الطيور المتباينـة وادراكه التغيرات التي تعانيها الكائنات فيما بينها .

فقد استنتج داروين (او قل تخيل) انه ما دامت التغيرات في صفات الكائن توجد بين أفراد النوع الواحد ، فلا بد أن تكون عملية الارتقاء لبعض

---

(٣٧) انظر رد الامام جمال الدين الافغاني على مذهب داروين فيما مضى من هذا الكتاب.

هؤلاء الافراد مع اندثار البعض الآخر ، هي المفتاح الرئيسي للتغيرات العضوية .

وباندفاع (داروين) في طريق نظرية التطور والارتقاء نفض يده من عقيدته السابقة القائلة بالخلق الخاص .

وكان (داروين) قد سمع (قبل رحلته) عن بحوث لامارك ولكنه لم يقم لها وزنا ، بحكم العقيدة التي كان عليها وهي عقيدة الخلق الخاص ، بل اعتبر بحوث لامارك (آن ذاك من الخرافات التي يجب أن تهمل) كما أن فكرة (كوفييه) عن الكوارث الطبيعية كان ينظر اليها كما ينظر الى الحماقات الجوفاء .

ثم واصل داروين بحثه في سبيل الوصول الى غايته ، فشرع يربي بنفسه سلالات مختلفة من الحمام فوجد أن الانسان يستطيع أن يغير (بالفعل) من خصائص سلالات الحمام والكلاب والابقار بالتربية والتدريب، فافترض وتخيل ثم قاس على ذلك انه لا بد أن هناك في الطبيعة بعض القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعل الانسان ، مما يجعل تحول الانواع الى غيرها امرا ممكنا ، فزاده ذلك تمسكا بنظريته .

ولكنه مع هذا القياس والافتراض ، اخذ يتساءل :

ما هي (يا ترى) تلك القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعله الانسان ؟؟

وظل داروين يخوض بحار التخمين والحدس والافتراض حائرا قلقا باحثا عن أدلة جديدة تصل به الى شاطىء يطمئن فيه الى سلامة افكاره حول التطور والارتقاء .

داروين وكتاب القس توماس

وصادف أن ازداد تمسكا بهذه الافكار عندما وقع في يده (ذات يوم) كتاب ألفه القس الانكليزي (توماس مالتوس) واسم هذا الكتاب (مبحث في

---

(٣٨) نظرية الكوارث الطبيعية على نقيض نظرية التطور والارتقاء ، وخلاصتها أن هناك زلازل وطوفانات هائلة تصيب الارض على اثرها ينقرض جميع الاحياء وعلى أثر هذا الانقراض تخلق حياة جديدة وهكذا كلما حلت نكبة بالاحياء فأبادتهم عن آخرهم ، أعقبها خلق جديد ، وهذا ما يسمونه بمذهب تعاقب الخلق ، الذي قال به كثير من علماء الطبيعة في أوروبا وعلى راسهم العالم الفرنسي (كوفييه) والسويسري (اغاسيز) ، وقد ذكرنا فيما يأتي من هذا الكتاب أن هذا المذهب قد نسبه الامام الفخر الرازي في تفسيره الى بعض ائمة أهل البيت نقلا عن مصادر الشيعة ، الذين نسبوا الى الامام محمد الباقر أن الله تعالى قد خلق قبل آدم مليون آدم .

نظرية السكان) فقد وجد فيه داروين حل مشكلته الخاصة ، كما يقول البعض .

ذلك ان هذا القس ذكر في كتابه المذكور انه على اثر الدراسة التي قام بها عام ١٧٩٨ م تبين له أن سكان الارض يزيد عددهم تزايدا مستمرا (في متتالية هندسية) وانه لولا الحرب والمجاعات والامراض التي تقضي على بعض من الناس في كل جيل لضاقت بهم الارض ولم يبق موضع لقدم ولقصرت موارد الغذاء عن كفايتهم جميعا .

وعلى اثر النظر في هذا الكتاب حدث داروين نفسه بانه لا بد ان شيئا كهذا يحدث في نواحي الطبيعة .. لا بد ان عدد السكان يزداد بمعدلات هائلة ، فالتمعت في ذهنه فكرة تنازع البقاء وخلص الى القول بأن امر تزايد السكان الهائل الذي ذكره (القس) يؤدي حتما الى حدوث صراع من اجل البقاء ، وهذا هو الذي جعله يضع قانون تنازع البقاء الذي هو احدى القواعد الاربع التي بنى عليها نظرية التطور والارتقاء .

وزاده اقتناعا بهذا الراي انه تذكر أن (لينوس) قال — في بعض كتبه — حول هذا الموضوع :

انه لو أن نباتا (ما) انتج بذرتين كل عام ، ولو أن كلا من هاتين البذرتين انتجت بذرتين فقط بالطريقة عينها ، لأصبح نسل النبات الاول مليونا كاملا بعد مضي عشرين سنة فقط ، وكانت هذه الصورة لا تبرح ذهن داروين ابدا ... وقال لو اننا تحولنا الى ناحية الحيوانات واخذنا واحدا من ابطأ انواعها تكاثرا ، وهو الفيل ، وافترضنا أن زوجين من الافيال ينجبان في حياتهما ستة صغار فقط ، وهكذا دواليك ، لبلغ عدد الافيال على ظهر الارض تسعة عشر مليونا بعد سبعمائة سنة وخمسين ، ثم قال (ليؤكد ناموس تنازع البقاء) فلا بد أن تصطرع هذه الافيال وتتنازع فيما بينها كي تستطيع الحياة .

ثم يستمر داروين في حَدْسه وتخمينه وافتراضاته (وهل لديهم الا الحَدْس والتخمين والافتراض) فيقول :

لو افترضنا — وهذا ما اراه بوضوح — ان كل فرد لا يماثل سائر افراد نوعه تمام المماثلة ، فما الذي يحدد أيها الذي يبقى ؟؟

ما الذي يحدد ايّ النباتات أو اي الطيور أو اي الحيوانات يعيش وايها يموت ويفنى ؟ . كيف يتهيأ هذا الاتزان البديع الذي يحفظ الارض

من أن تمتلىء بالافيال أو تكتظ بأشجار البلوط !! (٣٩) .

ثم يتوغل في لجج الافتراض والتقدير حتى يصل به الخيال الى ما اسماه بتغير الانواع الذي يؤدي الى تحول هذه الانواع وتطورها الى انواع جديدة (وهذا لب نظرية التطور والارتقاء) فيقول ، محدثا نفسه :

ان هذه الاختلافات الطفيفة بين الانواع تهيىء لنا مجالا من البحث والدراسة لم يطرق من قبل .

فلا شك ان بعض الخنافس الخضراء أزهى لونا من بقية قريناتها ، وبعض الخطاطيف اقوى جناحا من سائر أفراد نوعها ، وبعض الظباء أسرع انتباها لنذُر الخطر من عامة بنات جنسها ، وطبيعي أن الافراد التي تفضل غيرها في تهيؤها الملاءمة بيئتها هي التي تحيى وتنجب أمثالها بينما يموت ما عداها ويختفي ، فاذا تراكمت على مر الازمان الطويلة التغيرات التي تتجه وجهة معينة ، ادى ذلك الى نشأة انواع جديدة . الخ. (٤٠) .

وهذا التخيل والتقدير والافتراض من داروين ، هو احد مصادره القوية التي يستند عليها لتدعيم نظريته التي بها أشغل العالم .

اهتزاز ادلة داروين

هذه هي بعض ملاحظات (داروين) فيما يتعلق بالكائنات الحية من الحيوان والنبات .

وهذه الملاحظات والاستنتاجات وأمثالها (التي لا تخرج عن حيز الافتراض والتقدير) هي كل حجج القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وهي حجج (كما ترى) موضع شك عظيم ، حيث يعتريها الاهتزاز وعدم الثبوت، وتفصل بينها وبين مرتبة اليقين مسافات شاسعة ، لأنها (بالرغم من الهتاف والتصفيق الذي حظيت به من قبل انصار التطور والارتقاء) لا تعدو أن تكون افتراضات وتكهنات وظنون وتقديرات احسن أحوالها انها من الممكنات التي لا يستحيل وقوعها ، فليس من المستحيل أن تكون قد

---

(٣٩) ان داروين لو فكر بعقل المؤمن الصادق لقاده هذا التفكير الى ان هذا كله من أبرز الادلة على الحكمة والرعاية والعناية الالهية التي بدونها يفسد الكون ، فلو لم يكتب الله الفناء على كل المخلوقات كل حسب المدة المقررة له في علم الله ، لما صلح هذا الكون اذ لاضطرب نظامه واختل شأنه ، ولكن من نعمة الله ان قدر أن يكون لكل كائن حي أجل محدود ، يفنى بعده (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

(٤٠) أنظر كتاب (رجال عاشوا للعلم) لمجموعة من المؤلفين الاوروبيين ، ترجمة الدكتور احمد شكري ص ٣٢٨ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ وكتاب (رجال ومجاهر) ص ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ .

حدثت ، وليس من المقطوع بـه انها قد حدثت ، فهـي تحتمـل الخطـأ والصواب ، وما تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

فنظرية هذا شأن أدلتها وهذه هي مصادر حججها ، فانه لا لوم على من شك فيها أو أنكر صحتها ، لأنه عندما يشك ، لا يشك في واقع ملموس ، وعندما ينكر ، لا ينكر حقائق واقعة ثابتة .

اهم ادلة داروين

فقال شاب آخـر :

والآن وقد عرفنا ما فيه الكفاية عن ملاحظات داروين واستنتاجاتـه فيما يختص بالحيوان والنبات مما جعله مصدرا لحججه في تأييد نظريته ، فانا نريد ان نعرف ما هي مستندات الداروينيين لتأييد نظريتهم في مجـال الحفريات والآثار ، وخاصة فيما يتعلق بزعمهم تطور الانسان وترقيه من حيوان الى انسان .

فقلت له .. الداروينيون يقولون (مثلا) انهـم وجـدوا في بعض الحفريات بقايا هيكل انسان يختلف عن انسان اليوم ، وجدوه (كما قالوا) ذا جبهة ضيقة وفك ناتيء وعنق لا يلتوي وراس كبيرة الحجم من الوراء وصغيرته من الامام مما يدل على عدم اكتمال تطوره الدماغي .

فاستدلوا بذلك على ان الانسان كان فيما قبل مئـات آلاف السنين ناقصا في تركيبه العقلي والادراكي والجسمي ، وانه (حسب ناموس التطور الذي ذكروا) تطور وارتقى (على مر آلاف العصور) من الادنى الى الاعلى حتى وصل الى ما هو عليه الآن من كمال واكتمال .

كيف بدأ خلق الانسان

وهم (على أساس هذه النظرة) يزعمون أن النوع الانساني بدأ وجوده بحيوان بسيط جدا (كالبوليب الذي ذكـر لامارك) (٤١) تطـور وتحول وارتقى الى ما هو أعلى منه ، وهكذا صار يترقى في مدارج التطور والارتقاء حتى صارت أولى مراحله الانسانية انسانا أول (أشبه بالحيوان) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، ثم تطور وترقى شيئا فشيئـا حتى صار الى مـا هو عليه الآن من كمال .

هذه هي بعض أدلة مذهب داروين ، وان شئت قل اهمها .. والادلة

---

(٤١) انظر مناقشتنا نظرية لامارك فيما مضى من هذا الكتاب .

الاخرى لا تختلف عن هذه الادلة من حيث الجوهر .. افتراضات وتقديرات وتخمينات وظنون ، فهي نظرية قابلة للتعديل (بل والالغاء) في كل لحظة .

وهكذا فأنت ترى أنه ليس لمذهب داروين أي نصيب من الادلة العلمية الثابتة التي تجعله في مرتبة اليقين الذي لا يتطرق اليه الشك .. أو البرهان الحسي الذي لا يجدي معه نقاش أو جدل .

وانما هي ظنون مصدرها عظام نخرة وجدوها في بعض طبقات الارض .. وتخيلات وافتراضات وتقديرات أساسها دراسات لتباينات الاحياء وتفاضل بعضها وغير ذلك مما لا يسمن ولا يغني من جوع ، من الاستنتاجات التي لم يستطع حتى اصحابها القول بأنها صالحة لأن تكون أدلة لا يمكن رفضها .

والنظريات التي مصدرها الظن والافتراض .. لا القطع واليقين ، تكون دائما متأرجحة وغير ثابتة ، بل قابلة للتغيير والتبديل رأسا على عقب ، امام أية استنتاجات ودراسات جديدة .

ومن هذا النوع (بالطبع) نظرية داروين .
فهي نظرية غير مقطوع بصحتها عند أصحابها أنفسهم .

مناقشة داروين

واذا كان الداروينيون يستدلون على ترجيح صحة مذهبهم بما اشار اليه داروين ولامارك فيما فصلنا فيما مضى من هذا الكتاب ، مما قاما به من فحوص ومقارنات وتصنيفات بين الكائنات الحية والنباتات ، كالذي لاحظه داروين في جزر الجالا على النباتات والحيوانات ، أو ما لاحظه في كتاب القس (توماس) مما أشار اليه من تزايد عدد السكان باستمرار (في متتالية هندسية) استخرج منه ناموس تنازع البقاء ، أو السلم الخيالي الرائع الذي صنف بموجبه لامارك الكائنات الحية وربط بعضها ببعض زاعما تفرع وترقي بعضها عن بعض من (البوليب) حتى الانسان ، فانه لا (لامارك) ولا (داروين) ولا غيرهما يستطيع التحدث حديث الواثق من أن الذي أشاروا اليه أو بعضه يمكن التمسك به كدليل قاطع على صحة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون .

وانما هي (كما قلنا) احتمالات وتكهنات وتقديرات ، احسن أحوالها أنها محتملة الوقوع ، وما تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال (كما يقول الاصوليون) .

فقال .. ولكن ما حجتكم في رفض استدلالهم بما وجدوا من البقايا

البشرية كعظام الجمجمة التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها العقلي والجسمي مما زادهم تمسكا بهذه النظرية ؟.

فقلت له ..حجتنا في الرفض، هي انه اذا كان الداروينيون يستدلون على صحة مذهب التطور والارتقاء بعظام الجماجم وما شابهها من الهياكل العظمية التي قالوا انها تدل على عدم اكتمال أصحابها في التركيب الجسمي والتكوين العقلي ، فانا نستدل نحن على بطلان هذه النظرية بأن الحفريات ايضا دلت أن هناك (من طوائف الاحياء واجناسها) انواعا كانت في الماضي السحيق اكمل في التكوين واقوى في التركيب مما جاء بعدها من (أنواعها). (٤٢)

فقد وجد الباحثون (اثناء حفرياتهم في طبقات سفلى من الارض) جماجم وهياكل عظمية لأنواع مختلفة من الكائنات الحية تدل على أنها اكمل وأرقى مما اتى بعدها من انواعها حيث وجدوا لنفس هذه الانواع في الطبقات العليا من الارض جماجم وهياكل ، دلت على أن هذه الانواع أدنى من التي وجدوها في الطبقات السفلى .

فلو كان ما زعمه الداروينيون صحيحا واستدلالهم (بما وجدوا من الهياكل العظمية التي أشاروا اليها) معقولا ، لوجب أن يكون الادنى من آثار هذه الاحياء المختلفة في طبقات الارض فوق الاعلى منها دائما وهذا ما أثبتت الحفريات خلافه . (٤٣) .

فصح بهذا يقينا أن الاستدلال على صحة نظرية التطور بتلك الجماجم والهياكل العظمية التي ذكر الداروينيون ، استدلال غير مقبول وغير صالح لجعل هذه النظرية في مرتبة النظريات العلمية الراسخة المقبولة بداهة .

فقال .. فبماذا (اذن) تفسر تلك الظاهرة في الهياكل العظمية التي وجدوا ، والتي تدل (كما قالوا) على عدم اكتمال تكوين الانسان في ذلك الزمان ؟؟

مشاهدات تنقض حجة داروين.

فقلت له .. اذا صح ان الداروينيين قد وجدوا في الحفريات من العظام والجماجم ما يدل على عدم اكتمال اصحابها (جسميا وبالتالي عقليا) فان ذلك لا يعني بالتأكيد أن انسان ذلك الزمان ، كان (بصفة عامة) ناقص التكوين كأصحاب تلك الهياكل التي وجدوا ، وانما من

---

(٤٢) ولن نذهب بعيدا ، فالاجماع يكاد ينعقد على أن انسان ما قبل مئات السنين أقوى وأكمل في التركيب من انسان اليوم ، وانه كان اطول عمرا منه أيضا .

(٤٣) انظر قصة الايمان ص ١٨٧ ط ١

المحتمل (بل قد يكون من المقطوع به) ان النقص في التكوين والتركيب الذي ذكروا يرجع الى عاهة او مرض رافق صاحب هذه العظام التي وجدوا فصار سببا في عدم اكتمال تكوينه ، ومثل هذه الإمور الشاذة تحدث حتى هذا اليوم .

فقد رايت مرة في احد اقطار افريقيا الشرقية (اريتريا) انسانا ذا شكل غريب ، رايت شابا قد اجتمع الناس عليه (وبدافع الفضول) التحقت بهم لأعرف سبب تجمعهم ، واذا بي أمام شاب طويل القامة ، غير أن الغريب فيه (والذي كان سبب التجمع) هو ان راسه كانت من الصغر بحيث لا تتناسب مع جسمه ، فقد كان حجم راسه صغيرا جدا ، فبالرغم من تجاوزه العشرين من العمر فان راسه تكاد تحويها كفا الانسان العادي ، وقد تبين لي انه لا يستطيع النطق ولا يكاد يعقل أو يدرك ، وكانت له عينان ضيقتان جدا .. رايت هذا في مدينة تسني عندما كنت في اريتريا .

فلا شك ان ما وجده الداروينيون من عظام الجمجمة والهيكل التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها واستدلوا بها على صحة نظرية التطور والارتقاء ، هو من الانواع الشاذة التي يصاحبها النقص في التكوين (الجسمي والعقلي) لعاهة أو مرض يصاحب الانسان منذ وجوده ، كحالة الشاب الافريقي الذي ذكرت قصته آنفا .

فوجود انصار نظرية التطور والارتقاء جمجمة وكاهل ، دل فحصهما على أن صاحبهما كان ناقص التكوين لا يمكن (من الناحية العلمية) اعتباره دليلا قاطعا (او حتى راجحا) على صحة نظرية التطور والارتقاء ، فعدم اكتمال التكوين الجسمي والعقلي لا يزال يحدث حتى هذه اللحظة، وانما لأسباب غير طبيعية عارضة ونادرة .

الفصل الثاني

* تشبث الشيوعيين بنظرية داروين .
* مناقضة اصول النظرية للمذهب الشيوعي .
* افلاس الشيوعيين في التمسك بالنظرية .
* داروين بين الايمان والالحاد

دفاع عن داروين

وبوصولنا الى هذا الحد من المناقشة قال الشيوعي الملحد :

ان لي ملاحظات هامة على الحجج التي استند عليها البعض في بطلان نظرية التطور والارتقاء وارغب في الادلاء بها قبل اختتام هذه الجلسة ، فهل تسمح ؟؟

فقلت .. لك ذلك .

فقال .. لقد كانت اهم الاعتراضات (كما قلتم) ثلاثة وهي :

١ ـ عدم مشاهدة اي ارتقاء من اي نوع كان في الاحياء الارضية من عهد الوف السنين .

٢ ـ عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل .

٣ ـ طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الاحياء الخ .

فقلت له .. نعم .. ، وهل يستطيع احد ان يثبت انه قد حدثت (في اي عصر من العصور) مشاهدة اي ارتقاء بين اي نوع من انواع الكائنات الحية ؟؟

فقال .. طبعا ، لا .. لا يستطيع احد ان يثبت شيئا من هذا حيث لم يقل به احد حتى اليوم .

ولكن عدم مشاهدة اي ارتقاء في الاحياء المرئية لا يصح دليلا على عدم الارتقاء عموما ، لانه من المحتمل جدا ان يكون قد حدث هذا التطور والارتقاء في ازمان سحيقة لم يصلنا خبرها ، لا سيما وان الحفريات أثبتت انهم وجدوا بقايا هيكل انسان يدل على عدم اكتمال تكوينه (عقليا

وجسميا) .

فقلت له .. انك لم تأت بجديد في مجال تأييد النظرية .

فقولك هذا لم يخرج نظرية التطور والارتقاء عن كونها مجرد افتراض وتخمين .

فهي (اذن) دعوى ـ احسن احوالها انها محتملة الصحة والبطلان ـ .

وكل دعوى ـ في نظر العلم والواقع ـ يجب ان تظل مجردة عن صفة الحقائق المسلّم بها حتى يقوم الدليل القاطع على صحتها .. ثم قال :

وأما عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع ، اللازمة لمذهب التسلسل ، فلا يمكن (أيضا) اعتباره دليلا على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء ، لأن فقدان هذه الصورة المتوسطة سببه شدة تنازع البقاء على حسب اختلاف الاوساط والاحوال ، ولذلك لم تكن صورة متوسطة بين الصنوف التي هي في حالة الانقراض او الوقوف كالنعام والفيل ، فانها لا تولد تباينات جديدة ، ولذلك فهي تؤلف انواعا مستقلة ، بخلاف طوائف الحيوان التي هي في حالة النمو فانها تنحل الى عدة انواع جديدة بالمتباينات التي تنشأ منها ، ولذلك يوجد فيها صور متوسطة كثيرة يحار فيها المراقبون .

ثم يسترسل الشيوعي فيقول :

وأما عن اعتراض طول الزمان اللازم لصحة التسلسل فانه من العبث الاعتماد على قول من يزعم امكان تحديد عمر الارض ، لأن هذا التحديد مجرد تخمين ليس له دليل يسنده ، وقد حسب الاستاذ طمسن الانكليزي الزمن الذي لزم ليبس القشرة الارضية فوجده لا يقل عن عشرين مليونا من السنين ولا يزيد عن أربعين مليون سنة ، وانه يقتضي أن يكون بين ثمان وتسعين مليون سنة ومائة مليون سنة كما أن غيره يرى غير هذا الراي ، فيما يتعلق بعمر الارض .

مناقشة المدافع عن داروين

فقلت له .. وهذا قولك أيضا مجرد دعوى ينقصها الدليل الذي يرفعها الى مرتبة الحقائق ، فكل ما تحدثت عنه الآن عن قصة الفيل والنعام والأصناف التي في حالة الانقراض والتي في حالة النمو وقصة تحولها الى انواع جديدة ، كله ليس له اي ظل من الحقيقة وانما هو من الظنون المبنية على التخيل والحدس والتخمين ، اذ ان احدا لا يستطيع اخراج شيء (مما تتمحكون به لنصر نظرية التطور والارتقاء) من دائرة الظن والحدس والتخمين الى حيز الحقائق الواقعة الثابتة .

فهي (كما يعترف الداروينيون انفسهم) فروض افترضوها واستساغتها عقولهم لأنها (بزعمهم) تفسر لهم من غوامض الخليقة ما لا يفسره غيرها .

فالمنكرون (اذن) لنظرية التطور والارتقاء (من الناحية العلمية والوجدانية) لا غبار على سلامة موقفهم ، فهم انما انكروا شيئا ليس له من البراهين المقنعة ما يجعل منكره في مرتبة المتعصبين الجاحدين للحقائق الواقعة .

فلا يمكن (اذن) توجيه أي لوم أو اتهام بالرجعية والجمود والتزمت لمن لا يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، لأنها ليست من الحقائق العلمية الثابتة التي لا يرقى اليها الشك ، وليست من الوقائع المشاهدة المحسوسة التي لا تقبل النقاش أو الجدل ، وانما هي (باعتراف انصارها) تقديرات وافتراضات وظنون ، أحسن أحوالها ، أنها (في جملتها) مجرد دعوى محتملة الصحة والبطلان ، وما كان شأنه هكذا فلا لوم على من انكره ولم يؤمن بـه .

نظرية داروين مناقضة للمذهب المادي

ثم قلت للشيوعي :
والحقيقة ان أول من يجب عليه رفض نظرية التطور والارتقاء (حسب قواعد مذهبه) هو انتم معشر الملحدين ،

فقال .. ولم ؟؟
فقلت له .. لأنكم حسيون ماديون لا تؤمنون الا بما كان وجوده في درجة المحسوسات المشهودة وعلى (أساس هذا المبدأ) انكرتم أن يكون للكون خالق مدبر بالرغم من قيام الادلة العلمية والعقلية والوجدانية الدالة على وجوده والصارخة بضرورة الاعتراف بوجوده ، وحجتكم انكم لم تشاهدوه ولم تحسوا بوجوده كما تحسون بوجود الماديات المحسوسة ، ومع هذا وفي الوقت نفسه تؤمنون بنظرية التطور والارتقاء وتتحمسون لها وتتهمون من لا يؤمن بها بضيق الافق والجهل ومحاربة العلم ، مع أنها مبنية على الحَدْس والظن والتخمين ولم تبلغ (في اية ناحية من نواحيها) درجة الحقائق المسلم بها بداهة .

الماديون يتناقضون

فكيف تبيحون لأنفسكم هذا التناقض ، بل هذا التلاعب ؟؟.
كفر بالله وانكار لوجوده وتسفيه لمن يؤمن به ، بحجة أن مسئلة القول

بوجوده مبنية على الفرض والتقدير لا الحس والمشاهدة .

ثم ايمان في الوقت نفسه وتعصب لنظرية التطور والارتقاء التي لم تبن ولم تقم الا على اساس الفرض والحدس والظن والتخمين .

فهل هناك عناد ومكابرة وتلاعب ومغالطة أكثر من الذي أنتم فيه معشر الماديين ؟؟

يضاف الى هذا أن نظرية التطور والارتقاء التي تتعصبون لها هكذا هي مناقضة (تماما) لنظرية الديالكتيك في المذهب الشيوعي ، ومع هذا فأنتم (لهوى) في انفسكم تتعصبون لنظرية داروين .

فقال ... وكيف ؟..

اصول الداروينية مناقضة لاصول الشيوعية

فقلت له .. نظرية داروين (مثلا) تفسر تطور نوع الى نوع آخر على أساس ما يظفر به بعض افراد النوع القديم من ميزات وخصائص عن طريق صدفة ميكانيكية ، أو اسباب خارجية محددة ، كالبيئة والمحيط .

وكل ميزة يحصل عليها الفرد تظل ثابتة فيه وتنتقل (بالوراثة) الى ابنائه ، وبذلك ينشأ جيل جديد قوي بفضل هذه الميزات المكتسبة .

وفي خضم الصراع في سبيل القوت والبقاء بين الاقوياء من هذا الجيل وبين الضعفاء من افراد النوع الذين لم يظفروا بمثل تلك الميزات ، يعمل قانون تنازع البقاء (كما يقول داروين) فيفني الضعيف ويبقي الافراد الاقوياء ، وتتجمع المزايا عن طريق توريث كل جيل مزاياه التي حصل عليها بسبب ظروفه وبيئته التي عاشها للجيل الذي يتلوه ، وهكذا حتى ينشأ نوع جديد يتمتع بمجموع المزايا التي اكتسبها اسلافه على مر الزمن .

ونقطة التناقض بين النظرة الديالكتيكية الشيوعية في موضوع التطور والارتقاء ، وبين نظرية داروين هو ان التطور الذي ينال الحيوان (حسب نظرية داروين) مصدره أسباب خارجية وفي الديالكتيكية ، اسباب داخلية .

فالميزات والفروق الفردية التي يحصل عليها الجيل القوي من أفراد النوع ليست نتيجة لعملية تطورية ولا ثمرة لتناقض داخلي (كما هو مذهب الديالكتيكية الشيوعية) وانما هي (كما تقول نظرية داروين) وليدة مصادفة ميكانيكية او عوامل خارجية من البيئة والمحيط ، فالظروف الموضوعية التي عاشها الافراد الاقوياء هي التي امدتهم بعناصر قوتهم وميزتهم عن الآخرين .. لا الصراع الداخلي في الاعماق كما يفترض الديالكتيك .

كما أن الميزة التي يحصل عليها الفرد بطريقة ميكانيكية ـ اي بأسباب خارجية من الظروف التي يعيشها ـ لا تتطور وتنمو بتناقض داخلي (٤٤) (كما هي نظرية الديالكتيك) حتى تحوّل الحيوان الى نوع جديد .

وانما تظل ثابتة وتنتقل بالوراثة دون ان تتطور وتبقى بشكل تغيّر بسيط ساكن ، ثم تضاف الى الميزة السابقة ميزة أخرى تتولد هي الاخرى أيضا ميكانيكيا بسبب الظروف الموضوعية ، فيحصل تغير بسيط آخر .

هكذا تتولد الميزات بطريقة ميكانيكية وتواصل وجودها في الابناء عن طريق الوراثة ، وهي ساكنة ثابتة ، وحين تتجمع يتكّون منها اخيرا الشكل الارقى للنوع الجديد ، هكذا يقول داروين .

الاختلاف بين الماركسية والداروينية

ثم قلت للشيوعي الملحد ... وهناك ايضا اختلاف كبير بين قانون تنازع البقاء (في نظرية داروين) وبين فكرة تصارع الاضداد في المحتوى الداخلي عند ديالكتيتكم .

ففكرة الصراع بين الاضداد (الذي هو مصدر التطور عند الشيوعيين) تعبّر عن صراع بين ضدّين يسفر في النهاية عن توحدهما في مركب أعلى وفقا لثالوث الاطروحة والطباق والتركيب (٤٥) .

ففي صراع الطبقات (وهو وتر الشيوعية الحساس الذي تعزف

---

(٤٤) الديالكتيكية الشيوعية تقول ان سبب التطور هو صراع دائم في المحتوى الداخلي بين المتناقضات ، ينتهي حتما بتآلف هذه المتناقضات المتصارعة في وحدة مترابطة ، وهذا عكس نظرية التطور والارتقاء في مذهب داروين الذي يقول ان الصراع انما يكون بين القوي والضعيف ، والذي لا ينتهي بتآلف المتصارعين (كما تقول الشيوعية) وانما ينتهي بفناء الاضعف حسب ناموس الانتخاب الطبيعي في مذهب داروين .

(٤٥) الاطروحة والطباق والتركيب ، هي الثالوث الديالكتيكي الشيوعي الذي عليه بنى الشيوعيون نظريتهم التطورية ، التي أساسها (كما يقولون) الصراع الداخلي ، الذي ينتهي بتوحيد المتصارعين نهائيا في مركب اعلى ، وهذا عكس نظرية داروين التي تقول ان الصراع ينشب لأسباب خارجية ، من أجل البقاء ، ثم ينتهي هذا الصراع بتلاشي الاضعف وبقاء الاصلح .. اما تفسير الاطروحة والطباق والتركيب وهو الثالوث في الديالكتيك الشيوعي فهو (عندهم) (الاطروحة) هي العلة (والطباق) هو المعلول ، و (التركيب) هو المجموع المترابط من (الاطروحة والطباق) ، والعلة (هنا) هي (كما يقول صاحب كتاب فلسفتنا) عملية نمو وتكامل عن طريق ولادة المعلول من العلة (أي الطباق من الاطروحة) والمعلول في هذه العملية لا يولد سلبيا بل يولد مزودا بتناقضاته الداخلية التي تنميه وتجعله يحتضن علته اليه في مركب أرقى واكمل .. هكذا يقول الشيوعيون .

عليه دائماً لاغواء المغفَّلين) تقول الديالكتيكية ان الصراع ينشب في المعركة بين الضدَّين في المحتوى الداخلي ، وهما الطبقة الراسمالية والطبقة العاملة ، وينتهي الصراع بامتصاص الطبقة العاملة للطبقة الراسمالية ، ونتيجة لهذا الامتصاص تتوحد الطبقتين معا في مجتمع لا طبقي كل أفراده يملكون ويعملون (٤٦) .

هذا هو تفسير الشيوعيين لاسباب التطور والارتقاء في محيط تصارع الاضداد .

وهذا يتناقض تماما مع فكرة الصراع من أجل البقاء في مذهب داروين .

ذلك ان الصراع بين الاضداد، اذا كان ينتهي في الديالكتيك الشيوعي) بتوحد الاضداد المتصارعة في مركّب واحد أرقى، فان تَنازع البقاء والصراع بين القوي والضعيف يؤدي (كما هي نظرية داروين) الى افناء أحد الضدين والابقاء علي الآخر ، ذلك أنه يزيل الضعاف من أفراد النوع ازالة نهائية ، ويبقي الاقوياء وهذا هو المعبر عنه في نظرية داروين ، بالاصطفاء النوعي أو الانتخاب الطبيعي .

هذا فيما يتعلق بقانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعي (٤٧) الذي يؤدي تفسير التطور والارتقاء بموجبه في نظرية داروين ، الى عكس نظرية الديالكتيك الشيوعية .

اما فيما يختص بفكرة الصراع بين الحيوان والبيئة (في نظرية داروين)

---

(٤٦) هكذا تزعم الشيوعية العالمية وما تفرخ منها من مذاهب اقتصادية تحمل اسماء براقة اخرى .. وهذا الزعم من أكبر الاكاذيب المشهودة المفضوحة التي تدجل بها الشيوعية وفروخها على الفاشلين في الحياة من الكسالى والخاملين والحاقدين والمصابين بعاهات الشذوذ ومركب النقص وحقارة الشخصية ، الذين يتخيلون (وهم في غيبوبة حمى أمراضهم هذه) بأن في انتشار الشيوعية حلا لمشكلتهم ، ولكنهم هنا متوهمون توهما لا يقل عن توهم وتخيل المرور الذي انهكته الحمى .. نقول هذا لان واقع الانظمة الشيوعية وما تفرع عنها من مذاهب اقتصادية يكذب ما يدعيه الشيوعيون وتلاميذهم ، ذلك أن افظع أنواع التفاوت الطبقي انما يوجد في البلدان التي تخضع لنظام الحكم الشيوعي ، ففي روسيا (مثلا) توجد طبقتان فقط، طبقة تملك كل شيء وتتصرف (كما تريد) في كل شيء (دونما حسيب او رقيب) وهي الحزب الشيوعي الحاكم الذي لا يزيد عدد أعضائه على مليونين ، وطبقة لا تملك شيئا ، ولكنها تعمل كل شيء (تحت قوة الحديد والنار) ، وهذه الطبقة التي تعمل كل شيء لا تستطيع أن تقول شيئا أو حتى تختار الطعام الذي تأكله (اذا ما وجدته) وانما يقدم لها هذا الطعام (كالبهائم) كما يريد حاكموها ، وهذه الطبقة هي عامة الشعب الروسي الذين لا يقل عددهم عن مائة وثمانية وتسعين مليونا ، ومثل هذا يقال بالنسبة للاقطار التي تخضع للنظام المتولد من النظام الشيوعي ، ومع هذا يزعم الجميع أنه لا يوجد عندهم تفاوت طبقي .

(٤٧) انظر القواعد الاربع التي ذكرنا (فيما مضى من هذا الكتاب) أن (داروين بنى عليها مذهب التطور والارتقاء)

والذي بموجبه يكيّف الجهاز العضوي وفقا لشروط البيئة (٤٨) ، فان هذا الصراع لا يؤدي الى توحيد الضدين في مركب جديد ، كما تتركب الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة في مركب اجتماعي جديد كما هي نظرية الديالكتيك في المذهب الماركسي ، وانما يؤدي الى خلاف ذلك .

حيث يبطل الجهاز العضوي أو يتحول حسب ظروف البيئة التي تتحكم في الكائن الحي ، كأن يفقد الكائن الحي هذا شيئا مما كان حصل عليه من الكمال طبقا للقوانين التي حدّدها داروين في نظريته للتفاعل بين الحياة والطبيعة ، كالحيوانات التي اضطرت منذ أبعد الآماد الى العيش في الكهوف وترك حياة النور ، ففقدت بصرها (في راي داروين) بسبب تفاعلها بمحيطها الخاص وعدم استعمالها لعضو الابصار في مجالاتها المعيشية .

وبذلك أدى التطور في التركيب العضوي الى الانحطاط ، خلافا للماركسية التي تعتقد أن العمليات التطورية في الطبيعة المنبثقة عن تناقضات داخلية تستهدف التكامل دائما ، لانها عمليات تقدمية صاعدة (٤٩) .

ثم قلت للشيوعي الملحد .. وهكذا فالشيوعيون لا يتورعون عن نصر وتأييد ما يتناقض مع أصول مذهبهم من النظريات ، ما داموا يطمعون في أن يعينهم ذلك على نشر مذهبهم والترويج له ، كما فعلوا في تمسكهم بنظرية داروين التي هي وفلسفتهم الديالكتيكية (حول التطور والارتقاء) على طرفي نقيض .

والغريب أن نظرية داروين (في التطور والارتقاء) لم تتعرض لاي شجب أو تجريح من قبل الدعاة الماركسيين بالرغم من أنها تناقض أصول الماركسية كل المناقضة ، في هذه الناحية .

بل انهم ليتمسكون بهذه النظرية (نظرية داروين) ويرفعون من شأنها ويشيدون بقطبها الاعظم (داروين)ويعتبرونه في مقدمة من يقدّسون .

سبب تمسك الشيوعيين بمذهب داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

لقد تعجبت (فعلا) من مناصرة هؤلاء الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء

---

(٤٨) انظر قانون المطابقة مفصلا ضمن قواعد داروين الاربع فيما مضى من هذا الكتاب .

(٤٩) انظر (فلسفتنا) للسيد محمد باقر الصدر ص ١٤٠ و ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ منشورات عويدات بيروت .

مع انها مناقضة لمذهبهم الحسي مناقضة كاملة ، فما هي الاسباب التي جعلتهم يسلكون هذا السبيل ؟!.

فقلت له .. سبب واحد ، وهو أن فلسفة التطور والارتقاء يسهل عن طريقها اصطياد الشباب وايقاعهم في شباك الالحاد ، لان هذه النظرية نظرية مادية بحتة تشجع على قطع الصلة بالله ، لانها تسقط ـ غالبا ـ من حسابها وجود القوة الخالقة وتتحدث دائما عن الطبيعة وصنع الطبيعة وقوة الطبيعة وقدرة الطبيعة ولانها تفسر الخليقة تفسيرا طالما كان قاعدة لانكار وجود الله سبحانه وتعالى ، وكم راينا علماء أتوا بعد داروين اعتنقوا نظريته ودرسوها درسا قادهم الى مرتبة من الكفر الصراح والالحاد الصريح لم يصل اليها داروين نفسه وجعلوا هذه النظرية قاعدة للالحاد ، كما فعل (ارنست هيكل) الذي حمل (بعد داروين) لواء نظرية التطور والارتقاء ، فهذا هو السبب في تعصب الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء بالرغم من أن قواعدها مبنية على الحدس والافتراض والتخمين ، التي هي وقواعد مذهب الملاحدة الحسيين على طرفي نقيض .

منطقة الخطر في نظرية داروين

وهكذا فان منطقة الخطر في نظرية التطور والارتقاء ليست في كونها لم تبلغ (من الناحية العلمية) درجة الصحة واليقين ، وانما فيما يتولد عن الايمان بها (في محيط قصار النظر وضعيفي الايمان) من نزعات الحادية وميول تحللية وجودية تربط الانسان بما على وجه الارض من غرائز حيوانية وميول بهيمية وتقطع صلته بما سواها على اعتبار أن الانسان (كما هي نظرية داروين) انما هو (في الاصل) حيوان .

قال الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) .

ان عيب نظرية داروين ليس في الوقائع العلمية التي بسطها في كتبه، وتابعه عليها أعوانه ومريدوه ، وانما هو في ايحاءات تلك النظرية التي خلفت طابعها الخطر ، لا في أفكار الجماهير وحدها ، بل في اتجاه العلماء كذلك منذ عهده الى العصر الاخير .

ثم قلت للشاب المسلم :

وهكذا يتضح جليا ان الطابع الخطر في نظرية التطور والارتقاء على الدين والاخلاق والسلوك هو الذي جعل الملاحدة يتشيعون لهذه النظرية ويحرصون على مساندتها والدعوة اليها بالرغم من مخالفتها لقواعد مذهبهم الحسي .

لا حجة للشيوعيين في مذهب داروين

فقال .. ان الملاحدة من شيوعيين وغيرهم يتحككون بمذهب (داروين) ويحاولون (دائما) ان يجعلوا منه قاعدة تنطلق منها دعوتهم الخبيثة .

فهل لهم متمسك علمي في هذه النظرية يمكنهم الاعتماد عليه لمساندة مذهبهم ؟؟.

فقلت له .. لقد استغل دعاة الالحاد (فعلا) نظرية داروين لما لها من شهرة عالية وانتشار بين طبقات المثقفين الذين يطلب منهم (غالبا) دراستها باعتبارها من النظريات التي تدخل في نطاق البحث العلمي ، فجعلوا منها (أي الشيوعيين) مطية للترويج للكفر والالحاد .

ولكن القاء نظرة مجردة فاحصة (خالية من العناد والهوى) على هذه النظرية وعلى اتجاه مؤسسها (في محيط بحوثها) تثبت عدم وجود اية حجة علمية او اي متمسك لهؤلاء الملحدين في هذه النظرية .

نظرية داروين لا تدعو الى الالحاد

فداروين (مثلا) قد ورد في كتبه الخاصة ما يفيد بانه يعترف صراحة بوجود اله خالق حيث قال في كتابه (اصل الانواع) ، ان انواع الأحياء ترجع الى أصل واحد او عدة أصول أوجدها الخالق ، وان الحياة سر يعجز كل البشر عن معرفته .

وهذه الاقوال من قطب نظرية التطور والاتقاء (داروين) تصفع المتبجحين من الملاحدة بنظرية التطور والارتقاء التي يقول بها داروين .

يضاف الى هذا أن (داروين) مهما قيل فيه (حول كفره أو ايمانه شخصيا) فان جميع مؤلفاته حول تطور الكائنات الحية ليس فيها اي شيء يمكن تسميته دعوة الى انكار الخالق او تحريضا على التنكر للدين والدعوة الى نبذه .

بل لقد صرح داروين نفسه بأن بحوثه الخاصة بنظرية التطور والارتقاء لا تستهدف الدعوة الى انكار الخالق وليس فيها اي خطر على الدين .

فقد سئل داروين عن عقيدته الدينية فاجاب في خطاب ارسله الى مستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) عام ١٨٧٩ بقوله :

« ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني احدا غيري » (٥٠) .

---

(٥٠) عقائد المفكرين ص ٥٦ .

كما ان (الفرد رسل ولاس) وهو القطب الثاني من أقطاب نظرية التطور والارتقاء والذي حمل لواءها بعد (داروين) كان ينفي بشدة أن يكون هناك اية حجة للملحدين في هذه النظرية .

وكان ينفي ان يكون داروين قد اتخذ من هذه النظرية وسيلة لانكار وجود الله تعالى .

فقد جاء في كتابه THE WORLD OF LIFE (نافيا عن داروين هذه التهمة) قوله :

(ان داروين على ما يظهر قد صار الى نتيجة واحدة ، وهي أن الكون لا يمكن أن يكون قد وجد بغير علة (هي فوق الطبيعة) ولكن ادراك هذه العلة على أي وجه كامل يعلو على ادراك العقل البشري) .

ثم عقب (ولاس) على ذلك قائلا . (وانني لأولي هذه النظرة كل عطفي وشعوري ، ولكنني مع هذا ارى أننا مستطيعون أن نلمح قبسا من القدرة التي تعمل في الطبيعة يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التي تحول دون العلم بحقيقة الخالق الابدي الذي لا أول له ولا آخر (٥١) .

والمهم في الموضوع (كما قال الاستاذ عباس محمود العقاد) في كتابه (عقائد المفكرين) أن صاحبي مذهب التطور والارتقاء (داروين وولاس) لم يستندا الى هذا المذهب في انكار العقيدة الدينية ولم يزعما انه يفسر سر الحياة أو سر الكون — واحدهما وهو ولاس — كان مؤمنا بالله وبحكمته في مخلوقاته — والآخر وهو داروين — كان يأبى أن يوصف بالالحاد ويؤكد الى آخر ايامه ، أن الاستدلال بمذهب التطور على انكار الاله الخالق خطأ كبير

---

(٥١) ان الملاحدة (من شيوعيين وغيرهم) الذين يتمحكون بنظرية التطور والارتقاء ليجعلوا منها أهم ركائزهم للدعوة الى الالحاد ، لا يمكن أن يكونوا ، أكثر فهما لهذه النظرية وأعمق ادراكا لحقائقها من هذا العالم الكبير (ولاس) الذي اعترف له العالم أجمع بأنه القطب الثاني بالنسبة لهذه النظرية (بعد داروين) ولهذا فان ايمانه بالله الى هذه الدرجة يعتبر اقوى دليل على أن هؤلاء الملحدين انما يفترون على هذه النظرية واقطابها عندما يستندون عليها ويجعلون من قواعدها فلسفة لانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ذلك أن هذه النظرية لو كانت قد قامت على انكار الخالق جل وعلا، أو أن القول بها يستلزم انكاره، لكان أقطابها الذين أرسوا قواعدها (قبل ان يولد هؤلاء الملحدون) أول المنكرين لوجوده سبحانه وتعالى ، ولكن هذا (ولاس) أحد اقطاب هذه النظرية يعتبر من أشد المفكرين ايمانا بوجود الله تعالى ، فصح بهذا — يقينا — أن هؤلاء الشيوعيين انما هم متطفلون على نظرية التطور والارتقاء ومفترون على أقطابها حينما يجعلون من هذه النظرية سندا لهم في نكار وجود الله ونفي قدرته وحكمته .

وادّعاء لا سند له من العلم ولا من التفكير الامين (٥٢) .

هذا من ناحية موقف اقطاب نظرية (داروين) الشخصي حيال ما يفتريه الملحدون من شيوعيين وغيرهم من ادّعاء مفاده ، أن بحوث هؤلاء الاقطاب (حول التطور والارتقاء) تقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى .

أما من ناحية جوهر نظرية التطور والارتقاء ، فانه بالرجوع الى قواعد هذه النظرية يتضح لكل ذي عقل منزّه عن الهوى انه ليس للملحدين في أي من هذه القواعد سند علمي أو برهان عقلي يعتمدون عليه لتأييد نزعتهم الالحادية الداعية الى انكار وجود الله .

بل ان بعضا من هذه القواعد اذا ما أمعن الانسان فيه النظر يجد أنه لا يؤدي الى انكار الله تعالى وانما يمد الانسان بروافد من الايمان بعناية الله ورحمته وحكمته .

افلاس الملحدين في التمسك بنظرية داروين

ولكي نبرهن لكم على افلاس هؤلاء الملحدين في هذا المجال ، فانا سنتعرض (مرة أخرى باختصار) للقواعد الاربع التي بنى (داروين) عليها نظريته لنناقش الملحدين أمام كل قاعدة من هذه القواعد .

ذكرنا فيما مضى من مناقشة ، أن القواعد التي بنى عليها داروين (نظرية التطور والارتقاء) هي أربع قواعد :

١ ــ ناموس المطابقة .
٢ ــ ناموس تنازع البقاء .
٣ ــ ناموس الانتخاب الطبيعي .
٤ ــ ناموس الوراثة .

وقد شرحنا مقاصد هذه النواميس فيما مضى من مناقشة .

اقوى حجة للملحدين في النظرية

وبرجوعنا الى مشاغبات هؤلاء الملحدين على المؤمنين (باسم نظرية التطور والارتقاء) نجد أن أقوى ما يستندون عليه في نظرية داروين لانكار الخالق سبحانه وتعالى ، هو قانون (المطابقة) الذي يقول ان لنوع الاغذية وطرق الوصول اليها ، وللبيئة التي يعيش فيها الحيوان (بصفة عامة) أثرا في تكييف الجهاز العضوي للحيوان لكي يلائم البيئة التي يُجبر على العيش فيها .

---

(٥٢) اذا كان قد نقل عن (داروين) انه كان آخر ايامه ، يميل الى التردد والشك في وجود الله تعالى ، فانه ما زال (حتى موته) ينفي بشدة ان يكون في نظريته اي سند يمكن اتخاذه دليلا على انكار وجود الخالق سبحانه وتعالى .

فنظرية داروين (مثلا) تقول .. ان الكائن الحي اذا أجبر على العيش في بيئة تختلف عن البيئة التي كان يعيش فيها ، فان بعض أعضائه تبطل او تتطور أو يزيد عددها لكي يتمكن من مواصلة العيش في هذه البيئة التي لا يحتاج العيش فيها الى بعض هذه الاعضاء أو يحتاج الى مزيد منها أو تطورها او ايجاد اعضاء جديدة .

وهم يضربون لذلك مثلا بالعيون الاثرية غير المبصرة التي يقول علماء الحيوان انهم وجدوها في بعض الكهوف المظلمة التي لا سبيل للنور اليها أو تحت طبقات الارض ، ففسرت لهم نظرية داروين ذلك بأن سبب فقد هذه العيون حاسة الابصار ، هو :

ان نوع هذا الحيوان (صاحب العيون الاثرية غير المبصرة) كان يعيش في بيئة مشرقة غير مظلمة ، مما جعل العيون المبصرة من ضروريات حياته ، ولكنه لما اجبر على العيش في الكهوف المظلمة (او تحت طبقات الارض آمادا طويلة) فقد حاسة الابصار بالتدريج ، فضمر العضوان اللذان كان بهما يبصر وهما العينان ، لعدم حاجته الى الابصار في تلك البيئة المظلمة .

فبقيت هاتان العينان في ذلك النوع من الحيوان أثريتين ، فأورثهما ما تناسل منه في هذه الكهوف من الحيوان ، ثم اخذ ضمور هذه العيون الاثرية (في نسله) في الازدياد حتى تلاشت هذه العيون كليا بالتدريج ، لعدم الحاجة اليها لان هذا النوع من الحيوان صار يولد ويعيش ثم يموت في بيئة لا يحتاج فيها الى حاسة الابصار .

وأصحاب نظرية داروين يقولون مثل هذا في الاعضاء الاثرية الاخرى التي يقولون انهم وجدوها معطلة وغير مستعملة في حيوانات اخرى كبعض الافاعي التي قالوا انهم وجدوا فيها زائدتين عظميتين في القسم الخلفي لا حاجة لنوع هذه الافاعي فيهما ، وانما هما أثران لطرفين كانا موجودين في أجداد هذا النوع من الافاعي كان أولئك الاجداد في حاجة اليهما عندما كانوا يعيشون في بيئة تستلزم وجودهما .. الخ.

هذا مثال يضربه أصحاب نظرية داروين للاعضاء التي تضمر ثم تتلاشى في الحيوان لعدم الحاجة اليها عندما يعيش في وسط لا يستلزم وجودها.

أما بشأن ما يزعمونه من ظهور أعضاء جديدة للحيوان ، أو تطور هذه الاعضاء بسبب البيئة أو المحيط ، فانهم يضربون لذلك مثلا (ضمن ناموس المطابقة) بالحيوان الذي لا ناب له ولا مخلب لعدم الحاجة اليهما في البيئة التي يعيش فيها ، فيقولون إن هذا الحيوان إذا ما اجبر على العيش في بيئة تتطلب هذين العضوين (الناب والمخلب) فانهما تنبتان فيه ليتمكن من العيش وينجو من الهلاك ، وهم يقولون عكس ذلك فيما اذا عاش حيوان من

ذوات الناب والمخلب في بيئة لا تتطلب وجودهما حيث يبطل هذان العضوان بالتدريج حتى يتلاشيا الخ.

هذا هو خلاصة (ناموس المطابقة) الذي في ظله يشغب الملحدون على المؤمنين ويستدرجون عن طريق هذا الشغب ضعاف العقول ومهزوزي المدارك الى هاوية الالحاد .

فقال احد الاخوان (من حاضري المناقشة) .. ولكن هذا امر بعضه بدهي مشاهد ملموس ، فان اي عضو من الاعضاء اذا ما اهمل استعماله طول العمر ، فانه يتعطل ثم يضمر ، ولكن ما حجة الشيوعيين في مثل هذا الامر ؟!.

احتجاج الشيوعيين بالاعضاء الاثرية في الحيوان

وهنا تكلم الشيوعي الملحد فقال :

نعم .. حجتنا (في هذا) هو انكم معشر المتدينين تزعمون ان كل ما في الكون قد وجِد بعناية وقصد وارادة من ذات لها الهيمنة المطلقة على هذا الكون ، وذلك لكي تصلوا الى القول بضرورة الاعتقاد بوجود اله خالق له قوة فوق كل قوى الطبيعة ، ونحن (معشر الشيوعيين) ننفي هذا الزعم وننكره ، ونقول :

ان كل ما في الكون جميعا انما وجد بحكم الضرورة ، وان ما فيه من روائع التباينات وبدائع الموجودات انما جاء نتيجة التطور الطبيعي الآلي الذي لا دخل فيه للعناية او الارادة او القصد ، فليس هناك عناية الهية او رعاية ربانية ترعى هذا الكون (كما تزعمون) .

فلو كان هناك عناية الهية او رعاية ربانية لهذا الكون لما وُجِد في هذه الحيوانات اعضاء اثرية لا لزوم لوجودها (كالعيون غير المبصرة في بعض حيوانات الكهوف المظلمة) ولما حدثت تلك التحولات (بحكم الضرورة) في بعض اعضاء الحيوانات او الزيادة في البعض الآخر كانبات الناب والمخلب في حيوان ليس له (في الاصل) ناب او مخلب ، او ابطال هذين العضوين الموجودين تبعا لتغير البيئة والمحيط ، كما هو مفصل في نظرية التطور والارتقاء في قانون (المطابقة) ، ثم اردف قائلا :

فلو كانت هناك (كما تزعمون) عناية من قوة مدبّرة ترعى هذا الكون لما وجب ان يكون في هذه الكائنات الحية اعضاء لا فائدة منها ولا ضرورة لها ، ولما تحوّل ذو الرجلين الى ذي اربع (بحكم الضرورة) فصحّ بهذا انه

لا دخل للعناية والغاية ، وانما الدخل للضرورة فحسب (٥٣) .

نقض اقوال الشيوعيين بشان الاعضاء الاثرية

فقلت له ... سبحان الله .

انكم لو عقلتم ، لادركتم واقتنعتم أن كل هذا انما هو من أقوى الادلة وأوضح البراهين على وجود العناية الالهية والرحمة الربانية .

وهل تريدون دليلا أقوى على وجود هذا الخالق البر الرحيم من اعطاء كل كائن حي قابلية لأن يلائم البيئة التي يعيش فيها ، بتطوير اعضائه أو تزويده بأعضاء جديدة لا يمكنه العيش في البيئة الجديدة الا بها ؟.

فهل هناك ادل على العناية والقصد والحكمة من أن اذا وجد حيوان متمتع بعينين مبصرتين في بيئة خالية من الضوء (تماما) فأبطل الله حاسة البصر في هاتين العينين اللتين لم يعد الحيوان في حاجة اليهما ، ثم أبدله بحاسة أخرى تمكنه من الوصول الى ما يجعله يعيش ويحفظ نوعه من الانقراض ؟.

اليس من آثار العناية الالهية (لا الضرورة العمياء التي بها تهرفون) ان اذا قضي على حيوان لا ناب له ولا مخلب أن يعيش في بيئة (بعد تكوينه) يحتاج فيها الى ذينك العضوين (الناب والمخلب) فنبتا بالتدريج حتى

---

(٥٣) قال السلطان صالح بن غالب القعيطي (سلطان حضرموت) ، قال في كتابه (الآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات ص ٧٥ ط حيدر آباد .. قال اذا نظرت الى الكون بعين البصيرة ، يظهر لك بأنه خلق بقصد وحكمة ، واذا رأيت شيئا لم تظهر لك حكمته فذلك لقصور علمك وادراكك ، لا لأنه عار من الحكمة ، فكم من حكمة وأسرار في الكائنات خفيت على جهابذة العلماء فانكروها ولما ظهرت لهم الحقيقة رجعوا عن غيهم وانكارهم .. وقال الاستاذ شارل ريشه (المدرس بجامعة الطب الفرنساوية) ، ان حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يفلت من شعورها كل الافلات ، ثم قال .. ان كل هذا العلم الذي نفخر به الى هذا الحد ليس في حقيقته ادراكا لظواهر الاشياء ، وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا ، والطبيعة الصحيحة للنواميس التي تقود المادة الحية والجامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا .. وقال السلطان صالح القعيطي في ص ٧١ من كتابه (الآيات البينات) يقول الماديون ان الاجرام السماوية والكائنات كلها تخضع للناموس اللازم لها ، ويقولون ان الكون منتظم بحكم الضرورة ، ثم يعلق السلطان على ذلك بقوله .. ولم نعرف ما هي الضرورة التي تقضي بهذا النظام البديع المنزه عن الخبط ، ومن جعل الكواكب تسبح في الفضاء على مداراتها بنظام في غاية الدقة والضبط ، وهل الضرورة قوة مدبرة ؟؟ أم كلمة ليس لها معنى ، اما الماديون فينكرون وجود قوة مدبرة ، ثم يختتم السلطان القعيطي رده المفحم على الماديين بقوله .. فاذن ، الضرورة عندهم هي كلمة فارغة ليس لها معنى وانما وضعوها فقط لتأييد مذهبهم فيكررون هذه الكلمة عند الضرورة من غير تدليل .

يصير من ذوات الانياب والمخالب لكي ينجو نوعه من الفناء ؟!.

الاستدلال على نفي الشيء بدليل وجوده

اليس من دليل العناية الربانية أن اذا اضطر حيوان (ذو رجلين) في بيئة لا يمكنه العيش فيها الا اذا كانت له أرجل أربع فنبتت هذه الاربع له ، (كما تقول نظرية داروين) ، اليس هذا من أوضح أدلة القصد والعناية ؟.

ان استدلالكم (معشر الملحدين) بهذه القابلية التي اعطيت للحيوان (إذا صح انها أعطيت) لتتكيف أعضاؤه حسب متطلبات البيئة التي يعيش فيها .. ان استدلالكم بهذا على نفي العناية الالهية وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، هو من اسخف الاستدلالات واكثرها تهافتا ، لانه استدلال على نفي الشيء بدليل وجوده .

والا فكيف يمكن الاستدلال على نفي الخالق وعنايته الالهيـة باعطـاء الحيوان قابلية التكيف لتتطور اعضاؤه ، أو تزيـد أو تنقـص ـ حسب ظروف البيئة التي يُجبر هذا الحيوان على العيش فيها ـ لينجو نوعه من الانقـراض ؟!.

واذا لم يكن مثل هذا هو دليل العناية والرحمة والحكمـة الالهيـة فلست أدري ماذا يكون مصير الادلة القاطعة والبراهين الناطقة في دنيـا العقل والمنطق ؟.

فاذا كنتم (معشر الماديين) تعتبرون امداد الحيوان بالقابليـة التي تمكنه من أن يلائم البيئة التي تختلف عن البيئة الاصلية التي كان فيها ، حتى ينجو من الهلاك ، اذا كنتم تعتبرون هذا دليلا على العماية والفوضى وبرهانا على نفي الغاية والقصد والعناية ، فماذا (اذن تريدون) ؟!.

فهل تريدون أن يكون دليل وجود الله وعنايته ورحمته أن يترك هذا الحيوان مهملا دون أن يمده بقابلية تتكيف بموجبها اعضاؤه لحماية نفسه من الهلاك والانقراض عندما يجد نفسه مجبرا على العيش في بيئة تتطلب هذا التكيف (كما فصل ذلك داروين في نامـوس المطابقـة ضمـن نظريته ؟!) (٥٤) .

---

(٥٤) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥١٩) عند رده على الملحدين المستدلين بالاعضاء الاثرية والتحول في بعض الحيوان (حسب نظرية داروين) على نفي العناية الالهية ، قال .. يميل الماديون الى ان يعتبروا هذا التحول دالا على أن الخلق جار على سنة العماية المطلقة والضرورة المحضة ، كأنهم يريدون أن يهلك كل حيوان او نبات يقضي عليه بأن يوجد في بيئة غير بيئته الاولى ليسوغ لهم أن يقولوا أن في الكون

لا شك أن منطوق نقاشكم يدل مفهومه على هذا .
ان هذا منكم (دونما جدال) يدل علـى منتهى التعسف والعنـاد ومحاولة قلب الحقائق .

ثم قلت للشيوعي الملحد، ان الانسان عندما يصل (في العناد والمكابرة) الى درجة الاستدلال على عدم الشيء بما يدل على وجوده (كما فعلتم أنتم) حينما استدللتم على نفي العناية الالهية بما يدل (قطعا) على وجودهـا ، انما يعني أنه لن يرجع عن قوله حتى ولو أحاطته البراهين القاطعة من كل جانب على بطلان ما يقول .

وهذا لا ينطبق على أحد مثلما ينطبق عليكم (معشر الشيوعيين) .

قوة (عاقلة) مدبرة ؟؟ وهذا من غرائب شؤون الماديين .. والا نكيف لا يُعد امداد الحيوان بحاجته من الاعضاء التي لم تكن له من الرحمة الالهية ويعد عكسه من دلائل الحكمة والغاية والقصد ؟؟ ثم قال .. ان الذي حدا بالماديين الى هذا الزعم ، توهمهم أن هذا التحول الجزئي يدل على أن العالم كله خلق على هذه الوتيرة فوجدت الخلية البسيطة الاولى (أولا) ثم تحولت الى ارقى منها بتغير البيئة ، وهكذا تم الخلق على ما هو عليه من الابـداع ، ثم قال الاستاذ وجدي :

هب أن الخليقة تكونت على هذا الضرب من التدرج فماذا فيه من نفي القصد الالهي ؟؟ هل مما ينفي القصد الالهي أن توجد خلية بسيطة متمتعة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية التدرج نحو الكمال حتى تصل الى ارقى أنواع النبات والحيوان ؟؟ أليس أجدر أن يدل ذلك على قوة خالقة أوجدت هذه الخلية ومتعتها بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل الى كمالها ؟؟ ايهما ادل على دقة الصنع وغاية الابداع في عمل عامل .. أعمله الشيء دفعة واحدة وتركه وشأنه (دونما عناية او رعاية) يبيد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه على حال تمكنه من التدرج شيئا فشيئا وتحليته بالوسائل التي تمكنه من مكافحة التغيرات الطارئة في كل حين ؟؟ ثم يقول الاستاذ فريد وجدي .. خلق الله الارض على سنة تدريجية (كما تدل عليه المباحث الجيولوجية) وجعل بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير حتى ان سطح الارض الذي نعيش فيه كان قاعا للبحر في عصر من العصور ، وما فيه الآن من مدن عامرة كان قبل عدة أجيال غابات كثيفة ، وما كان غابات كثيفة يظل ويتقيت ملايين من الحيوانات ، أصبح الآن مناجم للفحم الحجري ، وقس على ذلك ما لا يحصى من الانقلابات ، ثم يقول .. فاذا كان الله خلق الارض على هذه السنة ، أفليس من الحكمة أن يخلق الكائنات ممتعة بخاصة مقاومة ، حتى لا تبيد وتتلاشى أمام هذه التغيرات ؟؟ فاذا لم يخلق الحيوان البصير على حالة تمكنه من أن يعيش في الظلام فتصبح عيناه اثريتين ، وما لا ناب له ولا منسر ، أن يكون له ذانك العضوان ، اذا اقتضت الاحوال المعاشية ذلك وهلم جرا ، هل بقي (ان لم يمتع الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من التحول التدريجي) على الارض حي يعمرها الآن ؟؟ ، ثم قال الاستاذ (فريد وجدي) يظهر لي أنه لا يرضي الماديين الا أن يكون الخالق على شكل الحكام المستبدين ، يأمر بخلق الكائنات مستقلة فتكون ، ثم يبيدها لاقل عارض من تغيرات الجو فتبيد ، فلا يريدون الها رحيما يحلي مخلوقاته من الوسائل بما تقاوم بـه الاعراض الارضية ، ثم يختتم الاستاذ (محمد فريد وجدي كلامه ضـد الملحدين قائلا) : والحقيقة أن الماديين يريدون ان يكونوا ماديين ملحدين ولو رأوا الله بأعينهم .

فأنتم تريدون ان تكونوا ماديين ملحدين (فحسب) حتى ولو رأيتم الله جهرة بأعينكم .. هذه هي حقيقتكم التي عرفناها عنكم في كـل عصر وجيـل .

سبب الانحراف بين بعض المثقفين

ولهذا فنحن عندما نناقشكم هذه المناقشة انما نقصد (في الدرجـة الاولى) تنبيه هؤلاء السطحيين الذين طالما غرّرتم بالكثير منهم وانحرفتم بهم نحو مزالق الكفر والانحلال .. هؤلاء الذين جعلتهم بهارج اقوالـكم وتزاويق عباراتكم يظنون أن المدنية والتقدمية لا يمكن ان يـكون اهـلا للاتصاف بهما الا الذي ينكر كل شيء ويستهزيء بكل عقيدة ويكفر بـكل ديـن .

ولا شك ان مما ساعدكم على اقتناص هذا النوع من السطحيـين المغفلين ، هو جمود بعض علماء المسلمين القياديين وانعزاليتهم الشديـدة التي نأت بهم عن مختلف الاوساط في امتهم، (وخاصة الثقافية والاعلامية) مما جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون شيئًا عما يتوافد من تيارات دخيلة داخل البيئات الاسلامية (تحت اسماء براقة مختلفة) وخاصة في محيط العلم والمعرفة ، وبالتالي لا يتخذون اية خطوات فعالة حاسمة مضادة ، تصـد الضار وتتقبل النافع .

الشيوعيون والقواعد الداروينية الثلاث

وهنا قال شاب مسلم آخر ... والآن وقد سمعنا ما فيه الكفايـة حول تشبث الملحدين بقانون المطابقة في نظرية داروين .

واذا كانت حججهم على هذه الدرجة من الضعف والتهافت في مجال اهم نقطة يتشبثون بها وهي (قانون المطابقة) فما هو (اذن) متمسكهم في القواعد الثلاث الباقية من قواعد نظرية داروين التي يزمّرون ويطبلـون باسمها ، ويزعمون دائما انها في جانبهم تنقض الايمـان وتنفي وجـود الخالق ؟؟.

فقلت له .. ان اقوى ما يشغبون به لنفي العناية الالهية هـو (كما قلت لكم) ما جاء في ناموس المطابقة من هذه النظرية ، والذي فصلته لكم ، وقد بيّنا لكم ان هذه الحجج هي من اسخف واتفه ما يحتج بـه مناظر أو يناقش به باحث .

اما بقية القواعد الثلاث ، فليس لهم فيها اي متمسك أو حتى اية شبهة لان هذه القواعد وهي (تنازع البقاء) و (الاصطفاء النوعي او الانتخاب

الطبيعي كما يسميه البعض) و (الوراثة) هي أمور معروفة مشهودة قبل أن يخلق (داروين) بآلاف السنين ، فليس في القول بها ما يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى .

تنازع البقاء من سنن الله

فناموس (تنازع البقاء) هو سنة الله الكونية في خلقه ، فكل المخلوقات (دائما) في صراع مستمر من أجل البقاء، وصراعهم هذا واختلافهم وتنافسهم هو الذي يحفظ الله به العالم، ولولا اختلاف الناس وتصارعهم لخربت الدنيا وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الناموس الثابت بقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ، وما قيام الدول وانهيارها وصعود الاسر وهبوطها ، وانتصار قوم وانهزام آخرين ، وانتقال الاموال والاملاك من يد الى يد الا نتيجة هذا الناموس الذي لا يستطيع احد انكاره (ناموس تنازع البقـــاء) .

حبُّ السيـــادة في النفوس   أحلّ ناموس التنازع ..
لولا الدماء الحمر ما اخـــ   ضرت بأهليها المرابــع .

البقاء للاصلح

أما ناموس الاصطفاء النوعي (أو الانتخاب الطبيعي كما يسميه البعض) فهو ليس الا نتيجة لناموس تنازع البقاء ، حيث قضت سنة الله ان تكون الغلبة والبقاء للأصلح والاقوى ، ولهذا فليس للملحدين في هذا الناموس مجال يشغبون (عن طريقه) على المؤمنين .

وأما ناموس (الوراثة) فهو أشـد النواميس الدارونيــة الاربعة استعصاء على الملحدين ، حيث لا يوجد لهم فيه أي متمسك أو شبهة بها يشغبون ، لانه ناموس معترف به في كل عرف ودين ، ولم يكن بدعا من القول طلع على الناس به (داروين) .

فليس في الناس على اختلاف اديانهم، من ينكر على من يقول (مثلا) أن فلانا قد ورث هذا الخلق عن أبيه أو ورث هذا الطول أو القصر عن جده أو أمه ، ولهذا فانه لا مجال (أيضا) للملحدين في ميدان قانون الوراثة الذي هـو احدى القواعد الاربع التي قامت عليها نظرية (داروين) .

ثم قلت له .. وهكذا يتضح لكل ذي عقل صحيح وتفكير سليم أنه ليس الملحدين (من شيوعيين وغيرهم) أي سند علمي في نظرية (داروين) سوى المشاغبة والتزوير والمغالطة .

مذهب داروين لا ينقض الايمان

قال السيد محمد فريد وجدي (٥٥) في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٢٠) .

فليلحد الماديون ما شاءوا أن يلحدوا ، ولكن حذار من أن يدّعوا أن مذهب (داروين) ينقض الايمان ، ويزعزع العقائد ، ذلك المذهب الذي اساسه التسليم (بقوة الخالق التي خلقت الخلية او الخلايا الأولية) حذار من ان يزعموا أن العلوم الطبيعية اقامت الدليل على نفي الخالق (سبحانه وتعالى) .

فهذه العلوم الطبيعية بين أيدينا ، وهؤلاء هم قادتها يصيحون بملء اشداقهم ان علم الطبيعة يدل على الخالق ويقوي الايمان به .

داروين بين الكفر والايمان

فقال شاب آخر .. ولكن هل كان داروين ملحدا وداعية الحاد ، أم انه كان مؤمنا ؟؟

فقلت له .. لقد تفرق العلماء والمفكرون ، حيال مذهب داروين الى فرق ثلاث :

١ ـ فرقة حكمت بكفره والحاده دون أن تناقشه على الصعيد العلمي .

---

(٥٥) ترجمة محمد فريد وجدي

قال الزركلي في الاعلام .. (هو) محمد فريد بن مصطفى وجدي .. مؤلف « دائرة المعارف » . من الكتاب الفضلاء الباحثين . ولد ونشأ بالاسكندرية . واقام زمنا «في دمياط» وكان ابوه وكيل محافظ فيها . وانتقل معه الى السويس ، فأصدر بها مجلة « الحياة » ونشر رسالة سماها « الفلسفة الحقة في بدائع الاكوان » سنة ١٨٩٩ وكتاب (تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية) كتبه اولا باللغة الفرنسية وترجمه الى اللغة العربية بهذا الاسم ، وسماه في طبعة أخرى « مدنية الاسلام » وسكن القاهرة ، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الاوقاف ، وانشأ بعدها مطبعة أصدر بها جريدة « الدستور » اليومية مدة ثم « الوجديات » وهي شبه مجلة اسبوعية ونشر كتابه « دائرة معارف القرن الرابع عشر : العشرين» في اجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات، ونشر من كتبه «ما وراء المادة» في جزاين، «وصفوة العرفان» وهو تفسير موجز للقرآن ، و«الحديقة الفكرية في اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية » و « المرأة المسلمة » في الرد على « المرأة الجديدة » لقاسم امين ، و « الاسلام في عصر العلم » مجلدان ، و « كنز العلوم واللغة » وهو من انفس الكتب ، و « على اطلال المذهب المادي » و « مجموعة الرسائل الفلسفية » و « نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين » وتولى تحرير مجلة (الازهر) نيفا وعشر سنين ، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين ، ولد عام ١٢٩٥ هـ وتوفي عام ١٣٧٢ هـ .

٢ ــ وفرقة لم ترض عن داروين واتهمته بالنفاق لتظاهره بعدم الالحاد .

٣ ــ وفرقة تقول ان داروين لم يكن ملحدا وانه كان مثبتا لوجود الله ومعترفا بأن الخلق من صنعه .

* اما الفرقة الاولى التي حكمت بكفر داروين من زاوية نظريته فهي تتكون من اكثر القساوسة المسيحيين ، وهؤلاء جاء حكمهم بالكفر على داروين باعتبار ان نظريته (جملة وتفصيلا) يؤدي الايمان بها الى انكار الاله الخالق، سبحانه .

ولما كان داروين قد ظهر في أروبا فان أعنف الحملات قد جاءته من رجال الكنيسة الذين كانوا (عند ظهوره) في صراع مرير مع العلم .

هجوم الكنيسة على داروين

ومن الذين هاجموا داروين وحكموا بكفره والحاده في أروبا ، أسقف اكسفورد (وهو من أكابر علمائهم) فقد اعلن هذا الاسقف ــ في خطبة القاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطانية ــ (٥٦) ان داورين ارتكب اشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله في فعل الخلق .

وقال الكاردينال (مانتغ) .. ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية تؤدي ــ عقلا ــ الى انكار الاله .

وقال الدكتور (به ري) كبير اساقفة ملبورن (في كتاب وضعه) ان داروين يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية .

وقال المونسنيور (سه غور) في فرنسا ، عن مذهب داروين ، انه من المذاهب المرذولة التي لا يؤيديها الا احط النزعات وأسفل المشاعر ، فأبوها الكفر وأمها القذارة .

وفي ألمانيا أعلن بعض العلماء ان مذهب داروين يناقض كل فكرة موجودة في الكتب المقدسة .

---

(٥٦) ومرة وقف اسقف اكسفورد هذا (فى منتدى الجمعية البريطانية) خطيبا يهاجم نظرية داروين ، وكان توماس هكسلي ــ الذى يعد أكثر الشباب تحمسا لنظرية داروين ــ حاضرا فى المنتدى فخاطبه الاسقف قائلا (فى سخرية) : أود أن أعرف يا سيد هكسلي ، أعن جدك أم جدتك تدعى التحدر من سلالة القرود ؟؟ فوقف توماس هكسلي وسط الجماهير وقد أومضت عيناه بلهب الغضب ، فرد على الاسقف قائلا .. أود ان أؤكد للجمهور الكريم بأنى لا أخجل من اثبات الرأى القائل بكوني والقرد متحدرين من اصل واحد ، ولكن اذا كان هناك ثمة من جد أخجل من الانتساب اليه فهو رجل كأسقف اكسفورد ..

واعلن (لو تاردت) استاذ اللاهوت في لايبزيـغ (أن فكـرة النشر تناقض الحكمة الالهية مناقضة تامة ، وان فكرة الخلق ملك للدين لا للعلـم الطبيعي ، وأن كل الهيكل الاعلى للدين انما يقوم على مذهب الخلق) .

ودعا (لوتاردت) علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبية ضد مذهب التطور والارتقاء الذي سماه بالمذهب الخاطىء المفسد .

وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث كيف يخلـع اللـه عن عرشـه) .

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين جمس في كتابه (الداروينـزم أو الانسان القردي) الذي نشر في باريس عام ١٨٧٧ ، مذهب دارويـن بأنـه (اسطورة واضحوكة) .

وقال الدكتور دوفيلد من الجامعة نفسها .. (أن التوفيق بين مذهب النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به (ولو ثبت علميا) يكـون كافـرا باللـه) .

وقال الدكتور (لـي) انه لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تؤول لغة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعت داروين واتباعـه بأنهم مبشرو البلاليع القذرة .

وفي الكلية الامريكية في بيروت طرد الاساتذة الذين ظهر انهـم يقولون بمذهب داروين (٥٧) .

غير أن مما تجب الاشارة اليه والتنبيه عليه هو أن جميـع مؤلفـات داروين الخاصة ببحث التطور والارتقاء ليس فيها أي شيء يمكن تسميته دعوة الى الكفر أو فلسفة هدفها انكار الخالق ، كما يدعي الشيوعيون الذين جعلوا نظرية داروين منطلقا لدعوتهم الالحادية بين السطحيين من المثقفين .

هجوم الملحدين على داروين

* اما الفرقة الثانية التي لم ترض عن داروين، فهم الملاحدة الطبعيون، فقد اتهم هؤلاء الملاحدة داروين بخيانة العلم ، وزعموا انه نافق وتملق رجال الدين ، عندما لم يعلن (صراحة) انكار وجود الاله الخالق ، بل ولانه أعلن براءته من تهمة الالحاد التي وجهت اليه في أول حياته . وانـه كان يرفض التفسير للحياة بأنها من صنع الطبيعة ، وانما يقول (كما نسب اليـه) بأن

---

(٥٧) انظر كتاب (قصة الايمان) ص ١٩٢ ـ ١٩٤ ط اولى .

الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ولم يشأ أن يعلن انكار وجود الله كأساس لنظريته التي تبناها من بعده الملاحدة وجعلوها أساسا لانكار وجود الخالق سبحانه وتعالـى .

* اما الفرقة التي ترى ان داروين (مع قوله بالتطور والارتقاء) هو مؤمن بالله ،فهم كثيرون من الباحثين الدينيين (المسلمين منهم والمسيحيين).

دفاع الاستاذ الجسر عن داروين

ومن العلماء المسلمين الذين نفوا عن داروين صفة الالحاد وقالوا انـه مؤمن بوجود الله .. الاستاذ نديم الجسر والسلطـان صالـح بن غالب القعيطي ، والاستاذ محمد فريد وجدي .

اما الاستـاذ نديم الجسر فقد صرح في كتابه (قصة الايمان) (٥٨) أن داروين لم يكن ملحدا وانما كان مؤمنا بالله تعالى ، ونسب اليـه القول بأن الحياة (في الاصل) نفخت في الكائنات بقدرة الخالق العظيم .

ويقول الاستاذ الجسر ان ما اشيع عن داروين من القول بالتولد الذاتي ونفي الخالق هو افتراء على هذا العالم وبهتان .. ان داروين لا يتردد أبدا في الاعتراف بأن الله هو الخالق لاصل الانواع ، لأن عقله لم يتسع لتصديق الراي القائل ان أصل الانواع تولد تولدا ذاتيا بنفســه .

دفاع السلطان القعيطي عن داروين

اما السلطان صالح بن غالب القعيطي فقد اثبـت ايمـان (داروين) بقوله .. ولم يبحث داروين في اصل الحياة بل قال ان الانواع كلها مشتقة من أصل واحد ، أو أصول محدودة نفخ فيها الخالق روح الحيــاة ، فهـو (اي داروين) يعتقد بأنها استمدت الحياة من خالق خلقهـا ثم اخـذت في التنوع لمقتضى نظرية سماها بالانتخاب الطبيعي (٥٩) .

أما الاستاذ محمد فريد وجدي فقد أكد ايمان داروين بقوله في دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٠٣ :

قال العلامة داروين .. يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعي تراقب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين لأجل ان تنتخب بعناية من تلك العوارض ما يستطيع في أحوال مختلفة

---

(٥٨) ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ط اولى .

(٥٩) ص ٦٩ ط اولى (الآيات البينات)

وبنوع ما ، ودرجة ما ، أن يميل لاحداث صورة اكثر وضوحا ، ثم يقول الاستاذ وجدي مؤكداً ايمان داروين بالله .

من هنا يعلم القارىء أن داروين يرى انه يجب التسليم بوجود قوة الهية ليستطاع تعليل انتخاب الطبيعة للصالح في تحويل الكائنات ، فمذهب داروين ــ فضلا عن أنه لا ينفي العقيدة بوجود الخالق فهو يوجبها ايجابا ، فكأنها جزء من مذهبه ، ثم يختتم الاستاذ وجدي كلامه بقوله :

فما قيمة حجة الماديين بازاء هذا الاعتراف الصريح من داروين ، وبأي خيال استعاضوا عن هذه الحقيقة ؟ ا هـ .

حقيقة داروين الدينية

ثم قلت للشاب المستفسر ، وهكذا فالعلماء والمفكرون تختلف نظرتهم الى داروين .

فقال .. والآن وقد عرفنا الآراء المختلفة حول ايمان داروين وكفره .. فما هو القول الفصل في حقيقة هذا العالم الذي اقعد الدنيا وأقامها بنظريته ، وما الذي ترجحه انت من اقوال الفرقاء الثلاثة ؟.

فقلت له .. ان الذي اتضح لي « على ضوء ما قمت به من دراسات لداروين ونظريته ومما قاله هو عن نفسه) هو أن داروين لم يجعل نظرية التطور والارتقاء اساسا للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق ، ولم يثبت انه ناظر عالما او جادل مفكرا على هذا الاساس .

فداروين لم يقل كما قال (ارنست هيكل) ان الحياة تولدت من المادة تولدا ذاتيا وبفعل الطبيعة ، ولم يعلن انكار الخالق صراحة (كأساس لنظريته) .

وكل ما قاله داروين عن الحياة انها وُجِدَت في البيئة المائية ــ بطريقة ما ــ أعلن جهله بهذه الطريقة كليا .

ليس داروين داعية الحاد

وهذا يعني أن داروين لم يكن داعية كفر والحاد (بمعنى كلمة داعية) بل انه كان دائما يتجنّب النقاش في هذا الموضوع ، ولم يثبت انه كلّف نفسه مهمة الرد على احد من الذين اتهموه بالكفر والالحاد ، بالرغم من تعرضه لاعنف الهجمات من رجال الكنيسة وغيرهم .

غير أن الذي نستطيع أن نجزم به ، هو أن داروين كان في أول أمره معترفا بوجود الله ثم تردد وشك في وجود الله واعتنق مذهب (اللاادري)ثم

اتضح فيما بعد انه كان (في نفسه) ملحدا ، الا انه ما كان يستطيع أو ما كان يريد اشغال وقته بالدفاع عن الالحاد والدعوة اليه ، ولهذا جاءت جميع بحوثه حول التطور والارتقاء خالية من اية دعوة الى الالحاد صريحة .

فقال الشاب المستفسر .. هل لديكم من أقوال داروين نفسه ما يثبت صحة ما نسبتموه اليه الآن ؟.

فقلت له .. نعم .

فقد ذكر داروين في ختام كتابه عن أصل الانواع ، أن الانواع ترجع في اصولها الى بضعة أنواع تفرعت على جرثومة الحياة التي أنشأها الخالق (٦٠) وهذا من داروين دليل على انه معترف بوجود الله (٦١) .

اقوال داروين المتناقضة

بل ان داروين كان ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد .

فقد كتب مرة الى احد اصدقائه يقول .. انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع انه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (٦٢)

ولكن بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد ، اذا بنا نجده في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى .

فقد كتب سنة ١٨٧٩ م الى المستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني أحدا غيري ، ولكنك سألتني فأسمح لنفسي أن أقول انني متردد ، ولكنني في أقصى خطرات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب ان وصف اللاادري يصدق علي في أكثر الاوقات — لا في جميعها — كلما تقدمت بي الايام .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م الى طالب هولندي سأله عن عقيدته الدينية فقال :

ان استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفي نفوسنا الشاعرة

---

(٦٠) عقائد المفكرين ص ٥٥ .

(٦١) وقال الاستاذ جورج حنا (وموقفه من الشيوعية معروف) قال في كتابه قصة الانسان ص ٩ ان النظرية الداروينية لا تنفي وجود الخالق .

(٦٢) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢٣ للاستاذ محمد قطب .

قائما على مجرَّد المصادفة ــ هي في نظري اقوى البراهين على وجود الله ، ولكني لم استطع ان اقرر قيمة هذا البرهان .

ثم نراه يكتب الى الطالب نفسه فيقول انه لا يرى دليلا على الوحي وان الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء ان يتخذ له فيه معتقدا بين المحتملات المتضاربة .

وفي خطاب ارسله داروين سنة ١٨٨١ م الى جراهام صاحب كتاب (عقيدة العلم) قال فيه :

انك عبَّرت عن عقيدتي الباطنة .. ان الكون لم ينجم عن مصادفة ، ثم عاد يتساءل ما قيمة هذه المصادفة في اثبات تحقيقها ؟.

غير أن كل هذه الكلمات التي نفى بها داروين عن نفسه تهمة الكفر والالحاد ، قد دلت على أن الرجل لم يكن مؤمنا بالله ، وان أقل احواله انه كان (آن ذاك) مترددا في هذا الايمان ، وقد يكون أكثر ميلا الى الالحاد ، الا انه ما كان يستطيع ، أو ما كان يريد الجهر به والدعوة اليه .

فانت ترى خلطا وازدواجا في كلامه ذاك ، بين التظاهر بعدم انكار الخالق سبحانه وتعالى وبين الميل الى القول بانكاره .

فهو مثلا يقول انه لم يكن ملحدا ، ولكنه في الوقت نفسه يقول انه متردد في الايمان بالله ، وان مذهب (اللاأدري) هو مذهبه .

وهل لكلمة (لا أدري) في مجال الايمان بالله ، من معنى سوى عدم الايمان بالله ؟!.

ولكن داروين اذا كان لم يصرِّح (في هذه الكلمات الغامضة المتناقضة) بالالحاد ، فانه اخذ آخر أيامه يزحف سريعا نحو اعلان الكفر والتصريح بالالحاد .

كفر داروين آخر ايامه

لقد صحَّ عنه قوله .. لم أكن واثقا من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق تماما من اعتقادي بالانسان (٦٣) .

ونقل عنه أنه قال ..

ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت (٦٤) ، وهذا من داروين

---

(٦٣) عبافرة العلم ص ٨٢ للاستاذ جورج سلستي .

(٦٤) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢١ .

اشارة صريحة الى انه لا يرى ضرورة الايمان بالله ، ويعتبر الايمان بوجود الله (كضرورة لرعاية هذا الكون) تدخلا في شؤون الخلق لا مبرر له .

غير أن داروين قد ذهب الى ابعد من هذا حيث اعترف (صراحة) بالالحاد .

وقد جاء اعترافه هذا في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة هارفارد ، قال فيه : علي ان اخبرك – كرجل شريف – بأني بلغت غاية الهرطقة والالحاد في قولي انه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ، ولعلك ستحتقرني من أجل ذلك (٦٥) .

بل قد ندم داروين على تنصله من تهمة الكفر مجاراة للرأي العام ، فأعلن انه لا يؤمن بعناية الهية .

قال الاستاذ يوسف كرم في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٣٦):

وقد كان (داروين) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الانواع) الذي قال في ختامه ان الصور الحية الاولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجاراة للرأي العام ، وصرّح بأن الحياة لغز من الالغاز وأن ما في العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية الهية . اهـ .

فداروين (هنا) يتخذ من تعرض البشر للآلام دليلا على انكار وجود اله خالق لهذا الكون .

ولعل اقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته التي قالت بعد موته :

لا ريب عندي في أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه (٦٦) .

هكذا قالت زوجته وهي (دونما جدال أدرى الناس به) وقد كانت على جانب كبير من الثقافة ، وهي لم تشهد على زوجها بالكفر (مع اخلاصها له وتفانيها في خدمته) الا لانها علمت ذلك عنه علم اليقين ، لاسيما وأنها من المخلصين لدينها المتضلعين فيه .

ثم قلت للاخ المستفسر ، وهكذا يتضح ان داروين قد اجتاز في حياته ثلاث مراحل .. الايمان ثم الشك والتردد ، واخيرا ، الكفر الصريح والالحاد

---

(٦٥) عباقرة العلم ص ١٧٦

(٦٦) عباقرة العلم ص ١٨٤

المكشوف .

فقال .. لقد اتضح لي الآن سر اختلاف الفرقاء الثلاثة في نظرتهم الى داروين من ناحية عقيدته الدينية وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

فقد كان مؤمنا (وهذا في أول أمره) وهو ما حمل الفريق الثالث على نفي الالحاد عن داروين ، ولعل هذا الفريق لم يطلع على ما صرّح به داروين من كفر والحاد .

ثم صار شاكا مترددا ومصانعا للراي العام ، وهذا ما حمل الفريق الثاني على أتهامه بالنفاق .

ثم انتهى به الامر الى الكفر الصريح والالحاد المكشوف آخر أيامه ، وهذا الذي جعل الفريق الاول يحكم بالحاده ويدعو الي محاربة نظريته .

الفصل الثالث

* خلق الحياة كما يراه داروين .
* ابونا آدم بين القرآن والنظرية .
* تحقيق القول في قصة تحدر الانسان من القرد .
* القول الفصل في النظرية من وجهة نظر الاسلام .

موقف الاسلام من نظرية داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

والآن وقد عرفنا ما كنا نتوق الى معرفته عن نظرية التطور والارتقاء ، وعن ايمان داروين والحاده ، فانا نتوق (بشغف) الى معرفة القول الفصل من ناحية الدين في جوهر نظرية التطور والارتقاء (من حيث وقائعها التي ذكروا) ، وهل فيما أشارت اليه هذه النظرية (من حيث تحول الانواع وتطورها وارتقائها من أدنى الى أعلى) ما يخالف الدين أو يتنافى مع قدرة الله والايمان بوجوده ؟.

قواعد النظرية والايمان بالله

فقلت له .. ان مراحل التطور والتحول والارتقاء التي أشار اليها الداروينيون (من حيث امكانها) ليس فيها ما يتنافى مع العقل أو يتصادم مع الدين أو يتعارض مع الايمان بوجود الله وقدرته ، لو أن هذه النظرية كانت حقيقة واقعة ، وأن الذين يقولون بها قالوا ، انها تتم بقدرة الله وارادته وتدبيره .

فليس مما يتنافى مع العقل او الدين القول (مثلا) وجود الحياة في البيئة المائية (بقدرة الله) ثم تحويلها الى نباتات ضعيفة ثم تطويرها (تحت رعاية الله وتدبيره) الى حيوانات بدائية فحيوانات أكبر ريشية ومجنحة فحيوانات ذات فقرات فانسان كامل .

وما قصة تطور دودة مائية حقيرة الى انسان (بقدرة الله من حيث

الامكان) الا كقصة تطوير كمية من الطين اللازب الى انسان . فالله قادر على كل شيء .

فليس (اذن) مما ينافي العقل او الدين القول (مثلا) ان النملة قد تحولت (بأمر الله وقدرته) الى فيل ، أو تطور الذباب الى ديك ، أو تحولت البعوضة وتدرجت الى نعامة ، أو أن حيوانا (مّا) ترقى الى انسان بقدرة الله تعالى وارادته .

وعلى هذا فانه ليس في جوهر قواعد نظرية التطور والارتقاء التي ذكر داروين (من حيث الامكان) ما يتنافى مع العقل والدين .. لو أن وقائع هذه المراحل صحيحة ، وبموجبها (حقا) تم تكوين الانسان وخلق الحيوان.

فقال (اذن) انت لا ترى أي محظور من ناحية الديـن ، في الايمـان بنظرية التطور والارتقاء على النحو الذي فصّله (داروين) .

فقلت له .. ليس على الاطلاق .

بل هناك في هذه النظرية امور يحتم علينا ديننا رفضها وعدم التسليم بهـا .

فبالرغم من ان قواعد نظرية داروين ليس فيها من حيث الجوهر ما يتعارض مع أصول الدين او قواعد الايمان بالله تعالى ، فان هناك في هذه النظرية عاملين أساسيين يحولان بيننا وبين التسليم بها .

الظن لا اليقين اساس نظرية داروين

العامل الاول ، هو ان هذه النظرية ليست من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل ، بل انها لا تزال باعتراف أقطابها (حتى هذه اللحظة) فرضا من الفروض ، وظنا من الظنون .

والامور المبنية على الظن والافتراض (لا اليقين) قابلـة لاعادة النظر بالتعديل أو الالغاء .

وليس من مصلحة الانسان ولا مما يزينه ان يؤمن بفكرة أو يتعصب لنظرية مهزوزة اساسها الظن والتخمين ، وقابلة لأن ينفض اصحابها أيديهم منها عندما يفرض البحث التجريبي عليهم ذلك .

فنظرية التطور والارتقاء ، ما دام انها (باعتراف قطبها داروين) نظرية غير مقطوع بصحتها فانه لا يستبعد أن يأتي اليوم الذي يحكم فيه العلم بأن

هذه النظرية خرافة من الخرافات (٦٧) وذلك كما حدث لكثير من النظريات المشابهة في عصور مختلفة .

فنحن نرى أن العلم ما يزال في طفولته وما يزال كل يوم يصل الى آفاق جديدة ، فيلغي الغاء تماما معلومات كان ينظر اليها بالامس على أنها حقائق نهائية لا تقبل الجدل ولا تحتمل التأويل .

وليس العهد ببعيد حين قال (انشتين) (٦٨) ان قوانين نيوتن في الجاذبية لا تصلح للتطبيق الا على سطح الكرة الارضية ، ولكنها لا تصلح للكون الكبير ، فهي حقائق محلية صغيرة لا حقائق مطلقة ، وهي قابلة للنقض والتبديل حين تطبق على الاتساع .

---

(٦٧) ذكر الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) أن الصحف اخيرا ذكرت ان عالمين امريكيين قد كشفا في احد الكهوف آثارا من مخلفات الانسان الاول وان هذا الكشف سيؤدي الى نتائج مخالفة لنظرية داروين .

(٦٨) هو البرت انشتاين من أصل يهودي ولد في (أولم) ورتمبرغ من أعمال النمسا ، وتلقى دراسته في جامعتي زوريخ ومونيخ ، وبعد تخرجه التحق بوظيفة في مكتب براءات الاختراع في مدينة (برن) بسويسرا ، تولى (انشتاين) منصب الاستاذية في جامعة زوريخ ثم في جامعة برلين ، ظهر الذكاء مبكرا على (انشتاين) كان انشتاين (كما قلنا) من أصل يهودي ، ولكن (بحكم وجوده في بلد مسيحي) فقد تلقن في المدرسة أصول الدين المسيحي ، وقد قاطع (انشتاين) هذه المدرسة ولم يعد اليها نهائيا ، وسبب ذلك انه بينما كان في الصف مع الطلاب (داخل المدرسة المسيحية) اذا بالمعلم يقف اثناء الدرس ، وبين أنامله مسمار غليظ ولم يلبث أن اندفع يروي للطلاب (في تأثر) كيف استشهد المسيح وصلب على أيدي اعدائه من اليهود وكيف غرزوا في يديه ورجليه المسامير التي من طراز ذلك المسمار ، وهي القصة التي يزعمها المسيحيون وينفيها القرآن الكريم (وما صلبوه ولكن شبه لهم) ولما كان الطلاب يعرفون أن (انشتاين) يهوديا فقد التفتوا اليه جميعا وحدجوه بعيون تنم عن الحقد والكراهية ، وكأنه هو بنفسه قد صلب المسيح ، ولم يكن من انشتاين في تلك اللحظة الا أن غادر المدرسة الى الابد ، وكان هذا قبل ان يبلغ الخامسة عشر من عمره ، ثم أكب (انشتاين) على كتب كل من اقليدس وكوبر نيكوس ونيوتن وسبينوزا وديكارت ، حتى التهمها كلها ووعاها بذهن متوقد واع قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وقد طار صيته (لا في المانيا وحدها) بل في العالم اجمع ، ففي عام ١٩١٥ اصدر رسالة ضمنها نظريته في الجاذبية ، فطار صيته في أنحاء العالم ، وكان (انشتاين) من أنصار مذهب (اسحاق نيوتن) مكتشف الجاذبية المشهور في أوربا ، وقد انفرد انشتاين بأبحاث طريفة في نظرية الكم ، في النشاط الذري ، وقد نال جائزة « نوبل » في الفيزياء عام ١٩٢١ ووسام (كوبلي) عام ١٩٢٥ كما أنه برع في علم البصريات ، وهو صاحب النظرية المعروفة في النسبية ، نزح انشتاين عن المانيا عندما اشتدت وطأة النازية على اليهود فغادرها عام ١٩٣٣ الى اكسفورد بعد أن تخلى عن كرسي الاستاذية في جامعة برلين ، وبعد ذلك رحل الى اقطار العالم ، وعين اخيرا استاذا في جامعة (برنستون) بعد أن استقر في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي عام ١٩٥٠ أعلن نظريته في الكهراطيسية والجاذبية في معادلة واحدة ويقول الكثير أن انشتاين يعتبر اعظم رياضي انجبه العالم منذ كوبر نيكوس ، ولد (انشتاين) عام ١٨٧٩ ومات عام ١٩٥٥ .

واليوم تكشف أسرار الذرة فتنشأ حولها نظريات كثيرة في تفسير الكون والحياة كانت مجهولة من قبل ويبدو بجانبها بعض ما كان يسمى (نظريات علمية) أقرب الى الخرافات والاساطير (٦٩) .

قصة خلق آدم كما تراها النظرية

أما العامل الثاني (وهو الاهم) فهو أن من مستلزمات الايمان (بنظرية داروين) القول بأن الانسان الاول (وهو ابونا آدم) كان ناقصا في تكوينه العقلي والجسمي ، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

ذلك أن هذه النظرية تقول .. ان تكوين الانسان بدأ بجرثومة صغيرة وجدت في البيئة المائية ثم تدرجت على مر آلاف السنين الى حياة نباتية حول المستنقعات التي نبتت فيها هذه الحياة والتي تدرجت ارتقاء الى حياة حيوانية بدائية فأكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات ذات فقرات فحيوان قريب من الانسان فانسان أول (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم) ترقى هذا الانسان على مر الدهور حتى وصل الى درجة الانسان الحاضر الذي هو (في نظرية داروين نهاية سلسلة تلك التطورات) ..

والقول بأن ابانا آدم (الذي هو الانسان الاول) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم يترتب عليه نفي كل ما جاء في القرآن عن قصة آدم وحواء والجنة والملائكة وابليس ، ويجعل هذه القصة الصريحة الواضحة في القرآن خرافة من الخرافات .

لانه لا يصح (في قضية العقل) ان يكون محور تلك القصة الخطيرة انسانا لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فالقرآن الكريم قد نص على ان الله تعالى قد جعل من هذا الانسان الاول ابينا آدم خليفة في الارض واصطفاه نبيا أوحى اليه بالامر والنهي ، واسكنه وزوجه الجنة ، ونص على أن هذا الانسان كان أرقى من الملائكة فهما وعلما ، فقال تعالى (في حق هذا الانسان الاول) :

« اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون ، وعلّم آدم الاسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين » « قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض » « وقلنا يا آدم

---

(٦٩) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢٠

اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هـــذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » (٧٠) .

موضع التعارض

هذه هي قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس في القرآن ، التي لا تدع مجالا للشك في القول بأن من مستلزمات الايمان بها التسليم بـأن قطب هذه القصة (الانسان الاول آدم) كان على غاية مـن كمـال الجسم والعقل والفهم والادراك ، اذ مما يرفضه العقل أن يكون من لا يـــدرك ولا يعقل ولا يتكلم خليفة الله في ارضه يوحي اليه بالامـر والنهي ، ويختصه بالعلم والمعرفة .

وتلك هي قصة آدم في نظرية التطور والارتقاء التي تقول ان ابانا آدم (الانسان الاول) كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

وبالمقارنة بين القصتين يتضح التعارض (جليا) بين القرآن وبـــين نظرية داروين .

ومن هنا صار محتما على كل مسلم رفض ما جاء في نظرية داروين بشأن قصة تكوين الانسان ، لان اقل ما في هذه النظرية من خطر على دين المؤمن بها هو ان الايمان بها فيه تكذيب صريح للقرآن ، نقطة هذا التكذيب الرئيسية ، هي قول نظرية داروين ان الانسان الاول (آدم) كان اشبـــه بالحيوان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وهذا القول (كما قلنا) يلغي قصـة آدم وحواء والجنة التي جاءت صريحة في القرآن الغاء تاما . وفي هذا ما يكفي للقطع بأن الايمان بنظرية داروين يتناقض تماما مع الاسلام .

فقال الشيوعي (محاولا دس السم في الدسم) انه ليس من الانصاف انكار الحقائق التي قررها العلم (كقصة الانسان في نظرية داروين) بحجة انها تتناقض مع نصوص القرآن ، وماذا يضير العلم اذا كان كتابكم يضيـــق بالحقائق التي اكتشفها هذا العلم ، ثم اردف قائلا :

فالحقائق هي الحقائق لا بد من الاعتراف بها سواء جاءت موافقـــة لنصوص كتابكم او مخالفة له ، وما جاء عن تكوين الانسان في نظرية داروين هو من هذه الحقائق .

---

(٧٠) البقرة : الآيات : ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ .

فقلت له ... لقد اخطاك التوفيق ، فمن الذي قال لك ان نظرية داروين هي من الحقائق التي اقرها العلم حتى تهذي هذا الهذيان ؟؟

اهو داروين الذي فارق هذه الدنيا وهو يكرر القول بأن نظريته لم تصل بعد الى درجة الحقائق التي لا تقبل الجدل ، ام انصار هذه النظرية من بعده الذين اجمعوا على ان نظرية التطور والارتقاء لا يمكن وصفها بأنها من الحقائق التي يقرها العلم ؟؟.

ان نظرية داروين يا هذا .. لا تزال حتى هذه اللحظة (باعتراف أساطين العلم في العالم) ظنا من الظنون وفرضا من الفروض ، فأساسها الحدس وحيطانها التخمين ، ومن السفه والغباء أن نسلّم نحن المسلمين بالغاء قصة آدم وحواء والجنة المذكورة في القرآن ، الكتاب الخالد الذي حديثه أصدق حديث في الوجود والذي لم نجرّب عليه (منذ انزله الله) حادثة واحدة تتناقض مع العقل أو الواقع ، نعم من السفه بل ومن الكفر ان نسلّم بالغاء ما اثبته هذا الكتاب الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مقابل الايمان بمزاعم نظرية قامت على أساس من الظن والوهم والتخيّل ، يصرّح أقطابها انفسهم بأن قواعدها قابلة للتغيير والتبديل والتعديل لعدم ثبوتها قطعيا .

محاولة التوفيق بين النظرية والقرآن

فقال شاب ، تظهر عليه سيماء الذكاء وسعة الاطلاع مع ثقافة اسلامية عالية .

الا يمكن التوفيق بين قصة تكوين الانسان الصريحة في القرآن وقصة الجنة وآدم وحواء وابليس ، وبين نظرية داروين (على فرض صحتها) أو بعبارة أدق ازالة التعارض بينهما فيما يختص بأدوار التطور والارتقاء التي سبقت تكوين الانسان الكامل .. الا يمكن ازالة هذا التعارض بالقول ان كل أدوار التطور والارتقاء هذه التي اشار اليها داروين والتي انتهت بتكوين الانسان الكامل انما كانت قبل أبينا آدم عليه السلام ، وان آدم هو الانسان الكامل الاول ، لا الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك .

وان هذا الانسان الناقص التكوين انما جاء ضمن ادوار التطور التي افترض داروين وجودها والتي ابتدات من الماء والطين وانتهت بأن خلق الله بعدها آدم بنفخه فيه من روحه فاستوى انسانا كاملا ، وان آدم هذا (اذا صحة نظرية داروين) هو آخر سلسلة تلك التطورات التي (ان صحت وقائعها) لا شك انها قد حدثت بقدرة الله ولحكمة ارادها ؟؟؟.

ثم أردف قائلا .. وذلك باعتبار انه من الجائز (عقلا وشرعا) أن يكون الله تعالى قد خلق (قبل ابينا آدم) انواعا من الانسان كانت أقل في التكوين من أبينا آدم تدرَّجت في التكويـن (ارتقاء بقدرة الله تعالى) حتى كانت نهاية ذلك الارتقاء والتطور أبانا آدم الذي نفخ الله فيه من روحه ؟!.

ثم عقب على ذلك بقوله :

اذا ما ثبتت نظرية داروين (علميا) ، فانني ارجح القول الذي اشرت اليه آنفا ، لاسيما وأن بعض الاسلاميين قد قالوا بأن هناك أنواعا من الانسان كانت موجودة قبل ابينا آدم عليه السلام (٧١) .

ثم أردف حديثه قائلا :

أن نظرية داروين (بالنسبة لمراحل تكوين الانسان) يمكن بل يجب حملها على هذا المحمل (اذا ما صحَّت) لاسيما وأن داروين (نفسه) لم يقل صراحة ان الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعا) أبونا آدم بالذات ، كما أن داروين أيضا لم ينف (قط) أن مصدر الانسان هو الطين ، بل لقد جاء في وقائع نظريته ما يشير صراحة الى أن مصدر الانسان الاول كان الطين .

فقد صرَّح داروين بأن الحياة (حياة كل الكائنات من حيوان وانسان ونبات) وُجِدت في البيئة المائية بطريقة ما ، لا يعرف أحد من البشر (حتى الآن كيف وجدت) وأن مصدر الانسان الارض التي انبت الله حياته فيها حول المستنقعات ، وقد جاء هذا القول صريحا عن داروين في آخر كتابه (أصل الانواع).

ثم قال الشاب الذكي :

---

(٧١) جاء في تفسير الامام الفخر الرازي (سورة الانسان) ج ١٩ ص ١٧٩ انه قد نقل في كتب الشيعة عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال .. لقدّ انقضى قبل آدم (الذي هو أبونا) الف الف آدم او أكثر ، ولم يعترض الامام الرازي* (وهو العالم الطبيعي الطبيب المتضلع المشهور) على هذا النقل ، بل عقب على هذا النقل بما يشعر استساغته له وجواز حدوثه بقوله .. وأقول .. هذا (اي وجود انواع من الانسان قبل ابينا آدم) لا يقدح في حدوث العالم ، بل الامر كيف كان فلا بد من الانتهاء الى انسان اول ، هو اول الناس ، واما ان ذلك الانسان (الاول) هو أبونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع ، وبقول الامام الرازي هذا يستأنس (اذا ما صحت نظرية التطور علميا) بأن الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعاً) ليس ابينا آدم عليه السلام . وانما هو من انواع الانسان التي خلقت قبل أبينا آدم كما ذكر عن الامام الباقر عليه السلام .

وعلى هذا فان نظرية داروين هذه لا يمكن (على ما اعتقـد) وصف القائل بها انه قد كذب القرآن ما دام انه يعتقد ان كل أدوار التطور والارتقاء التي ذكر داروين قد تمت بقدرة الله وارادته .

بل اعتقد أن قول داروين ان العلم الطبيعي قد رجح لديه القول بأن الماء كان مصدر حياة كل حي وأن الحياة الاولى قد نبتت من الارض حول المستنقعات هو حجة علمية جديدة للمؤمنين على الملحدين .

ذلك أن القرآن الكريم قد أعلن منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا بأن الماء هو مصدر كل الحياة ، وأن الله تعالى قد انبت الانسان من الارض .

فقد قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي (٧٢) » وقال تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » (٧٣) وقال تعالى : « وخلق كل دابة من ماء » (٧٤) . والانسان من جملة الدواب

فهذه نصوص صريحة تثبت (دونما اي جدال) أن الله قد جعل الماء مصدر كل كائن حي ، انسانا كان هذا الحي أم حيوانا أم نباتا .

وهكذا فان داروين (اذا ما صح يقينا انـه قال ان الحيـــاة الاولى وجدت في البيئة المائية اول ما وجدت) يكون قد ارسى احدى القواعـد الصحيحة لنظريته .

قال تعالى ـ « والله انبتكم من الارض نباتـا » (٧٥) ، وقال تعـالى ـ «فاستفتهم أهم أشدُ خلقا أم من خلقنا، انا خلقناهم من طين لازب» ـ(٧٦) وقال جل وعلا « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأمسنون » (٧٧)

ثم عقّب الشاب الذكي على هذه الآيات الكريمة بقوله :

وهذه أيضا نصوص صريحة تثبت ان الله تعالى قد أنبت الانسان من الارض ، وأن مصدر أصل هذا الانسان كان الطين اللازب ، والطين اللازب هو الرطب اللزج ، والطين لا يكون لزجا الا اذا كان ممزوجا بماء ، كما تثبت أيضا أن الله قد أوجد الانسان من صلصال من حمأ،والحمأ، هو الشيء المنتن الذي لا يكون (غالبا) الا من امتزاج الماء بالطين لمدة طويلة في المستنقعات .

---

(٧٢) الانبياء ٣٠
(٧٣) الفرقان ٥٤
(٧٤) النور ٤٥
(٧٥) نوح ١٧
(٧٦) الصافات ١١
(٧٧) الحجر ٢٦

ثم اردف قائلا :

وهكذا فان داروين « اذا ما صَحّ يقينا انه قال ، ان الحياة الاولى قد وجدت في البيئة المائية وان الانسان كان مصدره الارض التي كانت حول المستنقعات » فانه يكون قد ارسى احدى القواعد الصحيحة لنظريته ، وانه في الامكان القول (على الاقل) بأن القول بنظرية داروين ليس فيه ما يتنافى مع نصوص القرآن الصريحة في خلق الانسان ومصدر تكوينه ، اذا ما اعتقد القائل ان كل شيء قد تم بقدرة الله وارادته . وان جميع ادوار التطور والارتقاء (قبل خلق الانسان الكامل) قد جاءت قبل خلق ابينا آدم ، الذي لا نشك لحظة في أنه الانسان الاول الكامل . وذلك لتصريح القرآن الكريم بذلك تصريحا لا يحتمل اي تأويل آخر .

وبهذا تكون قد فسحنا المجال لمن تركز في ذهنه من الشباب المنتسب الى الاسلام ترجيح القول بنظرية التطور والارتقاء ، ان يقول بها دون أن يؤثر ذلك على عقيدته في الله أو كتابه أو دينه .

وبعد ان انتهى هذا الشاب الذكي فعلا ، من بحثه العجيب هذا ، أو (على الاصح) فلسفته الدقيقة ، قلت له :

يظهر لي انه يصعب عليك التخلي (كليا) عن تصديق نظرية التطور والارتقاء ، فأوغلت (كمسلم يحرص على سلامة دينه) في ميدان التقدير والافتراض والاحتمال .

فقال .. كلا .. انني بعد التحقيق الذي سمعته منك حول هذه النظرية تأكد لدي ان نظرية داروين هي مجرد دعوى ينقصها الدليل العلمي والحسي الذي بدونه لا يمكن رفع هذه النظرية الى مرتبة الحقائق الواقعة التي لا تقبل النقاش أو اعادة النظر .

ولهذا فانا لست ممن يؤمنون بنظرية داروين (على انها حقيقة واقعة) فاقل أحوالها عندي انها محل شك عظيم ، ما دام ان انصارها انفسهم يصرحون دائما ، بأنها انما قامت على الفرض والتقدير والاحتمال ، وأن أرقى أحوال هذه النظرية عندي انها (من حيث جوهرها) جائزة الوقوع .

ثم اردف قائلا :

ولكن قصدي مما اشرت اليه من فروض واحتمالات تجعلنا بمنأى عن انكار هذه النظرية ، اذا ما ثبتت علميا ، هو ان نبرهن للذين يتهمون هذا الدين بالتحجر ومحاربة العلم والتقدم وضيق الذهنية أن هذه النظرية (اذا صَحّت) لا تضيق بها الذهنية الاسلامية ، ولئلا نجعل لهؤلاء الملحدين اي متكأ في هذه النظرية ينطلقون منه بشكوكهم الكفرية بين الشباب الساذج

في حقول الثقافة .

لاننا عندما نقول لهم .. نعم نحن نؤمن بنظرية التطور والارتقاء اذا كانت قد حدثت (فعلا) ، لانه ليس في وقائعها التطورية (من حيث الامكان) ما يتنافى مع قدرة الله تعالى أو يتعارض مع الاسلام ، فهذا الدين دائما هو دين العلم والواقع وليس فيه أيّ شيء من المتناقضات التي يرفضها العقل.

ثم أردف قائلا .. اننا اذا حملنا نظرية التطور والارتقاء على هـــذا المحمل الذي لا يوجد هناك (لا من الناحية العقلية ولا العلمية والدينية) ما يمنعنا من حملها عليه (اذا ما صحّت) فانا نكون قد افسحنا الطريق أمام الشباب المسلم المثقف الذي استساغ عقله القول بهذه النظرية ، ليقول بها دون أن يكون في موضع المكذب للقرآن والناكر لقصة آدم وحواء وابليس والجنة التي جاءت صريحة في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه ..

فقلت له .. حقا انه لخيال شاعر رحب الذي أوحى اليك بفرض مثل هذه الاحتمالات والتأويلات والتسلح في ميدان الجدل بمثل هذه التقديرات التي تقصد بها(ولا شك)الدفاع الصادق عن سمة ذهنية ديننا القويم والاخذ بناصر الشباب المثقف لئلا يقع في براثن الالحاد عن طريق الايمان بنظريـــة التطور والارتقاء على الصورة التي يلقنهم اياها سماسرة الكفر ودعاة الالحاد ومع تقديري واحترامي لبحثك الواسع الدقيق المركز هذا ، فان جوهــر هذا البحث الذي ذكرت لا يخرج بنا عن دائرة الفرض والاحتمال والتأويل .

فقال .. انني معك فيما تقول ، ولكن ماذا علينــا اذا ما افترضنـــا وقدّرنا واوّلنا بما يتفق ونصوص كتابنا العظيم ما دام ان هذا الافتراض والاحتمال والتأويل مقبول شرعا وعقلا، وما دام أن جوهر بحث نظريةالتطور والارتقاء التي اقامت الدنيا واقعدتها ، نفسها لم تخرج (بعد) عن نطاق الفرض والحدس والتقدير ، ثم اردف قائلا :

والآن فأني احب ان اسمع كلمتك الاخيرة فيما استمعت اليه مني الانّ.

فقلت له .. انك بهذا الاحتمال والتأويل والتقدير قد جرّدت (في براعة) نظرية التطور والارتقاء من اهم أجنحة الضلال الرئيسية وجعلتهـــا في منزلة المسموعات من الاخبار والانباء التي تحتمل الصحة والبطلان، والتي لا لوم على ما استساغها عقله فصدّقها ولا تثريب على من لم يقتنع بهـــا فانكرها ، او في مرتبة الاسرائيليات التي لا تصدّق ولا تكذب حتى تثبت صحتها ، والتي من الجائز أن تكون قد حدثت وان لا تكون قد حدثت واذا ما سلّم انصار نظرية التطور والارتقاء ودعاتها بما فصلته لنا سابقا ، وبــه

ازلت التعارض بين قصة تكوين الانسان في القرآن وبين قصته في وقائع نظرية داروين فان عنصر تكذيب القرآن في نظرية التطور والارتقاء يتلاشى ويحل محله عنصر التقارب أو عدم التعارض على الاقل .

فقال .. سلموا او لم يسلموا ، فان نظرية التطور والارتقاء اذا ما اصبحت (في يوم من الايام) حقيقة واقعة فانها لا بد وأن تكون (قطعا) قد تمت ادوار التطور فيها على النحو الذي ذكرنا ، لاننا واثقون ثقة لا يتطرق اليها ادنى شك من انه لا يمكن ان يتنافى حرف واحد في القرآن مع اية حقيقة كونية واحدة .

ثم انه من السفه ان يلغي الانسان قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس التي جاءت صريحة في القرآن ، لمجرد افتراضات واحتمالات ، افترضها وقدّرها دعاة نظرية ، اصحابها انفسهم غير واثقين من انها قد بلغت مرتبة الحقائق البدهية الثابتة .

كما انه ليس من الحصافة في شيء ، ولا من مصلحة الاسلام أن ننفي (باسمه) كل ما ذكره العلماء القائلون بهذه النظرية عن الوقائع التي ذكروا انها قد حدثت لانه من الجائز ان تكون قد حدثت فعلا .

وعلى هذا فانه لا بد (من الوجهة الاسلامية) أن يكون موقفنا من هذه النظرية هو ذلك الموقف المعتدل المعقول (شرعا وعقلا) والذي يتلخص في القول بأن الانسان الكامل الاول (قطعا) هو أبونا آدم ، وأنه اذا كانت هناك انواع من الانسان كانت (كما يزعم داروين) ناقصة التكوين العضوي والعقلي وانها ابتدأت بانسان أول لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك ، فان هذه الانواع تكون (قطعا) قد خلقها الله ورقّاها (طيلة تلك الادوار التي فصّلها داروين في نظريته) قبل ان يُخلق ابانا آدم ، لاسيما وأن بعض الاسلاميين (كما قلنا) قد نقل عنهم بأن هناك اجيالا من بني الانسان قد خلقها الله وافناها قبل ابينا آدم .

يضاف الى هذا (وهو الاهم) أن القول باحتمال وجود أنواع من الانسان قبل ابينا آدم ليس فيه ما يتنافى مع العقل او يتصادم مع أي نص في القرآن .

فقلت له .. ولكن داروين لم يذكر في كتبه أن الانسان الناقص التكوين كان قبل أبينا آدم ، ولم يذكر أن الانسان الكامل الاول هو أبونا آدم ، حتى نحمل نظريته على المحمل الذي ذكرت .

داروين والانسان الاول

فقال .. حقا ان داروين لم يذكر هذا لان وسائل علمه التي بنى عليها

نظرية التطور والارتقاء ليس فى مقدورها ولا من اختصاصها أن تحقق له ما اذا كان أبونا آدم هو الانسان الكامل الأول أم لا .

لانه (كعالم طبيعى) انما يبحث فقط فى نظريته عن أصل الانواع الحية وتطورها وتسلسلها ، وما كان يهمه أثناء بحوثه هذه (لا من قريب ولا من بعيد) تحقيق هذا او عدم تحقيقه .

ثم قال .. واذا كان داروين لم يذكر ذلك ، فانه أيضا لم يصرح بأن الانسان الذى انتهت به التطورات من حيوان الى انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، هو أبونا آدم بالذات .

مناقشة الجناح الالحادى :

وعلى هذا فانه ليس هناك ما يمنع من حمل الامر على المحمل الذي ذكرنا ، لا سيما وانه ليس في استطاعة الجناح الالحادي من انصار نظرية التطور والارتقاء أن يعارضوا (باسم هذه النظرية علميا) في امكان حدوث هذا الامر الذي ذكرنا .

واذا ما قال لنا هذا الجناح الالحادي انكم لا تستطيعون أن تثبتوا (علميا) أن الانسان الكامل الاول هو أبونا آدم ، وأن الانسان الغير كامل الذي تحدثت عنه نظرية التطور والارتقاء قد جاء قبل أبينا آدم ، فان ردنا عليهم سيكون بنفس المنطق الذي خاطبونا به ، وهو أنهم (هم أيضا) لا يستطيعون أن يؤكدوا (علميا) بطلان قولنا هذا ، لان نظريتهم التي هي مجال الاخذ والرد لم يستطيعوا (حتى هذه اللحظة) ان يؤكدوا ثبوتها علميا.

وعلى هذا وما دام أن الامر لا يزال (في كل مجالاته) قيد الفرض والتقدير والاحتمال ، فانا سنبقي مع نصوص كتابنا الصريحة فيما يتعلق بقصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء والجنة وابليس .

موقفنا من النظرية

أما حكاية التطور والارتقاء (كما يحكيها داروين) فانه يجب أن نقف منها موقف التحفظ من الوجهة الدينية ، بحيث لا نتسرع في اصدار اي حكم عليها (باسم الدين) لا بنفي ولا اثبات ، لانه ليس من طبيعة رسالة الاسلام ان يفصل في مثل هذه النظريات الكونية التي لم يأت للتحدث بالتفصيل عنها.

واذا ما صحت هذه النظرية علميا ووصلت الى درجة الحقائق التي في مرتبة البديهيات وهذا ما استبعده ـ فانا نكون (بالتزام الراي الذي قلنا انه يجب علينا اتباعه حيال هذه النظرية من ناحية الاسلام) قد سلكنا الطريق

القويم ونأينا بديننا عن مواطن التشكيك والاتهام .

رأي آخر للتوفيق بين القرآن والنظرية

وهنا طلب شاب آخر الكلمة فقال :

ولماذا لا نقول (بدلا من هذا كله) انه اذا كانت نظرية داروين صحيحة فانه من المحتمل جدا ، أن تكون جميع أنواع الانسان التي ذكر داروين انها كانت ناقصة التكوين قد انقرضت انقراضا كليا ، وأن الله تعالى قد خلق الانسان الكامل خلقا جديدا مستقلا من الطين ابتدأ بأبينا آدم ، وبما أن هذا محتمل أن يكون الله تعالى قد فعله فاني أرجح (اذا ما صحت نظرية داروين) أن يكون الامر قد حدث على هذا النحو .

وعلى هذا القول يمكن ازالة التعارض بين قصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء في القرآن وبين نظرية التطور والارتقاء (على فرض انها صحيحة) لا سيما وأن داروين لم يجزم في شيء من كتبه بأن نوع الانسان الناقص لم ينقرض انقراضا كليا بدليل انه لم يستطع العثور في بحوثه الجيولوجية وحفرياته على الانسان الناقص الاخير الذي تطور عنه وتولد منه الانسان الكامل الاول (كما يزعم في نظريته الفرضية) .

فقال الشاب الذكي ..

ان هذا (أيضا) جائز أن يكون قد حدث لان الله قادر على كل شيء ، وعلى العموم ، وبما أن عمدة نظرية التطور والارتقاء (داروين) قد اعترف بأن مصدر الانسان (كل الانسان الطين والماء. واعترف بأن أصل الحياة قد نفخ بقدرة الخالق تعالى ، كما اثبتنا ذلك عنه) فاني لا ارى في القول بنظرية داروين (فيما يتعلق بقصة الانسان من جميع نواحيها) ما يتعارض صراحة مع شيء من نصوص القرآن ، سواء رجحنا القول بأن الانسان الناقص في التكوين المترقي عن الحيوان ، قد انقرض انقراضا كليا ، أم أن أنواعا بقيت منه تترقى (بقدرة الخالق) حتى انتهت بخلق الانسان الكامل الاول (أبينا آدم) لان كلا من الامرين محتمل وقوعه بقدرة الله سبحانه وتعالى .

فقلت للشاب الذكي .. ولكن هناك من يحتج على بطلان نظرية التطور والارتقاء بأن القرآن لم يتحدث (بالتفصيل) عن هذه الادوار التي يقول داروين انها مرت بالانسان (من حيوان بسيط نبت في المستنقعات حتى انسان كامل) وهذا يعني انه لا يمكن الا تكذيب هذه النظرية تكذيبا قاطعا .

لان هذه الادوار لو كانت قد مرت بالانسان فعلا لفصلها لنا القرآن

عند تحدثه الينا عن قصةَ تكوين الانسان . هكذا يقول البعض .

موقف القرآن من المكتشفات الحديثة

فقال .. ان نظرية داروين نظرية علمية فرضية تجريبية ، اساسها الفرض والتقدير لا القطع والتأكيد ، وكل نظرية هذا شانها ، فهي قابلة للصحة والبطلان ، من الناحية الكونية .

وعدم تحدث القرآن الينا (بالتفصيل) عن هذه الاطوار التي ذكر داروين ، لا ينفي أن تكون هذه الاطوار قد مرَّت بالانسان .

لان عدم تحدث القرآن (بالتفصيل) عن حوادث كونية قيل انها حدثت لا يمكن اعتباره (في نظر الاسلام من الناحية الاصولية) دليلا على أن هذه الحوادث لم تحدث ، ولو سلك المسلمون (ازاء دينهم هذا المسلك) فقالوا .. ان ما لم يتحدث عنه القرآن بالتفصيل ، مما يقوله الباحثون العصريون ، من الطبعيين والاطباء وغيرهم ،مما اكتشفوه من امور كونية في الانسان والحيوان والنبات والجماد ، كالدورة الدموية وكون أصل الانسان عند تكوينه حيوانا منويا وانه يتكوّن من الحديد والطين والملح والسكر والماء والدهن والتراب الى غير ذلك مما لم يكن يعرفه الناس قبلهم ولم يتحدث عنه القرآن .. نعم لو ان المسلمين سلكوا ازاء دينهم هذا المسلك ، وقالوا هذا القول ، لاساءوا الى دينهم ابلغ اساءة ، لانهم بهذا القول ينفرّون الناس من الاسلام ويزهّدونهم فيه ، اذ يكذّبون (باسمه) حقائق واقعة مشهودة لم يكذبها هو ولم يأت ذكرها (صراحة) في أي نص من نصوصه ، فيضعونه بذلك (ظلما) في مرتبة المحارب للعلم والمعرفة والتقدم .

ليس هذا من طبيعة رسالة الاسلام

ذلك ان التحدث (بالتفصيل) عن كل ما يقع من حوادث الخلق والتكوين والتطور ليس من طبيعة رسالة القرآن ، فالقرآن انما جاء (في الدرجة الاولى) لهداية الخلق ليعرفوا ربهم فيعبدوه ، ثم لاصلاح دنياهم والاخذ بيدهم ليعملوا بما يضمن لهم سعادتهم في الدار الآخرة .

ولهذا ، فان القرآن عندما يتحدث عن الامور الكونية انما يتحدث عن الامور التي في مرتبة البداهة كنظام الشمس والقمر والحيوان والانسان والنبات وغير ذلك من حوادث الخلق والتكوين ووضع سننها الثابتة المشهودة المحيرة للعقول ، وذلك ليثير انتباه العقلاء ليتفكروا في هذا كله فيصلوا (عن طريق هذا التفكير ختما) الى الاعتراف بوجود خالق مدبّر لهذا الكون فيعبدوه على بصيرة بعد أن يعرفوه عن علم وتفكر .

ومن هنا يتضح أنه ليس من مهمة القرآن ولا من طبيعة رسالته ، أن يتحدث بالتفصيل عن كل جليلة ودقيقة مما حدث أو يحدث من امور الخلق والتكوين وحوادث الابادة والافناء والتطور والانشاء والتنوع والتحول .

ليس ذلك من مصلحة الاسلام

ثم اردف قائلا ..

ولهذا فانه ليس من مصلحة الاسلام أن نزج به في هذا المعترك العلمي التجريبي الذي تصيب فيه نظريات وتخطيء أخرى ، فننفي (باسم هذا الدين) كل خبر من اخبار الخلق والتكوين القابلة للصحة والبطلان لم يأت تفصيله في القرآن ، لا سيما وان كثيرا من هذه الاخبار والمعلومات التي لم يات ذكر لها في القرآن قد أصبحت لدى الجميع في درجة الحقائق البدهية التي لا تقبل الجدل .

وخير حل لمن يرفض مثل نظرية التطور والارتقاء (القابلة للصحة والبطلان) أن لا يكذبها باسم الدين ، وانما اذا أراد تكذيبها أن يفعل ذلك باسمه شخصيا ، فان من حقه أن يفعل ذلك ، ولكن ليس من حقه أن يفعل ذلك باسم الاسلام .. (٧٨)

واذا ما بلغت نظرية داروين (التي هي محل شك عظيم حتى هذه اللحظة) درجة اليقين ، وهذا ما لا أعتقده فانا نكون قد نأينا بديننا عن مواطن الشك والاتهام .

نعم لو كان القرآن قد حدثنا أن وقائع نظرية داروين التطورية لم تحدث ، لانكرناها ولكذبناها باسم الاسلام ، ولكفرنا بها حتى ولو قال بها الناس أجمعون ، لاننا واثقون أن كتاب الله تعالى (الذي لا يأتيه الباطل من

---

(٧٨) قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١٨٣) والذين أنكروا مذهب التطور ، يحق لهم أن ينكروه من عند أنفسهم لانهم لم يطمئنوا الى براهينه ودعاواه ، ولكنهم لا يجوز لهم أن ينكروه استنادا الى القرآن الكريم ، لأنهم لا يملكون أن يفسروا خلق السلالة الآدمية من الطين على نحو واحد يمنعون ما عداه ، وكل ما يجوز لهم أن يوجبوا الايمان بأن الله تعالى سوّى الطين وبثّ فيه روح الحياة ، فصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم عليه السلام ، فاما أن يحتموا كيفية التسوية وكيفية النفخ وكيفية خلق السلالة والزمن الذي خلقت ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل منهم على وجه من وجوه النفي أو وجوه الاثبات ، ويجوز أن يكون مذهب التطور مذهبا ناقصا في تطبيقه على الحياة وعلى الكائنات العضوية ، وخاصة في قول أتباعه بتحول الانواع ، ولكن لا يجوز أن تقحم الآيات القرآنية في انكار النشوء والتطور ، فان انكاره اخطر من انكار القائلين بتكفير الفلكيين لانهم ذهبوا الى استدارة الارض ودورانها حول الشمس في الفضاء .

بين يديه ولا من خلفه) لا يقول الا حقا ولا يخبر بغير الواقع .

وهنا قال شاب آخر (في شيء من الاستنكار) :

كيف تقولون هذا .. ان ما قاله هذا الاخ (يعني الشاب الذكي) انما هو تحايل للانتصار لنظرية داروين التي على ما يظهر يصعب عليه تكذيبها ، ثم أردف قائلا :

ان التعارض بين هذه النظرية الضالة ما يزال قائما ، اذ كيف يمكن التوفيق بين هذه النظرية التي تقول ان الانسان بدأ بدودة صغيرة او ميكروب ضئيل حول المستنقعات وانتهى بانسان كامل بعد أن تطوّر وتحوّل وارتقى من حيوان الى آخر عدة مرات وفي عصور مختلفة ، وبين تصريح القرآن بأن الانسان خلق مباشرة من طين ، فعنصر التكذيب للقرآن (اذن) لا يزال قائما في القول بنظرية داروين ، يضاف الى هذا كله ، ان داروين نفسه كافر ملحد ؟؟.

وهنا التفتّ الى صاحبي الشاب الذكي (كالمنتصر) وقلت له ، هيا أجب ايها الذكي :

فقال (في هدوء واتزان) .. انني كما قلت لكم لست ممن يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، وان هذا الذي قلته من احتمالات وتأويلات (ممكنة شرعا وعقلا) ، لا أقصد به الدفاع عن نظرية التطور والارتقاء ، وكيف أدافع عن نظرية ، انا مؤمن في قرارة نفسي بأنها لا تزال فرضا من الفروض ، وانها (حتى عند قطبها داروين نفسه) لم تبلغ درجة الحقائق الثابتة .؟؟

ولكن الذي اقصده من كل ما قلته هو الدفاع الى أبعد الحدود عن سمة ذهنية الاسلام وانه لا يتعارض مع الحقائق قطعا ، اذا ما اتضحت .

اما ما أشار اليه الاخ المعترض من ان عنصر التكذيب للقرآن لا يزال قائما في القول بنظرية داروين لتصريح القرآن ان الانسان خلق من طين مباشرة ، فالجواب عليه هو :

ان كل ما اشار اليه القرآن صراحة (في ناحية تكوين الانسان) هو أن الله تعالى قد خلق الانسان من طين ، أي ان مصدر تكوين الانسان هو الطين ، وهذا ما لم ينفه داروين في أي كتاب من كتبه ، وما لم ينفه الانسان لا يمكن ادانته بانه قد كذبه .

هل مرت اطوار بالانسان قبل اكمال خلقه ؟

أما التصريح في القرآن بأن الله تعالى قد خلق الانسان من طين فانه

لا ينفي أن تكون هناك أطوار قد مرت بهذا الانسان ، قبل أن يكون انسانا كاملا ، بل لقد أشار القرآن الكريم الى هذا بقوله : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٧٩) و(هل) هنا بمعنى (قد) .

وهذا يعني صراحة أن الانسان قد مرت به (بعد ايجاد أصله) أطوار قبل أن يسويه الله انسانا كاملا . ثم أردف قائلا ، أما كيف مرت هذه الاطوار فهذا ما لم يتعرض له القرآن بالتفصيل ، وبالاستناد الى هذا النص القرآني الصريح ، فانه لقائل أن يقول انه لا يستبعد أن تكون الازمان التي مرت على الانسان وهو فيها ليس شيئا مذكورا هي الازمان التي مر بها مبتدئا بجرثومة صغيرة نبتت في المستنقعات ثم حيوان صغير نبت في الارض حول المستنقعات ثم ترقى بقدرة الله وارادته حتى وصل الى انسان كامل كما تقول نظرية داروين ، وماذا على دين القائل بهذا من خطر ما دام انه يعتقد أن كل ذلك قد تم بقدرة الله تعالى وتدبيره ؟؟

أليس الانسان يمر بمثل هذه الاطوار عند تكوينه حتى هذه اللحظة ، فان الانسان في الرحم أول ما يتكون يتكون من ميكروب ضعيف (حيوان منوي) لا يكاد يرى الا بأكبر المجاهر ، ثم يتطور الى شكل علقة ، ثم يتطور من شكل علقة الى مضغة على شكل سمكة ، ثم يترقى من شكل سمكة الى شكل عصفور حتى يصل الى درجة انسان ؟

ثم ان القول بأن الانسان الاول جاء نتيجة تسلسل أنواع من الاحياء بعضها من بعض لا يتنافى مع الاعتقاد بوجود الخالق ، بل على العكس في انقول بأن الله قد فعل ذلك ، وكما أشار داروين (اذا ما صحت نظريته) أكبر دليل على حكمة الخالق وعظم قدرته سبحانه وتعالى .

داروين لا ينفي خلق الانسان من الطين

ثم أردف قائلا ..

واما قول الاخ المعترض ان القرآن قد صرح بأن الله قد خلق الانسان من طين ، فالجواب عليه ، أن هذا التصريح لا يعني (بالتأكيد) أن الله قد خلق هذا الانسان من الطين خلقا مستقلا مباشرا ودون ان تمر به أطوار أخرى من الانتقال والتحول ، فهذا ما لم يرد به نص صريح في القرآن قط ، بل (كما قلنا) ورد في القرآن ما يدل على أنها قد مرت بالانسان (قبل أن يكون انسانا كاملا) أزمان لا يعلم مداها الا الله :

---

(٧٩) سورة الانسان : ١

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) .

فالآيات (مثلا) التي تشير الى خلق الانسان من طين هي قوله تعالى :

اني خالق بشرا من طين (٨٠) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) (٨١) (وبدأ خلق الانسان من طين) (٨٢) (أأسجد لمن خلقت طينا) (٨٣) .

وقبل أن ينتهي الشاب الذكي من حديثه قاطعه الاخ المعترض قائلا :

نعم هذه هي الآيات ، الا يلزم من نصوصها القول ان الانسان خلق خلقا مستقلا مباشرا من طين ؟؟

نقاش مهم حول خلق الانسان

فقال الشاب الذكي .. كلا ، ان هذا لا يلزم القول به ، لان مفهوم هذه الآيات الكريمة لا يحتمه ولا يلزم القول به ، وانما الذي تحتمه هذه الآيات هو القول بأن مصدر الانسان هو الطين .

ولو لزم القول بأنه يجب الاعتقاد بأن الانسان خلقه الله من طين خلقا مستقلا مباشرا استنادا الى ظواهر هذه الآيات ، للزم القول (استنادا الى آيات اخرى في مستواها) بأنه يجب الاعتقاد بأن الله قد خلق الانسان من الماء خلقا مستقلا مباشرا ، لأن الله تعالى يقول (وهو الذي خلق من الماء بشرا) (٨٤) (والله خلق كل دابة من ماء) (٨٥) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٨٦) . فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى قد خلق الانسان من ماء ، كما تدل تلك على أن الله تعالى قد خلقه من طين .

ولو كان الامر كما يقول الاخ المعترض ، للزم القول أيضا بأن الله تعالى قد خلق الانسان من علقة مباشرة ومن نطفة كذلك ، لأنه تعالى يقول

---

(٨٠) سورة ص ٧١ .
(٨١) المؤمنون : ١٢
(٨٢) السجدة : ٧
(٨٣) الاسراء : ٦١
(٨٤) الفرقان : ٥٤
(٨٥) النور : ٤٥
(٨٦) الانبياء : ٣٠

(خَلَقَ الانسان من علق) (٨٧) (انا خلقنا الانسان من نطفة) (٨٨) (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) (٨٩) فهذه الآيات أيضا تدل على أن الله تعالى قد خلق الانسان من علقة ومن نطفة (تماما) كما تدل تلك الآيات الاخرى على أن الله تعالى قد خلق الانسان من طين .

ثم قال الشاب الذكي .. فهل اذا قرات هذه الآيات العشر ــ مرة واحدة ــ .. هل ستجد في واحدة منها او اكثر دليلا خاصا يجعلها (دون غيرها من الآيات) تدل بمفهومها على أن الله تعالى قد خلق الانسان خلقا مستقلا مباشرا من المادة التي جاء ذكرها فيها خاصة ؟؟ انه ليس في مقدور أحد ان يزعم هذا ، لان ظواهر هذه الآيات في مستوى واحد من حيث الدلالة ولفت النظر .

فصح بهذا يقينا ان الدليل القاطع الذي لا يمكن صرفه عن ظاهره في تلك الآيات التي احتج بها الأخ المعترض ، هو أن الله تعالى قد جعل الطين مصدر الانسان ، أما كون تلك الآيات تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى قد خلق الانسان من هذا الطين مباشرة (ودون أن يمر باطوار اخرى) فهذا ما لا يفرض القول به ظاهر تلك الآيات ، والذي يجعلنا نقول هذا القول هو أن آيات أخرى (كما تقدم) يصرح ظاهرها بأن الله تعالى قد خلق الانسان من ماء وخلقه من نطفة (٩٠) وخلقه من تراب ، والتراب

---

(٨٧) العلق : ٢

(٨٨) الانسان : ٢

(٨٩) يس : ٧٧

(٩٠) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) ج ١ ص ٧٣٣ مادة (انسان) .. قال عندما استعرض الآيات التي تشير الى خلق الانسان من طين .. فهذه طائفة من الآيات الواردة في خلق الانسان ولم نر فيها آية لا يمكن صرفها عن ظاهرها الا قوله تعالى (خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) وكنا لا نستطيع الا الوقوف مع هذا النص الصريح لولا أننا رأينا في الكتاب الكريم أن الله سلك هذا المسلك التعبيري مع الافراد فقال تعالى : (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا) فهذا الاسلوب في وعظ الافراد يسمح لنا بصرف الآية المتقدمة ، فان قوله جل وعلا ، والمخاطب فرد (أكفرت بالذي خلقك من تراب) هو في مقام (خلق الانسان من طين) في الآية المتقدمة وقوله (ثم من نطفة) في مقام (ثم جعل نسله من ماء مهين) فان قيل انه تعالى أراد بالانسان في الآية المتقدمة آدم بدليل قوله (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) قلنا فما الذي أراده بقوله (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة) ؟ فان قيل أراد بذلك تذكيره بان أصله من تراب باعتبار انه من ولد آدم الذي خلق من تراب ، قلنا (اذن يسوغ للمتأول أن يقول في قوله تعالى : (خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) انه تعالى اراد بذلك تذكيره بمبدئه الاقدم وهو الطين ، فانه لا شيء على الارض الا والطين أصله وقوام تركيبه.

غير الطين ، (اذ) أن الطين لا يكون طينا الا عندما يختلط الماء بالتراب .

ثم اردف الشاب الذكي قائلا :

ثم ان الله تعالى ايضا قد اشار الى انه جل وعلا قد خلق الانسان من صلصال كالفخار ، فلو لزم ما قاله الأخ المعترض ، للزم أن يكون الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال خلقا مستقلا ومباشرا .

فقال الأخ المعترض .. ان خلق الانسان من صلصال كالفخار هو نهاية مراحل خلق آدم ، وذلك ان خلقه بدأ بالتراب ثم الطين ثم بتحويل الطين الى صلصال كما يتحول الآن الى فخار ثم نفخ الروح فيه ..

فقال الشاب الذكي .. ان القرآن الكريم لم يرد فيه ما يؤيد هذا التفصيل ، وكل ما فيه أنه اشار الى خلق الانسان من طين كما أشار تماما الى خلقه من صلصال والى خلقه من ماء والى خلقه من تراب ، وليس لأي انسان أن يفصل أو يرتب ما لم يفصله أو يرتبه القرآن الا نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يرد في شيء من الاحاديث الصحيحة المعتبرة ما يؤيد الترتيب الذي ذكره الأخ المعترض ، فصح بهذا يقينا أن كل ما تعنيه هذه الآيات مجتمعة ليس تفصيل كيف خلق الله الانسان ، وانما تعني (في الدرجة الاولى) لفت نظر الانسان الى المادة التي خلقه الله منها ليتعظ ويعتبر ، وكل ما يجب علينا أن نؤمن به ولا نحيد عنه هو أن نؤمن ايمانا جازما بأن الله تعالى قد خلق الانسان من هذه المواد جميعا الماء ، والتراب ، والطين ، والصلصال ، والحمأ المسنون ، اما كيف خلق الله الانسان (وبالتفصيل) من هذه الاشياء فلسنا ملزمين بل وليس في مقدورنا أن نقول به ، ويكفينا ان نؤمن بأن الله قد خلق الانسان من هذه الاشياء كما اراد هو وكما جاء ذلك صريحا في القرآن وبالطريقة التي لا يعلمها أحد ، سوى الله تعالى .. ثم اردف قائلا :

وعطفا على قول الاخ المعترض ان الصلصال (وهو ما له صلصلة من شدة اليبوسة) قد كان آخر مرحلة خلق آدم من التراب ، فان لقائل (ما دام الأمر امر افتراض واستنتاج وتقدير) أن يقول : وما يدريك أن يكون الصلصال قد كان أول مراحل التراب ، استنادا الى تحقيقات العلماء المختصين بعلم طبقات الارض القائلة ان الارض كانت كتلة ملتهبة من النار سائلة قبل أن يتكوّن فيها تراب او ماء ، ثم جمدت ، وصار كثير من أجزائها صلصالا كالفخار لشدة اليبوسة التي أعقبت تجمدها بعد ذلك الالتهاب الهائل الذي كانت فيه سائلة ، وان هذا الصلصال الذي جاء بعد الاحتراق هو المادة الاولى التي تكوّن منها التراب باعتبار أن هذا الصلصال هو أول مادة تكونت للأرض بعد ان اذهب الله عنها تلك الحرارة

الهائلة فبردت ؟؟

وعلى هذا فانه لا يستبعد أن نقول ان الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال باعتباره المادة الاولى التي أعقبت برودة الارض ، ثم من تراب باعتبار ان الله تعالى قد فتت الصلصال ثم حوّله الى تراب ، ثم من طين باعتبار ان الله تعالى قد مزج الماء بالتراب حتى صار طينا ثم تركه حتى تغير وانتن كما قال تعالى : « من حمأ مسنون » ، ثم خلق منه الانسان بالطريقة التي لا يعلم حقيقتها غيره والتي لا يستبعد (عقلا ولا شرعا) أن تكون قد بدأها الله بتكوين الانسان من ميكروب صغير اخرجه من الطين حول المستنقعات في البيئة المائية ، فالله على كل شيء قدير .. ثم أردف الشاب الذكي قائلا :

ولا شك ان الانسان الذي يرجّح تكوين ابينا آدم على هذا الوجه لا يكون (ابدا) قد صادم القرآن في شيء من نصوصه ، بل يكون (على ما اعتقد) قد حقق بقوله هذا الايمان بكل ما صرح به القرآن حول خلق الانسان ، اذ ، انه بقوله هذا يكون قد آمن ايمانا جازما بأن الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال ومن تراب ومن ماء ومن طين ، وهذا ما صرح به القرآن في مواضع مختلفة ، ثم قال :

وانا وان كنت لا أجزم ولا يستطيع احد ان يجزم أن الله قد خلق الانسان على هذه الطريقة ، الا انني احببت أن أبرهن للاخ المعترض انه لا يجوز تحميل نصوص القرآن ما لا تحتمل ، وانه ليس من الانصاف ولا من مصلحة الاسلام الحجر على الناس والتضييق عليهم لمنعهم (باسم القرآن) من التسليم بما تستسيغه عقولهم مما رجح وقوعه (افتراضا) علم من العلوم الحديثة مما لا يتصادم صراحة مع نصوص القرآن الكريم أو الحديث الثابت الصحيح .

كما أحببت أن ألفت نظر الاخ المعترض الى أن الامر ما دام في حدود الافتراض والتقدير والاستنتاج فان احدا ليس من حقه أن يزعم أن افتراضه وتقديره واستنتاجه احق وأولى بالاتباع من افتراض وتقدير واستنتاج غيره اللهم الا اذا كان النص الصريح في جانبه أو خالفه غيره العقل والمنطق ، في استنتاجه او افتراضه وتقديره بأن زعم المستحيل .

فقال شاب آخر : ولكن ، اليس مما يحط من قيمة الانسان ان يقال ان أصله حيوان ، الا يستتبع ذلك سقوط قدره ومنزلته كأعلى كائن حي فضّله الله على جميع الكائنات الحية ؟

فقال له الشاب الذكي : كلا ، فانه اذا ما صح انه (حسب نظرية داروين) قد ترقى الانسان من أصل حيوان (بقدرة الله وارادته) فان ذلك

لا يحط من قيمته ، وهل فيما يريده الله ويفعله ما يمكن اعتباره ماسا بكرامة الانسان ومنزلتـه ، فان كان أصل الانسان حيوانا ترقى حتى وصل الى درجة انسان فذلك انما تم بارادة الله وتدبيره وليس لأحد كائنا من كان أن يعترض على الله فيما يفعل سبحانه وتعالى (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) (٩١) .

فالمهم في الموضوع هو ان مذهب داروين القائل بهذه النظرية لم يثبت حتى الان ، أما اذا قام الدليل المحسوس على ما يزعمه داروين وهو أن الانسان قد تطور وترقى من الحيوان حتى صار انسانا ، فانه لا يبقى مجالا للقول بأن هذا يحط من قيمة الانسان ويسقط من قدره ، لأن الذي يقول هذا ، انما يعترض على الله الذي هو الفاعل الوحيد والمقدر المريد لكل ما حدث من المراحل التي تفرع بها الانسان من الحيوان ، وعلى هذا فانه (على ما أعتقد) لم يعد اي مجال للاعتراض في هذه الناحية .

واذا اردنا ان نتوسع اكثر في ازالة الاشكال حيال هذا الامر ، فبوسعنا أن نقول ان الحيوان أشرف من التراب وقد كان الاخير بالاجماع مصدر الانسان الاول ، ولم نر احدا قال ان ذلك يحط من قيمته أو يسقط من منزلتـه .

يضاف الى هذا ان داروين ليس أول من قال أن الانسان يرجع أصله الى الحيوان ، فقد قال بذلك قبله بعض علماء المسلمين (على ما اعتقد) ، ثم التفت الي قائلا :

اليس كذلك ؟؟

ائمة الاسلام ونظرية التطور والارتقاء

فقلت له .. ان بعضا من علماء الاسلام قد رُوِي عنه انه يقول بذلك .

فمثلا .. الامام الحسن البصري (وهو من كبار أئمة التابعين ، وقد ولد قبل أن يولد داروين باكثر من الف سنة) روى عنه الامام الفخر الرازي في تفسيره الشهير ج ٣٠ ص ٢٣٥ عند تفسير قوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » (٩٢) انه قال :

خلق الله تعالى كل الاشياء — ما يُرى وما لا يُرى — من دواب البحر

---

(٩١) الانبياء : ٢٣

(٩٢) الانسان : ١

في الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات والارض ، وآخر ما خلق الله آدم عليــه الســلام .

هل قال ابن خلدون ان اصل الانسان قرد ؟

كما ان العلامة (ابن خلدون) العالــم الاجتماعــي والمؤرخ المشهور ، المولود (قبل داروين) باكثر من سبعة قرون قد قال بنظرية التطور والارتقاء فصرح في كتابه الشهير (المقدمة) بأن اصل الانسان حيوان ترقى في مدارج التكوين من الادنى الى الاعلى حتى صار الى ما هو عليه من كمال ، فقــد جاء في مقدمة ابن خلدون (ص ٩٦) قوله :

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيأة بديعة من التدريج ، آخر افق المعادن متصل بأول أفق النبات ، مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد (بالاستعداد الغريب) لان يصير أول أفق الذي بعده ، ثم يقول ابن خلدون :

واتسـع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين الــى الانســان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة (٩٣) الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل ، وكــان ذلك أول أفق من الانســان بعده وهذه غاية شهودنا . انتهى كلام ابن خلدون (٩٤) .

---

(٩٣) هكذا ضبطه ساطع الحصري في كتابه (عن مقدمة ابن خلدون) عالم القردة ، بدلا من عالم (القدرة) .. قال الدكتور عمر فروخ في كتابه (عبقرية العرب في العلم والفلسـفة) ص ٦٧ .. معلقا على هذا الضبط ومؤيدا له ، قال .. في النسـخ المطبوعة من المقدمة فــي الشرق جاءت كلمة (عالم القدرة) وهو بلا ريب خطأ مطبعي لا يتفق مع المعنى ولا مع بحث ابن خلدون ، على أن طبعة باريس تذكر بوضوح (عالم القردة) بتقديم الراء على الدال ، واول من نبه الى ذلك ساطع الحصري في كتابه عن مقدمة ابن خلدون أ هـ .

(٩٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الكندي الاشبيلي ، الفيلسوف المؤرخ والحجة والمرجع في علم الاجتماع والفلسـفة التاريخية ، يرجع نسـبه الى وائــل بن حجــر الحضرمي الكندي ، كان مقر عائلته اشبيلية باسـبانية ، أما هو فقد نشأ بتونـس ، كان بحرا من بحور العلم والمعرفة ، وكان ذا فطنة خارقة ، رحل الى غرناطة باسبانية (أيام حكــم المسلمين لها) كما رحل الى فاس وتلمســان ، وقد أعجب به حكام تلك الاقطــار واكرموه ، واسند البعض منهم اليه وظائف مهمة الا أنه (كمالم مرموق شهير) تعرض لوشايات ودسـائس، عاد على اثرها الى مسـقط راسـه تونس ، ثم رحل الى مصر ، فاحتفى به سلطانهـا الظاهر برقوق واكرمه ثم ولاه قضاء المالكية ، وكان ابن خلدون لا يتزي بزي القضـاة ، بــل ظــل محتفظا بزي بلاده تونس ، كــان ابن خلدون جميــل الصورة صادق اللهجة على غاية من =

قول ابن مسكوية

كذلك (ابن مسكوية الفيلسوف المشهور) ذكر الاستاذ نديم الجسر في كتابه (قصة الايمان) أنه قد قال بنظرية التطور والارتقاء قبل (داروين) بعدة قرون ، فقد نقل الاستاذ الجسر عنه قوله :

ان الموجودات مراتب وكلها سلسلة متصلة ، وكل نوع من الموجودات يبدأ بالبساطة ثم لا يزال يترقى ويتعقد حتى يبلغ افق النوع الذي يليه ، فالنبات في أفق الجماد ، ثم يترقى حتى يبلغ أعلى درجة ، فاذا زاد عليها قبل صورة الحيوان ، وكذلك الحيوان يبدأ بسيطا ثم يترقى حتى يصل الى مرتبة قريبة من الانسان .

مذهب اخوان الصفا

كذلك جاء في رسائل (اخوان الصفا) وهم قوم ينتسبون الى الاسلام (اتخذوا الفلسفة مذهبا لهم) وكانوا قد ظهروا في أول العهد العباسي .. جاء في رسائلهم هذه (ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٥٥) ما يشعر القارىء بأن نظرية التطور والارتقاء معروفة بين المفكرين في عهود الحكم الاسلامي قبل أن يخلق (داروين ولامارك) بمئات السنين ، فقد جاء في رسائل اخوان الصفا هذه قولهم :

« فأدون الحيوان وانقصه هو الذي ليس له الا حاسة واحدة ... وهكذا أكثر الديدان التي تكون في الطين وفي قعر البحار وفي أعماق الانهار ، فهذا النوع حيوان نباتي ، اذ يشارك الحيوان في الحركة ويشارك النبات في الحس فقط .. وأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان ، والحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على الحيوانات التامة الخلقة

= الفصاحة ورجاحة العقل ، وكان عالي الهمة يأبى الضيم وكان ذا مقام رفيع في نفوس الملوك والحكام ، لما رحل الى الاندلس وعلم بمقدمه سلطانها خرج هذا السلطان بنفسه واركب معه خاصته لتلقي ابن خلدون اكراما له ، يعتبر ابن خلدون بين علماء عصره ، أول من وضع أصول علم الاجتماع التي تضمنتها مقدمته الشهيرة التي ترجمت الى عدة لغات ومنها الفرنسية، وكانت هذه المقدمة العظيمة ، هي المجلد الاول من كتابه الشهير (العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) ويقع هذا الكتاب في سبعة مجلدات ضخمة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الوحيد من بين أمهات التاريخ الذي عني بتاريخ البربر عناية خاصة مما جعله المرجع الوحيد لمن أراد أن يعرف تاريخ شعوب الشمال الافريقي من غير العرب ، كالبربر الذين كانوا (قبل الفتح الاسلامي) هم السكان الاصليين لشمال افريقيا .. توفي ابن خلدون رحمه الله (فجأة) في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ وقد كان ميلاده بتونس سنة ٧٣٢ هـ .. أنظر الاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٠٦

(التي) تتكون في زمان طويل لاسباب يطول شرحها ، وان حيوان الماء ، وجوده قبل حيوان البر بزمان ، والحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان (٩٥) .

ثم يقول اخوان الصفا في رسائلهم (ج ٢ ص ١٥٧) :

« ومن الحيوان ما هو أدنى رتبة مما يلي النبات ، وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس فحسب .. وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه (٩٦) بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة أخرى ، وهو سريع التكون وسريع الهلاك والبلى . ا هـ .

اقوال الامام البلخي

كذلك جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للعلامة البلخي (٩٧) المولود قبل

---

(٩٥) هذا القول موافق تماما لما رواه الفخر الرازي عن الحسن من أن آدم هو آخر ما خلق الله .

(٩٦) الذي يقرأ هذه العبارة الواردة في رسائل اخوان الصفا بامعان ، يكاد يجزم بأن لامارك (فيلسوف التطور والارتقاء الاول في أروبا) وزعيم الجناح الالحادي في هذه النظرية) عندما وصف البوليب الذي زعم أنه أول سلم الكائنات الحية وأصلها الذي تطورت عنه وترقت (بما في ذلك الانسان) انما كان ناقلا هذا الوصف عن رسائل اخوان الصفا ، فلامارك .. يصف البوليب هذا بقوله .. بأنه كائن حي ليس له أعضاء خاصة للحس أو التنفس او الدوران او التكاثر ، ولا شيء فيه الا قناة بسيطة تستطيع أن تمتص غذاءها من خلال أي جزء من أجزاء أجسامها ، واخوان الصفا الذين سبقوا (لامارك) بأكثر من الف سنة يصفون هذا الحيوان بقولهم ان اجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه فأيهما اخذ عن الاخر ؟؟

(٩٧) هو احمد بن سهل ، أو زيد البلخي ، قال في الاعلام .. أحد الكبار الافذاذ من علماء الاسلام ، جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون .. ولد في احدى قرى بلخ من أرض فارس ، وساح في الارض سياحة طويلة وعند عودته من سياحته ، علت شهرته وعرضت عليه الوزارة في حكومة عصره في تخوم بلخ فأباها ، ولكنه رضي الكتابة في الدولة فكان يعيش منها الى أن مات في بلخ ، وقد سبق البلخي هذا جميع علماء الاسلام (كافة) الى رسم خارطة الارض التي رسمها في كتابه (صورة الاقاليم الارضية) الذي لا يزال مخطوطا ، وقد الف عدة مؤلفات في مختلف الفنون ، وقد ذكر منها ابن النديم (في الفهرست) « اقسام العلوم » و « شرائع الاديان » و « كتاب السياسة الكبير » و « كتاب السياسة الصغير » و « الاسماء والكنى والالقاب » و « اقسام علوم الفلسفة » و « ادب السلطان والرعية » و « كتاب القرود » و « اخلاق الامم » و « نظم القرآن » وكان يتشيع على مذهب الزيدية الذي كان منتشرا (في عصره) بخراسان ، وهو أقرب المذاهب الشيعية الى مذهب اهل السنة ، واختلف في نسبة كتاب (البدء والتاريخ) اليه ، قال الزركلي في الاعلام ... واهل التحقيق على أنه لمطهر بن طاهر المقدسي .. وقد قال الجنرال كلمان المستشرق =

(داروين) بمئات السنين ما يفيد بأن القول بالتطور والارتقاء وتحول الحيوان الى انسان كان معروفا كذلك بين علماء المسلمين منذ أول عهدهم ، فقد جاء في كتاب (البدء والتاريخ هذا ج ٨ ص ٧٥) أن العسمد يرى أن الحيوان قد تولد من الرطوبة وانه كان يغشاه قشر مثل قشور السمك ولما اتت عليه السنون صارت الى الجفاف واليبس فانقشر عنها ذلك القشر وصارت حياتها زمانا يسيرا ، ثم يقول العلامة البلخي في كتابه المذكور :

فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات ، وآدم حيوان ، فعند بعضهم .. ان آدم تولد من رطوبة الارض كما يتولد سائر الهوام وكان جلده كجلد السمك ، وعند آخرين انه (أي آدم) ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب على مرور الازمان وصار انسانا (٩٨) ا هـ .

فقال الاخ المعترض .. ان ما ذكرته الآن لنا مما نسب الى هؤلاء العلماء المسلمين من القول بالتطور والتحول والارتقاء، انما هو قول ناقل او متفلسف أو مجتهد ، وكل هذا لا حجة فيه ، حيث (كما هو معلوم في أصول الاسلام) لا حجة الا في قول الله تعالى أو سنة رسوله (ص) .

المؤلف لا يؤيد نظرية داروين

فقلت له .. اني لم أقصد بذكر آراء المسلمين هؤلاء (حول خلق أبينا آدم) التأييد لنظرية التطور والارتقاء ، أو ان ما جاء في أقوال العلماء هو القول الفصل في هذا الباب .

فأقوال هؤلاء العلماء هي تماما (كأقوال داروين) ينقصها الدليل العلمي والبرهان الحسي من الوجهة الطبيعية ، كما ينقصها الدليل الشرعي (اذا ما أراد أحد أن يخلع عليها الصبغة الدينية) ولكنني ذكرت هذه الاقوال (فقط) لألفت النظر الى ان هؤلاء العلماء والفلاسفة المسلمين

= الفرنساوي ومدرس اللغات الشرقية بباريز ، والذي نشر كتاب (البدء والتاريخ) المذكور باللغة العربية وترجمه الى اللغة الفرنسية . ان الكتاب هذا منسوب الى البلخي ، وهو من تأليف (مطهر بن طاهر المقدسي) ولكن صاحب كتاب (كشف الظنون) و (خريدة العجائب) يؤكد ان كتاب (البدء والتاريخ) للبلخي ، وانا ارجح ان هذا الكتاب من تأليف البلخي ، لا المقدسي بدليل ان المؤرخين الذين ترجموا للبلخي يؤكدون أنه على المذهب الزيدي ، والذي يمعن النظر في كتاب البدء والتاريخ تتضح له الميول الزيدية في فصول الكتاب ، وهذا مما يرجح ان الكتاب من تأليف البلخي . ولد البلخي سنة ٢٣٥ هـ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ .

(٩٨) وهذه هي نظرية (داروين) التي تقول ان الحياة نبتت بقدرة الخالق حول المستنقعات ، وان الانسان بدأ تكوينه بحيوان صغير ظهر على أرض هذه المستنقعات ، ثم تحول وتطور على مرور الازمان حتى صار انسانا كاملا .

قد سبقوا (داروين ولامارك) بمئات السنين الى البحث في موضوع التطور والارتقاء ، والموضوع (في نظري) ليس اكثر من حكاية اقوال ونقل بحوث قابلة للأخذ والرد ، لانه ليس في شيء منها (سواء الذي نقل عن الامام الحسن (٩٩) أو ابن خلدون او ابن مسكويه او البلخي او اخوان الصفا) ما يمكن اعتباره حجة قاطعة لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الواقعية المشهودة .

غير ان الذي يمكن استخلاصه من اقوال هؤلاء العلماء المسلمين (وخاصة الامام الحسن والعلامة ابن خلدون) هو انه ليس في القول بأن الله قد رقى الانسان وطوّره من حيوان بسيط الى انسان كامل اي تكذيب للقرآن أو مساس بعقيدة المسلم الذي يترجح لديه القول بهذا الرأي ، اذ لو كان الامر كذلك لما سكت العلماء المسلمون على قول ابن خلدون الذي صرح به (في مقدمته) كما نقلناه عنه فيما مضى والذي أعلن فيه القول بنظرية التطور والإرتقاء ، بل وذهب فيه الى القول بأن الانسان قد تحول (اثناء مراحله التطورية) من عالم القردة (١٠٠) الى عالم الانسان (كما

---

(٩٩) **ترجمة الحسن البصري**

هو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري ، سيد من سادات التابعين وامام من ائمتهم ، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، كان مولى لزيد بن ثابت الانصاري ، وكانت امه مولاة ام سلمة زوج النبي (ص) وقد رضع من لبن ام سلمة (رض) ، لانه كان رضيعا عندما كانت امه في خدمة ام المؤمنين ام سلمة (رض) فكان اذا غابت امه في حاجة سيدتها يبكي فترضعه ام المؤمنين (رض) ليسكت .. قال ابو عمرو بن العلا .. ما رأيت افصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن كلامه المأثور .. ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه الا الموت .. لما تولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق مع خراسان ، ايام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي (وذلك سنة ثلاث ومائة) ثم استشارهم قائلا .. فما ترون ؟.. فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه (تقية) ، فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟ ، فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، ان الله يمنعك من يزيد ، وان يزيدا لا يمنعك من الله ، يا ابن هبيرة انما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباد الله بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فأجازهم ابن هبيرة واضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين .. سفسفنا له فسفسف لنا (يعني ابن هبيرة) ، كان مولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٦ هـ .

(١٠٠) اذا صح ان ابن خلدون قد قال ان الانسان قد تحدّر من عالم القردة فان قوله هذا لا يمكن الاخذ به ابدا لانه قول يفتقر الى الدليل ، وهو (كقول بعض انصار التطور والارتقاء) ليس له من دليل مقنع سوى الحدس والتخمين والافتراض ، والا فباية وسيلة من وسائل العلم الطبيعي او الدليل الديني يستطيع العلامة ابن خلدون أن يثبت أن القرد هو أصل الانسان ؟؟ لا شك أن ابن خلدون (اذا صح انه قال هذا القول) قد تركز في ذهنه (كعالم اجتماعي) عند بحثه تطور الكائنات الحية ان القرد هو ارقى الحيوانات ذكاء وفهما وادراكا، =

ضبط ذلك عنه ساطع الحصري من النسخة الإصلية لمقدمته الموجودة في باريس) لا سيما وان ابن خلدون عالم اسلامي كبير وله ولكتبه شهرة عالمية، وخاصة مقدمته التي ترجمت الى عدة لغات اجنبية .

ولو كان في القول (ايضا) بأن أصل الانسان يرجع الى الحيوان ايّ تكذيب للقرآن أو مساس بعقيدة المسلم لما نقل الفخر الرازي (وهو الامام العالم البحاثة الفقيه المفسر الفيلسوف) هذا القول عن كبير ائمة التابعين (الامام الحسن البصري) دون أن يبدي اية مناقشة أو اعتراض .

فالذي نريد الوصول اليه من هذا الاستشهاد كله ، ليس مساندتنا لنظرية التطور والارتقاء التي بها يقول (داروين) فموقفنا من هذه النظرية قد أوضحناه مرارا فيما مضى من مناقشة ، وانما الذي نريد الوصول اليه واعلانه ، هو أن نؤكد للمؤمنين الذين يخشون على عقائد المسلمين (١٠١) من الخوض في نظرية التطور والارتقاء ، هو انه لا خطر على دين من استساغ عقله القول بهذه النظرية ، لدليل ترجح لديه فسلم به ، ما دام انه يؤمن بأن كل ما ذكره داروين من أدوار التطور والارتقاء قد تم بقدرة الله تعالى .

وسندنا في ذلك هو ، أنه ليس في نصوص القرآن او السنة النبوية الثابتة ما ينفي قواعد هذه النظرية أو يثبتها ، وهذا (في نظرنا) كاف لوجوب عدم الزج بالاسلام عند الاخذ والرد حيال هذه النظرية بحيث لا نصدر (نحن المسلمين) حكما في حقها باسم الاسلام (لا بنفي ولا باثبات) بل نترك الامر (من ناحية الاسلام) على سبيل الجواز ، باعتبار أن ما جاء في وقائع

= وانه لذلك لا بد وان يكون الانسان قد تحدر منه بموجب النظام التطوري الذي جاء في مقدمته. نفس الفرض والاحتمال الذي لجأ اليه بعض انصار التطور والارتقاء اليوم ، عندما ارادوا ربط الانسان بالسلسلة الحيوانية التي يقولون انها (كما في مزاعم لامارك) ابتدأت بحيوان البوليب البسيط وانتهت بالانسان .

(١٠١) جاء في دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي ج ١ ص ٧٢٤ في مادة (انسان) ولسنا نجزم بصحة مذهب (داروين) ولكنا نهدىء من روع الذين يخشون من تحقق هذا المذهب في يوم من الايام على الاسلام وما ورد في امر آدم عليه السلام فنقول لهؤلاء ليهدأ روعكم فان كل ما ورد في خلق آدم عليه السلام يمكن صرفه عن ظاهره على مقتضى أسلوب القرآن نفسه فلن قام الدليل المحسوس في يوم من الايام على صحة مذهب داروين فلا يتزعزع من العقائد الا ما كان جامدا منها ، اما الذين هداهم الله بنور العلم وبث فيهم روح الاسلام بمعناه الحق فلا يخشى على عقائدهم من شيء ، ثم قال .. الخلاصة ان على علماء المسلمين ومرشديهم ان لا ينقطعوا عن مجموع الامة ، بل عليهم أن يشاركوا العصريين في ابحاثهم وان لا يجعلوا نصيبهم من المناقشة مجرد التكذيبات والاستشكالات الخالية من القيمة العلمية فيتغلب عليهم خصومهم فيسقطون ويسقط الدين معهم معاذ الله ا هـ ..

نظرية (داروين) جائز أن يكون قد حدث وأن لا يكون قد حدث (١٠٢) .

كيف نحمي عقائد الشباب من الانحراف

كما اننا نحب ان نبرهن للخائفين على عقائد المسلمين من النظر في مثل هذه النظرية ، أن حماية عقائد المسلمين هؤلاء لا تأتي عن طريق انطواء علماء الاسلام على انفسهم وانعزاليتهم الشديدة التي لا تسمح (بأي حال من الاحوال) بالنظر في مثل هذه النظرية والتعرف على أي شيء من قواعدها أو معرفة غاياتها ومقاصد واضعيها ، وانما تأتي هذه الحماية عن طريق نظر علماء الاسلام في مثل هذه النظرية بتعمق وتفهم وامعان ، ليتمكنوا من حماية الجيل المثقف (الذي لم يعد بالامكان الحيلولة بينه وبين النظر في مثل هذه النظرية) مما يمكن ان يتخذه دعاة الالحاد وسيلة للانحراف بالشباب المثقف الذي تكون قراءته (غالبا) لمثل هذه النظريات قراءة سطحية لا يستطيعون معها تجنب ما فيها من مزالق مقصودة يضعها في طريقهم سماسرة الالحاد الذين يفسرون هذه النظرية وفق اهوائهم كما يفعل الشيوعيين عندما يتحدثون عن نظرية (داروين) .

فقال الاخ المعترض — في شيء من الحدة والاحتجاج — كيف نقول بأن هذا جائز وكيف يستطيع المسلم أن يسلم ان النوع الانساني يرجع أصله الى القرود .. ان نظرية داروين تقول بذلك ، فهل يرضى مؤمن أن يسلم بأن النوع الانساني (ومنه الانبياء والمرسلون) يتحدر من القردة ؟؟ أن هذا قول غاية في الفظاعة ولا يمكن التسليم به أبدا .

فقلت لـه :

هدىء من روعك أيها الاستاذ .. ان اهم نقطة في الموضوع (من الناحية الدينية) ليست في كيف نسلم أو لا نسلّم ، وكيف نرضى او لا نرضى ، وانما المهم هو كيف نتأكد بأن الانسان حقا ، قد تحدر أصله من القردة .

---

(١٠٢) قال الامام البلخي في كتابه (البدء والتاريخ ، الجزء الثاني الفصل السابع) عند تعليقه على ما يزعمه الاقدمون من امثال القول بحركة الارض والكواكب الاخرى ، وكون الانسان تطور من حيوان ، قال البلخي .. وجملة القول أن كل ما رُوِيَ في هذا الباب عن القدماء وأصحاب النجوم مما لم يكن نقضا للتوحيد وابطالا للشريعة أو جحدا للعيان فموقوف على سبيل الجواز والامكان ا هـ .. اي انه لا ينبغي الجزم بحدوثه أو القطع بعدم حدوثه ، ومن هذا الباب ما يزعمه داروين في نظريته ما دام أن ذلك ليس فيه مناقضة للتوحيد أو ابطال للشريعة او مخالفة للعقل ، وما دام أن القائل بما يقوله داروين يعتقد أن كل ذلك قد تم بقدرة الله وارادته .

فالقول بأن النوع الأنساني يرجع اصله الى القردة لا يزال (في نظرنا ونظر كل منصف) وهما من الاوهام أساسه الحدس والتخمين ، حيث لم يستطع احد (حتى هذه اللحظة) القول بأن تحدر النوع الانساني من القردة هو حقيقة واقعة يقرها العلم .

وحتى قطب نظرية التطور والارتقاء (داروين) مكذوب عليه القول بأن النوع الانساني يرجع اصله الى القردة حيث لم يصرح بشيء من هذا القبيل في كتبه .

فالمسئلة كما قلنا (اذن) لا يفصل فيها الرضى او عدم الرضى ، أو التسليم او عدم التسليم .

فالتسليم والرضى أو عدمهما امور لا قيمة لها (في نظر الدين والعقل والعلم على السواء) عندما يأتي دور وزن الاشياء بميزان الحقائق لنفيها او اثباتها ، فالرضى والتسليم او عدمهما غالبا ما يكون مصدرها العاطفة لا العقل . وما دام ان القول بأن النوع الانساني قد تحدر من القرود ، عندما نضعه في ميزان الحقائق لا يساوي شيئا ، فان الذي يلزمنا أن نقوله (من الوجهة الدينية والعقلية) ليس الاعلان بأننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون أصلنا (نحن بني الانسان) قد تحدر من القردة ، وانما الاعلان بأننا نقف من ذلك القول موقفنا من اية مزاعم ليس لها اي ظل من الحقيقة .

أما اذا قام الدليل المحسوس القاطع (وهذا بعيد جدا) على أن النوع الانساني قد تحدر اصله من القردة فانه لا مجال للانكار او الاستنكار ، لان ذلك اذا ما حدث ، فانما يكون قد حدث بقدرة الله تعالى وارادته وحينئذ فانه ليس لأي انسان ان يقول أنا لا أسلم ولا أرضى بأن يرجع أصلي الى القرود ، لأنه اذا ما قال ذلك انما ينكر الحقائق الواقعة ويعترض على الخالق سبحانه وتعالى .

داروين لم يقل أن اصل الانسان قرد

فقال شاب آخر :

ولكن كيف انتشر بين الناس أن داروين يقول (في مذهبه) ان النوع الانساني قد تحدر من القردة ؟.

فقلت له ليس في شيء من كتب داروين ما يثبت أنه قرر ضمن نظريته أن الانسان يرجع أصله الى القرود .

فقال .. كيف اذن شاع عنه هذا القول ؟؟

فقلت له . . لأنه جاءت عبارات في كتابه (اصل الانواع) حملها أنصاره على هذا القول .

اما كل ما قاله داروين فيما يتعلق بصلة الانسان بالقرد فهو قوله في كتابه (اصل الانواع) انه يعتقد ان الانسان والقرد قد نشآ معا من صلب مشترك منقرض من آماد ما قبل التاريخ ، وعلى هذا الرأي يكون القرد ليس جدهم وانما هو ابن عم لهم بعيد (١٠٣) .

اما الذين زعموا من المتاخرين بأن اصل الانسان يرجع الى القرد وأن القرد هو ابو الانسان الاول فهم غلاة الماديين الذين الصقوا هذا القول بمذهب داروين (لشهرته العلمية) واتخذوا من هذا المذهب وكلام داروين عن الاعضاء الاثرية (١٠٤) وسيلة لنفي الغاية والحكمة في الخلق ، فانكروا الخلق الدفعي المباشر ، وزعموا أن الانسان اصله من القرود ، واستدلوا بالشبه العظيم بين القرد والانسان ، في أكثر الاعضاء ، وبعض الطبائع كالحيض ولكن هؤلاء القائلين بنشوء الانسان من القرد تحيروا في كيفية انتقال القرد من الحيوانية الى الانسانية نقلته الاخيرة .

فقال بعضهم انها حصلت فجأة ، وقال آخرون انها حصلت بالتدريج لأن النقلة الفجائية بعيدة جدا لما بين القرد والانسان في العقل من الفرق العظيم ، وبحثوا عن الحلقة المفقودة (التي بواسطتها تحول القرد الى انسان بزعمهم) في طبقات الارض فلم يجدوا لها أثرا ، ولم يتمكنوا حتى اليوم من البت في تلك النقلة براي قاطع او (حتى) راجح ، فظلت النشأة الاصلية « للانسان عندهم » موضع شك عظيم (١٠٥) .

وهكذا يتضح أن قصة تحول القرد الى انسان هي من ظنون الماديين وتخميناتهم وتخرصاتهم التي ليس لها ما يدعمها من الادلة العلمية أو البراهين الحسية باعترافهم .

بل ان كثيرا من علماء الطبيعة البارزين في أوروبا نفوا (بناء على التجارب التي قاموا بها) ان يكون أصل الانسان قد تحدر من القرد .

ويكفينا ان أحد خلفاء داروين في حزب نظرية التطور والارتقاء (هكسلي) قد خالف زملاءه الماديين فنفى ان يكون الانسان قد تحدر من القرد .

---

(١٠٣) عباقرة العلم ص ١٨٠

(١٠٤) يعنون بالاعضاء الاثرية ما زعموا اكتشافه من وجود اعضاء زائدة كالعيون غير المبصرة في بعض الحيوانات التي تقطن الكهوف او تقيم تحت الارض .

(١٠٥) قصة الايمان ص ١٨٦ ط اولى .

قال الاستاذ فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) .. ثم ان اقـدم، الحفريات التي درسها العلماء (هكسلي وجون لبوك ، وفوجت ، وشافوزن ، وجميع الطبعيين تدل على أن الانسان القديم وان كان أقبح صورة من الانسان الحالي ، الا انه لا نسبة بينه وبين القردة في شيء ، كما اعترف بذلك العلامة الاختصاصي في درس الجماجم الانسانية (لاريت) اهـ .

ومما يستدل به علماء الطبيعة الاوربيين المعارضين للنظرية القائلة ان الانسان ترقى عن القرد ، على بطلان هذه النظرية ، هو انهم وجدوا في السنوات الاخيرة في مغارات (انجيس) وتندرتال) بأروبا بقايا انسانية ، تعتبر اقدم البقايا البشرية ، استدلوا بفحص هذه البقايا على أنها لا تدل على ادنى فرق بينها وبين الانسان الحالي ، مع أن فحصها دلِ على أنه قد مضت عليها الوف مؤلفة من السنين .

تناقض انصار المذهب القردي

ثم قلت له .. وان مما يدل على تخبط الماديين في عشوى دعلواهم هو مناقضة بعضهم لبعض .

فبينما نرى قطب النظرية (داروين) يزعم أن الانسان والقرد فرعان تحدرا من اصل واحد ، نجد خليفته (هكسلي) ينفي نفيا قاطعا أن تكون هناك أية صلة بين الانسان والقرد ، في حين نرى العالم شلغر (المولود سنة ١٧٧٨ م يصرح بأن الانسان والقرد كانا أخوين ، وأن الانسان لم يترقَ عن القرد (كما يزعم أتباع داروين) وانما تردّى هذا القرد من أوج الانسانية الى عالم الحيوانية .

وبينما يستقر الراي بين الماديين (القائلين بأن الانسان انما ترقّى عن القرد) على أن هذا القرد الذي هو « في نظرهم أصل النوع الانساني » هو القرد المعروف باسم (الشمبانزي) أو (الاورنغ) اذا بآخرين منهم (بعد اكتشاف الغوريلا) في أفريقيا يتخلّون عن الرأي الاول فيزعمون أن الغوريلا هو الاصل الذي تحدر عنه الانسان .

التمييز العنصري بين القرود

وبينما هذا الخبط والتخليط والتناقض يحدث هكذا في محيط الداروينيين الماديين حول كيفية تحدّر الانسان من القرد ، اذا بآخرين منهم يخالفونهم ويزعمون (على طريقة التميز العنصري) أن النوع الانساني تحدّر من ثلاثة أنواع من القردة ، لا نوع واحد .

فيدّعون أن النوع الابيض الراقي (في نظرهم) قد تحدّر انسانه الاول من (الشمبانزي) وهو أرقى أنواع القردة .

اما (الاورنغ) وهو القرد الذي يلي (الشمبانزي) في المرتبة ، فيدعي هؤلاء أنه أصل الاقوام ذوي الايدي الطويلة والشعر الضارب الى الحمرة والجماجم البيضية التي يساوي طولها عرضها .

اما الانسان الاسود فيدعي هؤلاء ان اصله يرجع الى القرد المعروف باسم (الغوريلا) ، وهو أحط انواع القرود (١٠٦) .

وهذا كله ان دل على شيء ، فانما يدل على أن هؤلاء الذين يزعمون رجوع أصل الانسان الى القرد ليسوا على شيء (١٠٧) وانهم لا يزالون (حتى هذه اللحظة) تائهين في بحار من الظنون والتخمينات ، وهذا وحده يكفي للحكم بأن قولهم ان الانسان يرجع اصله الى قرد انما هو من الدعاوى المهزوزة المبنية على الوهم والتخيل ، وانهم (حتى هذه اللحظة) لم يجدوا في كنف العلم أي دليل يسند مزاعمهم هذه .

وهذا يكفي للحكم على مزاعمهم بالبطلان .

التكذيب المرتجل ليس الطريق السوي للاقناع

فقال الاخ المعترض ..

وما دام الامر هكذا ، لماذا لم يرتض الاخ (يعني الشاب الذكي) قولنا اننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون أصلنا قد تحدر من القرود ؟!.

فقلت له .. لان ذلك ليس هو الرد المنطقي الصحيح على تلك المزاعم، وخاصة في مثل هذا المحيط الذي تلبس فيها النظريات الصحيحة والباطلة لباس العلم ، فاذا ما جابهنا مادي ملحد ليزعجنا أو يشككنا في مصادر

---

(١٠٦) انظر دائرة معارف القرن الرابع عشر ، العشرين ج ١ مادة (انسان) .

(١٠٧) قال الاستاذ هـ . ج . ولز ، قال في كتابه (معالم تاريخ الانسانية جـ ١ ص ٦٠) قال معلقا على هذا الخلط والتناقض العجيب .. ولقد أعجب بعض علماء الانساب بنظرية تساءل عما اذا كان البشر يعودون الى أصل ثنائي أو ثلاثي ، فيه يكون الزنج منحدرين من سلف يشبه الغوريلا بينما ينحدر الصينيون من أورنج يوتانج اولي ، على حين يجيء الجنس الابيض من سلف يشبه الشمبانزي ، وهكذا وبناء على هذه النظرية البراقة يكون الشمبانزي هو الاخ الادنى للاوربي ، وله الحق والافضلية في أن يتغدى على مائدته وأن يصاهر خير العائلات (النوردية) أكثر مما للزنجي او الصيني اللذين هما أبعد صلة .. ثم يقول الاستاذ (ولز) ساخرا من هذا التمييز الخيالي السخيف .. تلك أفكار عقيمة مستحيلة لا يجيزها العقل السليم وما نذكرها هنا الا لتنبذ .

ديننا بقوله ان نظرية داروين المعترف بها في عالم العلم والمعرفة اكدت أن اصل الانسان يرجع الى القرد ، وهذا يهدم دينكم من القواعد ، فان جوابنا عليه لا يكون بالانفعال والتكذيب المرتجل العاري من الادلة المنطقية، والاكتفاء بالقول بأننا لا نرضى ولا نسلم بأن نكون ابناء لقرد ، وانما يكون الرد على هؤلاء الملحدين بما يقطع املهم من النيل من ديننا والتشكيك في سعة ذهنيته ، وذلك بأن نقول :

كيف يكون الرد على الملحدين

انه ليس في ديننا ما يمنع (من ناحية الامكان) أن يكون الله قد حوّل القرد الى انسان ، فالله قادر على كل شيء ، أوليس هو الذي (في اعتقادنا الجازم) قد أوجد العالم كله من العدم ؟! فالذي أوجد العالم من العدم لن يعجزه أن يحوّل قردا الى انسان ، وليس شيئا يصفع الملحدين ويقطع جهيزة كل خطيب فيهم في هذه الناحية مثل أن يجبههم المسلم بقوله .. نعم نحن لن نتردد لحظة في التسليم بأن القرد قد تحوّل الى انسان ، اذا ما قام الدليل المحسوس القاطع على ذلك ، ولكن انى لكم اقامة هذا الدليل وانتم حتى هذه اللحظة ، تخبطون هذا الخبط وتضربون في متاهات فوضى هذه الاراء والمزاعم التي يناقض بعضها ويحكم بعضها على بعض بالفساد والبطلان ؟!.

ثم ننازلهم (بعد ذلك) في الميدان بسلاح العلم والمنطق الذي يحاولون التغلب علينا بواسطته لاقناعنا بصدق مزاعمهم ، فنثبت لهم بطلان هذه المزاعم بالوسائل العلمية والمنطقية والعقلية التي لا تدع لهم مجالا يصولون فيه أو يجولون للتغرير بالبسطاء وجرّهم الى هاوية الالحاد عن طريق هذه الادّعاءات الباطلة وأوكد لكم أننا عندما نسلك هذا الطريق مع هؤلاء الماديين ، فلا نتسرع في الحكم (باسم الدين) على كل ما يدّعونه من كشوفات كونية يُلبسونها لباس العلم (مما لم يكن هدما للتوحيد) أو تكذيبا للقرآن أو جحدا للعيان) فاننا نقطع الطريق على كل ملحد متصيد يحاول (عن طريق السفسطة باسم العلم) تشكيك ضعاف المدارك من الاحداث المثقفين واشباههم في دينهم وعقيدتهم في خالقهم ، ونثبت لهؤلاء وغيرهم ممن يتلقفون (كالمسحور في تقديس واحترام) كل ما يلقي به اليهم علماء الغرب فيعضّون عليه بالنواجذ باعتباره حقيقة واقعة لا تقبل الجدل دون أن يعرضوه على مختبر العقل والمنطق والعلم للتأكد من صحته أو عدمها .

نعم نثبت لهؤلاء المقلدين الاغبياء بأن كل ما يلقي به اليهم الغربيون أو الشرقيون من نظريات وآراء وبحوث ليس صحيحا على الاطلاق بل كله قابل للنفي والاثبات والصحة والبطلان ، وأن عليهم اذا كانوا رجالا يحترمون

انفسهم ويعتزون باستعلائهم الذهني (واعني المقلدين من ابناء هذا الشرق) ان لا يكونوا كالامّعات يرددون كل ما يقال لهم دونما وعي او تفكير ، بل يأخذون كلَّ ما يَفِد اليهم فيزنوه (قبل التهامهم له) بميزان العلم والعقل والمنطق والدين الذي لا يتنافى مع العلم او العقل والمنطق ، وهذا هو الذي يجعلهم بمنجاة عن السقوط في مهاوي الانحلال والزندقة ، ويمكّنهم من احتلال مقاعدهم اللائقة بهم بين الاحرار المفكرين ، لا العبيد المقلدين .

كيف يسيء المتزمتون الى الدين

كما اننا ايضا (بمثل الطريقة التي سلكناها) في مناقشة دعاة النظرية القائلة ان اصل الانسان يرجع الى القرود ، وتفنيد مزاعمهم على مسرح العقل والعلم والمنطق نبرهن للمتزمتين (الذين يتسرعون في الحكم بالتكذيب والانكار على ما لم تستسغه عقولهم (باسم الدين) مما يستجد من نظريات وآراء كونية تحتمل الصحة والبطلان) ، بأن هذا التسرع لا يخدم الدين بأي حال من الاحوال بل قد يسيء اليه ابلغ اساءة ، عندما ننكر باسمه حقائق علمية كونية هي وان كانت لدى هؤلاء المتزمتين غير معلومة لعدم توفر الوسائل الذهنية والعلمية التي يمكنهم بها ادراكها ، الا انها عند اصحابها المتخصصين في ميدانها في مرتبة الحقائق البدهية التي لا تقبل الجدل .

فهؤلاء عندما نصرخ في وجوههم باسم الدين ثم نحمّل هذا الدين مسئولية انكار هذه الحقائق التي لم ينكرها ولم يثبتها ، انما نزهّدهم في هذا الدين ونشككهم فيه حتى وان كانوا من المنتسبين اليه ، وهذا هو عين الاساءة الى الدين والتجني عليه .

القول الفصل في نظرية داروين

وبعد ان وصل البحث والنقاش الى هذا الحد ، طلب شاب آخر الكلمة وقال :

مما لا جدال فيه ان اخطر نقطة في نظرية داروين تستحق اليقظة والحذر ــ من الناحية الدينية ــ هو ما تناوله (داروين) في نظريته بشأن أصل الانسان ومراحل تكوينه .

والان وقد سمعنا فيما مضى من نقاش حول هذا الموضوع من تفسيرات واحتمالات كان لها كلها الاثر في نفوسنا ، مما جعلنا نعجز عن تكوين راي حاسم نتمسك به في هذه الناحية ذات الصلة الحساسة بأصل ديننا ، فما هو الراي الصائب الذي يمكننا الاخذ به من الاراء المتعارضة

التي سمعناها في هذا النقاش الطويل ؟؟.

فقلت له .. ان دين الاسلام (اولا وقبل كل شيء) هو من الكمال والصلاح لكل زمان ومكان بحيث لا تضيق ذهنيته بأية حقيقة علمية ثابتة ، ولا يتعارض اي نص من نصوصه مع العقل أو تتناقض مع الواقع ، منذ أن اشرقت شمسه على هذه الارض ، وهذا هو سر خلوده وانجذاب القلوب نحوه وركونها اليه وامتزاجها بحبه .

القرآن لم يات لاحصاء الحقائق الكونية

ولعل من أروع قواعد هذا الدين هو أن ما لم يرد ذكره في نص من نصوصه من اخبار الخلق وانباء التكوين وأمثالها (مما لم يكن نقضا للتوحيد او هدما للشريعة) ، لا يمكن الحكم عليه باسم هذا الدين بالنفي أو الاثبات أو الكفر والضلال ، لان ذلك الخبر او ذلك النبأ قد يكون حقيقة واقعة وان لم يتعرض القرآن لذكره لان هذا الكتاب لم يات لاحصاء الوقائع الكونية واعلانها على الملأ واحدة واحدة ، وانما اشار الى بعض هذه الوقائع الهامة (كخلق الانسان من طين وخلق الجن من النار ورفع السماء وبسط الارض) ليثير عناصر الفهم والتبصر في النفوس ليقود اصحابها التفكير الحر النزيه حتى يصلوا الى الله معترفين بوجوده خاضعين خاشعين لجلاله وعظمة قدرته ، (قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١٠٨) (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء) (١٠٩) . ثم قلت له :

حقيقة موقف الاسلام من نظرية داروين

اما بشأن نظرية داروين وما هو الراي الصائب الذي يجب ان يقفه الانسان منها (من الناحية الدينية) فقد أوضحت لكم فيما مضى من مناقشة ، أن قواعد نظرية داروين (جوهرها لا استنتاج الملحدين منها وتفسيراتهم لها) لا تضيق بها ذهنية الاسلام ولا تتنافى مع وجود الله .

القول بتحدر الانسان من الحيوان لا ينافي الاسلام

فليس مما ينافي الاسلام أو يهدم التوحيد القول بأن الله تعالى قد

---

(١٠٨) يونس : ١٠١
(١٠٩) الحج : ٣

بدأ خلق الانسان بجرثومة صغيرة انبتها حول المستنقعات ثم طوّرها بقدرته وحوّلها من حيوان الى آخر الى أن صارت انسانا كاملا (كما هـو زعم داروين) ، كما انه ليس مما يتنافى مع الاسلام ، القول بالوراثة او المطابقة أو تنازع البقاء أو الاختيار الالهي (الذي يسميه الماديون الانتخاب الطبعي) وهو أن البقاء في ميدان الصراع ؟ (اذا ما تشب) لا يكون ، الا للاقـوى والاصلح ، وهي القواعد الاربع التـي بنى عليهـا داروين نظريتـه والتـي فصلناها فيما مضي من مناقشة .

فأكثر هذه القواعد هي حقائق واقعة شهدها الناس قبل أن يُخلق داروين بآلاف السنين ، فتنازع البقاء وحتمية ان يكون هذا البقاء للأقوى والاصلح في ميدان الصراع وكذلك انتقال الخصائص بالوراثـة امـور لا يستطيع احد انكارها وهي من صنع الله الذي اعطى كُل شيء خلقه ثم هدى، وضعها وجعلها ناموسا عاما بين الكائنات الحية لحكمة يعلمها هو .

اما قانون المطابقة (١١٠) فلم يقم اي دليل قاطع على انه موجـود ، ولكن اذا ثبت (علميا او حسيا) انه موجود فانا برجوعنا الى مصادر ديننا واصوله لن نجد اية تعارض بين هذا القانون وبين اي نص من نصوص ديننا الحنيـف .

فاذا ما ثبت أن مخالب الاسد التي خلقها الله فيه ليأكل بها اللحـوم التي هي غذاؤه الوحيد والتي لا حياة له بدونها، اذا ما ثبت ان هذه المخالب والانياب الحادة قد استبدلت بغيرها من الالات الاخرى كالآلات التي لا تصلح الا لقضم الحشيش والنبات والامعاء التي لا يمكن هضم النبات الا بها وذلك اذا ما اضطر نوع الاسد الى العيش (طيلة آلاف السنين) في بيئة لا يوجد فيها اي شيء من اللحوم (الغذاء الوحيد للاسد) وانما يوجد فيها (فقط) النباتات أو ما في درجتها من الاغذية ، ان هذا (وهو الذي يزعمه داروين) اذا ما ثبت ليس فيه اية مناقضة للدين او هدما للتوحيد ، بل على العكس انه ليدل على حكمة الخالق ورحمته ، لانه بهذا القانون قد يسر لنوع الاسد ان يعيش بعد ان كان فناءه محققا بانعدام الغذاء الوحيد الذي لا حياة لـه بغيره ، لو لم يغيّر الله من طبيعة امعائه وشكل الآلات التي يتعاطى بها انواع الغذاء الجديد الذي ما له بها معرفة .

تحذيـر مـهم

غير ان الشيء الذي يجب علينا (كمسلمين مؤمنين بالله وبكتابه وسنة نبيه) أن نقف منه موقف الحذر ، ولا يمكننا قبولـه ـ بأي حـال مـن

---

(١١٠) انظر قانون المطابقة حيث فصلنا القواعد الاربع التي بنى عليها داروين نظريته .

الاحوال ـ ويجب علينا أن لا نتردد لحظة في الحكم بالكفر والخروج من الدين على من قال به ، هو :

١ ـ أن يعتقد القائل بنظرية داروين أن الحياة الاولى التي أشار اليها داروين في نظريته ، قد وُجدت مصادفة وأنها حدثت بغير قدرة الله وارادته وانما تولدت من المادة تولدا ذاتيا (١١١) ، وأن كل أدوار التطور والتحول والارتقاء قد حدثت تلقائيا ، أي بغير قدرة الله وعلمه وارادته .

٢ ـ وأن يسلّم القائل بهذه النظرية أن الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو أبونا آدم عليه السلام (١١٢) .

لان في القول الاول انكارا لوجود الله سبحانه وتعالى ، وفي القول الثاني ، تكذيبا صريحا للقرآن الكريم ، لانه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن) نفيا تاما ، يضاف الى هذا ان قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم (كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنية (باعتراف قطبها داروين) على الفرض والتخمين والظن ، ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم) قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليصدّق قصة ليس لها اي ظل من الحقيقة ، قصة اساسها الفرض والحدس والتخمين ، لا القطع واليقين.

أما اذا كان المقتنع بنظرية داروين قد بنى اقتناعه (حسب الاحتمال الذي وَفّقَ به الاخ بين قصة الخلق في القرآن وبين نظرية داروين) وهو أنه (فعلا) كان هناك انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وأن هذا الانسان الاول الذي تزعم النظرية وجوده (ضمن سلسلة التحولات والتطورات) ليس هو أبينا آدم بالذات وانما هو انسان آخر انقرض مع نسله انقراضا كليا ، أو أن أبانا آدم (الانسان الكامل الاول) قد جاء بقدرة الله نتيجة تطور ذلك الانسان الغير الكامل ، باعتبار أن هناك اجيالا وجدت من نوع الانسان قبل أبينا آدم (كما روى الفخر الرازي في تفسيره عن الامام محمد الباقر (١١٣)

---

(١١١) كما يزعم لامارك وارنست هيكل واوبارين ومن تبعهم من الملحدين .

(١١٢) وهذا (قطعا) لم يصرح به داروين في اي كتاب من كتبه .

(١١٣) ترجمة الامام الباقر :

هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض) أحد الائمة الاثني عشر (في اعتقاد الامامية) كان الامام الباقر عالما سيدا كبيرا ، وقد سمي الباقر لانه تبقر في العلم ، أي توسع ، والتبقر .. التوسع ، وكان (رض) ناسكا عابدا ، قال الزركلي في الاعلام .. له في العلم وتفسير القرآن آراء ، ولد بالمدينة في شهر صفر سنة ٥٧ هـ وتوفي بالحميمة سنة ١١٢هـ ونقل الى المدينة ودفن بالبقيع ، وكان عمر الامام الباقر ـ يوم استشهد جده الحسين ـ رضي الله عنه ثلاث سنوات .

ان الله تعالى قد خلق قبل ابينا آدم الف الف آدم) .

وكذلك اذا بنى المقتنع بنظرية داروين اقتناعه على أن الحياة الاولى التي جاء ذكرها في النظرية قد وجدت بقدرة الله تعالى ، وأن مراحل التطور والتحول والارتقاء التي بدأ خلق الانسان فيها (كما يقول داروين) بجرثومة صغيرة نبتت حول المستنقعات من الطين وانتهت بخلق الانسان الكامل ، قد تمت كلها بارادة الله وقدرته تعالى .. فالذي يبني اقتناعه بصحة نظرية داروين حسب هذا الاعتقاد المحتمل ، لا يمكن الحكم عليه بالكفر او الخروج على الاسلام بما يخالف شيئا من نصوصه .

لانه لم يقل قولا يستحق هذا الحكم ، اذ كل ما في الامر انه زعم زعما وادّعى حدوث أمر (من المحتمل والجائز شرعا وعقلا أن يكون قد حدث) الا انه ليس لديه أيُّ دليل علمي قاطع أو حسي قائم على صحته وحدوثه ، هذا هو غاية ما يمكن الحكم به على المؤمن بنظرية داروين اذا كان قد آمن بها على النحو الذي فصلناه أخيرا .

ذلك أن الذي يترجح لديه وقوع أمر من الامور الكونية بناء على فروض افترضها وتقديرات قدّرها واحتمالات رجّحها (لا ادلة قاطعة عرفها او براهين محسوسة لمسها) ليس في دين الاسلام ما يبيح لنا وصفه بأنه خرج على الدين وانكر وجود الله ، ما دام أن ذلك ليس فيه هدم للشريعة او انكار للتوحيد .

لانه حتى لو صح انه مخطىء في تقديراته وافتراضاته وأن ما ذكره لم يكن حقيقة واقعة ، وانما كان وهما من الاوهام فانه ليس لدينا ما يبرر لنا وصفه الا بانه قد اخبر بغير الواقع وأن ظنونه كانت كاذبة ، وكم يخطىء الظن ويصيب .. ومن كان هذا شأنه ليس من الانصاف اصدار الحكم عليه (جزافا) بالكفر والضلال .

التوقف اقوم سبيل

اما الراي الذي اراه صائبا والذي يجب أن يتخذه المسلم (من الوجهة الدينية) حيال نظرية التطور والارتقاء من حيث جوهر قواعدها (لا الاراء الالحادية التي اقحمها الملحدون عليها كتفسير لها) فهو التوقف وعدم اصدار أيُّ حكم باسم الدين فيها لا بنفي ولا اثبات ، وذلك على اعتبار أن وقائع هذه النظرية من الجائز الممكن أن تكون قد حدثت فعلا ، وأن لا تكون قد حدثت ، بل وكل النظريات العلمية القابلة للصحة والبطلان من الخطأ الشنيع اصدار حكم عليها (باسم الاسلام) بنفي أو اثبات ، لان كثيرا من النظريات العلمية كانت في نظر أصحابها حقيقة واقعة لا يتطرق اليها الشك

ثم استجد من العلوم والبحوث والتجارب ما جعل أصحابها أنفسهم يعتبرونها خرافة من الخرافات .

كما أن هناك نظريات أخرى كانت في نظر علماء ومفكرين وشيوخ فضلاء متبحرين صالحين خرافة من الخرافات وضلالا من الضلالات ، ثم توفر لديهم من الوسائل العلمية والذهنية ما جعلهم يؤمنون بأنها حقائق واقعة ونعم وخيرات ساقها الله اليهم .

لا تنفوا باسم الاسلام ما لم ينفه

وهكذا فان اقحام الدين في مثل هذا الميدان ومحاولة اصدار الاحكام القاطعة على هذه النظرية أو تلك (مما لم يكن فيه نقضا صريحا للدين أو هدما للتوحيد) باسم هذا الدين ، أمر لا يرضاه الدين نفسه ، وقد يعرّضه لاخطار شديدة تنتهي به الى أن يتشكك الناس فيه ويرتابوا في صحته .

فمثلاً ، لو أصدرنا حكما على هذه النظرية أو تلك (باسم الدين) بانها صحيحة ثم اتضح فيما بعد بما لا يدع مجالا للشك بأنها غير صحيحة ، فمن يا ترى الذي يدفع الثمن غاليا من سمعته ومنزلته ؟؟

انه الدين نفسه دونما جدال .. الدين الذي نكون قد جنينا عليه باقحامه في غير ميدانه ، وقلنا باسمه ما لم يقله هو .

ومثل هذا يقال فيما اذا حكمنا (باسم الدين) على نظرية من النظريات اياها بالبطلان ثم اتضح بما لا يدع مجالا للشك بانها حقيقة واقعة .

ولهذا فان أسلم موقف نقفه باسم الدين حيال نظرية داروين وامثالها هو التوقف وعدم اصدار أيّ حكم بشأنها لا بنفي ولا باثبات ، على اعتبار أن أمر هذه النظرية موقوف على سبيل الجواز والامكان ، اللهم الا ما ادخله الملحدون على هذه النظرية وتمحكوا به لجعله وسيلة لهدم الشريعة ونقض التوحيد .

وقولنا هذا انما يتفق كل الاتفاق مع طبيعة رسالة الاسلام التي لم تأت لاعلان القول الفصل في مثل هذه النظريات القابلة (شرعا وعقلا) للصحة والبطلان .

التوقف لا ينافي القرآن

فقال الاخ المعترض ..
وقصة خلق الانسان في القرآن ، الا يتنافى التوقف في أمر هذه

النظرية (باسم الدين) معها ؟. فقلت له .. (لا) ليس هناك اي تناف .. الذي يقول بنظرية داروين بناء على الاحتمال الذي ذكره الاخ ، وهو أن الله هو الذي أوجد الحياة وطوّر الانسان ورقاه حتى صار انسانا كاملا (حسب نظرية داروين اذا ما صحت) وان الانسان الاول الناقص الذي جاء ذكره في هذه النظرية ليس ابانا آدم ، وان أبانا آدم انما هو الانسان الكامل الاول.

فالذي يؤمن بصحة نظرية داروين على هذا الاحتمال ، ليس في قوله ما ينفي أن الله خلق الانسان من طين ، ما دام يؤمن بأن الجرثومة الاولى التي صدر منها الانسان قد تولدت من الطين حول المستنقعات بقدرة الخالق (كما صرح بذلك داروين في آخر كتابه .. اصل الانواع .

نعم يتنافى هذا القول أو التوقف فيه مع الراي القائل ان الله كوّن آدم من الطين مباشرة ودون مرور اية ازمان ومراحل حياتية عليه قبل اكمال خلقه ، ولكن تنافي نظرية داروين مع هذا الراي لا يبرر الحكم على القائل بها بأنه قد كذّب القرآن ، لانه ليس في أي نص من نصوص هذا الكتاب العزيز ما يمكن اعتباره تصريحا بهذا الراي ، لان كل الايات التي أشارت الى الطين لم يأت فيها أي تفصيل يفيد أن الله تعالى قد خلق الانسان من الطين مباشرة ودون أن تمر به اية أدوار من التطور والارتقاء بأن أقام له تمثالا من الطين ثم نفخ في هذا التمثال الروح مباشرة ، ذلك ان هدف هذه الايات الاول (كما هو سياق القرآن) انما هو تذكير الانسان والفات نظره الى ان مصدره الطين ، كما لفتت نظره وذكّرته آيات اخرى الى أن مصدره الماء والصلصال والحمأ والنطفة .

فقال .. الا يشعرنا قول الله تعالى :

اني خالق بشرا من طين . فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (١١٤).. الا يشعر قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) بأنه تعالى قد سوى الانسان ونفخ فيه الروح بعد أن أقام له من الطين صورة كاملة نفخ فيها الروح ؟!.

فقلت له .. الذي اعتقده انه لا دليل في هذه الاية على ذلك البتة (١١٥) .

---

(١١٤) الحجر ٢٨

(١١٥) جاء في كتاب الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله (الفلسفة القرآنية) ص ١٧٤ تحت عنوان (بين البحث والتخمين) قوله .. قرات في عدد شهر ربيع الاول في مجلة (منبر الاسلام) مقالا لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي بعنوان (تفسيرنا للقرآن لا يكون بالتخمين) يقول فيه من مبادىء عامة يقررها .. (ان القرآن عربي واسلوبه خاضع =

فهذا كله انما هو لالفات النظر واثارة عناصر التبصر والتدبر والاعتبار فقط ، فهوليس لنفي أن تكون هناك اطوار قد مرت بالانسان تطور فيهـــا وترقّى وتحوّل قبل اكمال تكوينه .

ولو جاز فهم مقاصد القرآن على النحو الذي ذكرت للزم علينا الاعتقاد

= للقواعد العربية) ثم يقول عن قصة خلق آدم : فالله تعـالى يخبرنا في سورة (ص) بحديثه مع الملائكة « اني خالق بشرا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ثم قال الاستاذ العقاد ... والمبدأ الاول الذي يقرره الاستاذ ويقرره مع فضيلته كل باحث في معاني القرآن الكريم هو أن قواعد اللغة العربية تقضي (بأن اللفظ لا يصرف عن معناه الظاهر الا لضرورة تقتضي ذلك والا كان صرف اللفظ عن معناه ضربا من التخمين) وهذا ــ كما تقدم ــ مبدأ يقرره مع الاستاذ كل باحث في معاني القرآن الكريم ، وفي معاني اللغة في كل كلام مفيد ، وانما يحتاج الامر الى التعريف بالتخمين ما هو ؟؟ وما الفرق بينه وبين البحث عن المعاني في اخبار الوحي بالامور الغيبية على التخصيص وهي باتفاق الاقوال معلومة الكلمات مجهولة الكيفيات وعلى الاخص فيما ينسب الى الخالق سبحانه وتعالى من عمل او كلام .. فالتخمين ــ قطعا ــ في معنى هذه الآية وسائر الآيات أن يزعم قارىء القرآن ان التسوية الالهية كالتسوية التي نعهدها في أعمالنا نحن المخلوقين من الآدميين ، وأن النفخ في خلق آدم من الطين كالنفخ عندنا بالأفواه وان طينة آدم كطينة التمثال الطيني الذي يصوره المثالون مشابها للانسان بالاعضاء والوظائف بغير حراك .... ان الذي يزعم ذلك « يخمن » في فهم اللفظ والمعنى بلا جدال ، لأن اعمال الاله جل وعلا تنزهت عن مشابهة الاعمال الآدمية وعن كل عمل محدود من اعمال المخلوقات .. فليست معاني الكلمات في المعجمات اللغوية هي مدار البحث عن تفسير هذه الآيات لان الامر فيها يرجع الى الكيفيات المجهولة التي نجزم بحقيقة واحدة منها ، وهي انها « كيفية » منزهة عن مشابهة أعمال المخلوق .. ما التسوية ؟.. وما النفخ ؟.. وما الروح ؟.. وما مدلول الآية الكريمة بعد التحقق من معاني هذه الكلمات ؟ .. اذا كانت « الكيفيات » مجهولة هنا ، فالمعلوم الذي لا خفاء به قطعا أنها ليست تسوية باليدين على مثال تسوية المصورين الآدميين ، وانها ليست نفخا بالافواه كما ينفخ الانسان الهواء في الطين او غير الطين وان الروح ليست بالروح الانسانية وليست على اية حال بالكيفية المحدودة بالقواميس والمعاجم ، لان روح الانسان المخلوق مجهولة يعلمها الله وحده كما نفهم من آيات القرآن ، وندع الكلام فيما هو أعظم من ذلك وأخفى على العقل من معنى الروح منسوبا الى الله .. كل ما يجوز أن نفهمه من معنى النفخ انه بث قوة الحياة في الطين . وفي كم من الوقت حدث هذا ؟.. أفي لمحة واحدة ؟؟.. افي يوم واحد ؟.. أفي الدهر المتطاول ؟.. من جزم بشيء من ذلك ؟ فانما يخمن ويجزم على التخمين بل لو قيل هذا كله تم في وقت كلمح البصر لما جاز لأحد أن يحصره في اللمحة المعهودة لدينا ، لأن اللمحة عند الله يتم فيها أمر الساعة كله « وما أمر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب » .... وهذه اللمحة مقرون بها في القرآن الكريم خلق كل شيء وتقديره « انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » .. واذا قيل ان بث الحياة في طينة آدم تم في يوم واحد فان اليوم الواحد مجهول المقدار في علم الله « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » وقد يكون اليوم خمسين الف سنة كما جاء في قوله تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » .. وهذا من حيث الموعد المقدور لبث الحياة في طينة آدم بعد تسويتها ، فما هي التسوية؟.. وكم من الزمن قدره الله تعالى لاظهار هذه التسوية في خلق الطين وفي خلق البنية =

جميعا بأن الله لم يخلق أحدنا الا بعد أن أقام له صورة من الطين ثم نفخ فيها الروح ، لان الله تعالى يقول مخاطبا جميع البشر :

(هو الذي خلقكم من طين) . وهذا تماما (من ناحية الاعتبار والتدبر) كقوله تعالى (اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

فقال .. ان تلك الاية (هو الذي خلقكم من طين) انما تقصد لفت نظر بني الانسان عموما الى أن أصلهم انما مرجعه الطين .

فقلت له .. وكذلك الآية (اني خالق بشرا من طين) انما يقصد بها لفت نظر الملائكة الى أن الله تعالى سيخلق بشرا مصدره الطين ، فليس في الآية ما يفرض الاعتقاد بأنه يقصد اخبار الملائكة (على وجه التحديد) بأنه سيقيم صورة لهذا البشر من الطين مباشرة وانه سينفخ في هذه الصورة الطينية بالذات من روحه ، وكل ما في الامر انه أثار انتباه الملائكة ولفت نظرهم الى انه سيخلق بشرا من طين وأمرهم بالاستعداد بالسجود لهذا البشر عند نهاية خلقه ، كما أثار انتباههم ولَفَتَ نظرهم (في آية اخرى)

= الآدمية منه !.. من جزم بوقت محدود لهذه التسوية فذلك هو التخمين بغير دليل، ومثله في التخمين بغير دليل أن يزعم الزاعم كيفية لهذه التسوية يمتنع ما عداها ويحرم علينا ان نفهمه من مدلول الآيات ... واذا كان هذا هو مدلول النفخ والتسوية والطينة ، فالحقيقة التي هي اجل من ذلك قدرا واخفى من ذلك سرا هي حقيقة الروح ومعناها المقصود في قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) .. فان كلمة الروح قد وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الشورى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا .. » ومنها قوله تعالى في سورة الشعراء « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين » .. ومنها قوله تعالى في سورة النحل « قل نزّله روح القدس من ربك بالحق » .. ومنها في سورة النساء « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه» .. ومنها في سورة مريم .. « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا .. » وفي سورة الانبياء .. « والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين .. » وكل كيفية يحدث بها نفخ الروح بالمعنى الذي وردت به في هذه الآيات فهي كيفية مفروضة على التخمين ، وكل جزم بانكار ما عداها فهو جزم مفروض على التخمين .. وقد كان نفخ الروح من قبيل ولادة عيسى عليه السلام ، وكان من آياته ان يتمثل بشرا سويا في غير هذا المقام ، وكان الروح وحيا ومصدرا للوحي وسرا محجوبا على علم بني آدم في جميع هذه الاحوال ، ثم يختتم الاستاذ العقاد بحثه العظيم هذا بقوله :

وعلى المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة في الطين وسوى الطين سلالة خرج منها آدم عليه السلام ، ولكن ليس لاحد أن يفرض عليه كيفية للتسوية والنفخ والخلق يلغي كل ما عداها ، وأن يقرر للتسوية والنفخ والخلق وقتا محدودا باللمحة او اليوم أو الدهر ويكون بمقدار واحد ولا يكون بغير ذلك المقدار .. اهـ .

بانه سيخلق نفس هذا البَشر من صلصال من حمأ مسنون وامرهم أيضـا بالاستعداد بالسجود له عند نهاية خلقه .

فقال .. ولكن هناك فرق في الخطاب في الآيتين ، فآية (هو الذي خلقكم من طين) موجهة الى اناس قد سبقتهم أجيال من نوعهم ، وهذا الذي يجعلنا نجزم بأن هذه الآية انما تعني لفت نظر الانسـان بصفة عامة الى أن أصله من طين ليتعظ ويعتبـر .

أما آية (اني خالق بشرا من طين) فهي تشير الى أن الله خاطب الملائكة بانه سيخلق انسانا أول من الطين، وهو الانسانالاول الذي لم يسبقه انسان من نوعه ، وهذا هو الذي يجعلنا نجزم أن هذا الانسـان الاول (وهو آدم) قد نفخ الله فيه الروح بعد أن صورّه من الطين .

فقلت له .. ومن هو الذي اكّد أن ابانا آدم لم يسبقه انسان قبله من نوع آخر ونفى أن تكون هناك امم (قبل أمة أبينا آدم) قد خلقها الله وافناها ، وهل ورد في شيء من الآيات الكريمة أو الاحاديث الشريفة ما يؤكد نفيهذا؟!

فقال .. لا لم يرد شيء من هذا القبيل البتة .

فقلت له. .اذن لقد سقطتحجتكم، وصح يقينا انه ليسهناك فيالقرآن الاول الذي لم يسبقه نوع انسان آخر مع ان وجود أمم قبل ابينا آدم محتمل شرعا وعقلا ؟!.

فقال .. حجتنا أن القرآن (عندما ذكر قصة خلق آدم) لم يصرح بشيء من هذا .

فقلت له .. وهل كل ما لم يفصله القرآن ولم يذكره من حوادث الخلق والتكوين يعتبر دليلا قاطعا على عدم حدوث هذه الحوادث ؟؟

فقال (طبعا) لا ..

فقلت له. . اذن لقد سقطت حجتكم، وصح يقينا انه ليسهناك فيالقرآن ما يمكن اتخاذه دليلا على ضلال من اعتقد أن هناك من نوع الانسان أمما قد سبقت ابانا آدم ، وصح يقينا (ايضا) انه ليس هناك في هذا الكتاب الخالد (القرآن) نص صريح يحتم علينا الاعتقاد بأن الله قد خلق ابانا آدم بعد أن كوّن له صورة من الطين مباشرة ثم نفخ في هذه الصورة بالذات من روحه ، وكل ما يلزمنا أن نؤمن به هو انه تعالى قد خلق الانسان من طين كما خلقه من ماء وصلصال وحمأ مسنون . اما كيف خلق أبانا آدم وكّون صورته وعلى أي شكل كان هذا التصوير وبأية طريقة ، فهذا ما لا يوجد أي دليل في القرآن يحتم علينا الايمان به تفصيليا .

بل حتى لو ثبت (شرعا) أن الله تعالى لم يخلق أي نوع انساني قبل

ابينا آدم ، فان ذلك لا يلزم منه القول أن الله تعالى قد بدأ خلق الانسان بصورة كاملة من الطين نفخ فيها الروح مباشرة ، لأنه لم يرد اي نص شرعي يفرض علينا الاعتقاد بذلك .

وحيث الأمر هكذا فانه ليس من حقنا الحكم بالكفر والضلال على من ترجح لديه القول (لسبب من الأسباب او دليل من الأدلة استساغها عقله) ان الله قد بدأ خلق الانسان بجرثومة من الطين انبتها حول المستنقعات (كما هي نظرية داروين) لان هذا القول ليس فيه اي تكذيب للقرآن ، ولا أية مناقضة للتوحيد . وكل ما في الامر أن الذي يقول هذا القول ليس لديه اي دليل قطعي يجعل قوله هذا حقيقة واقعة ، ومن كان هذا شانه يجب ان يبقى قوله (لذلك) موقوفا على سبيل الامكان والجواز ، ولا يلزم غيره من الناس ان يقول به .

ليس في الاسلام ما ينافي العقل او العلم

ثم قلت له ... ونحن لا نقول هذا وننصح بالتزامه ايمانا منا بصحة نظرية داروين ، فقد قلنا كلمتنا اكثر من مرة بشأن هذه النظرية وانها نظرية لم تخرج بعد عن دائرة الفرض والحدس والظن والتخمين ، لذلك فنحن لا نؤمن بصحتها ولا نجزم بانها حقيقة واقعة .

ولكن الذي جعلنا نذهب في المناقشة الى هذا الحد انما هو رغبتنا الصادقة في اقناع من هو على مستوى اخينا المعترض من العلماء بانه ليس من مصلحة الاسلام تحميل نصوصه ما لا تحتمله للزج به في ميدان ليس من طبيعة رسالته الخوض فيه ، كما اننا (من ناحية أخرى) نهدف الى أن نلقم اعداء هذا الدين (الباحثين له كل يوم عن مطاعن) حجرا ، بالاثبات لهم بأن هذا الدين الخالد لم ولن تضيق ذهنيته بما تحققه العلوم الحديثة من مكتشفات ، وأنه لم ولن يتعارض مع العقل او يتصادم مع الحقيقة والمنطق والواقع في اي مجال من المجالات ، لأنه دين العقل والعلم والمعرفة ، وليست فيه أية متناقضات تتنافى مع العقل والعلم .. وان نظرية داروين لو صحت (حسب قواعدها الاربع) فان أعداء الاسلام الحريصين على التشكيك فيه لن يجدوا في نصوصه انه سبق له أن نفى مثل هذه النظرية ، وهو ما يتوق هؤلاء الاعداء الى تسجيله على هذا الدين ليتخذوا من ذلك دليلا على تناقضه مع الحقائق الواقعة .

فقال الأخ المعترض ... اني اراك باقوالك الاخيرة هذه قد رجعت عن قولك الاول ، وهو أن القول بنظرية داروين فيه تكذيب صريح للقرآن .

فقلت له ، لقد قلت هذا فيما مضى اعتقادا مني أن من اسس نظرية

داروين القول بأن الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو أبونا آدم عليه السلام ، فلم أتردد (لذلك) في الحكم بالكفر على من قال بذلك القول لانه قول باطل ، فيه تكذيب صريح لكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث أن هذا القول (كما بينت فيما مضى من مناقشة) يتناقض مع الآيات المحكمة التي ذكرت قصة آدم وحواء والجنة والملائكة وابليس ، ولانني واثق من أن أي قول فيه ادّعاء يتناقض مع أي نص صريح في القرآن ، هو ادّعاء زور وبهتان وافتراء ، لانه ليس في كتاب الله حرف واحد يتنافى مع اية حقيقة ثابتة .

ولكنني على أثر النقاش الواعي المركز الذي قام به الاخ (حول هذه الناحية) تبين لي انه ليس من مستلزمات الايمان بنظرية (داروين) القول ان ابانا (آدم) هو (بالذات) الانسان الناقص الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، بل تبين لي أن (داروين) لم يأت عنه في أي قول من اقواله ان ابانا آدم هو (بالذات) الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فذلك (اذن) هو سر ما سمعت (اخيرا) من آرائي حيال جوهر نظرية (داروين) والقائلين بها حسب قواعدها الأربع ، مما يمكن اعتباره رجوعا مني عن بعض ما قلته حيال هذا الموضوع .

وبهذا المقطع من الحديث اختتمت فصول المناقشة (بشأن نظرية داروين) وانفض جميع الذين حضروا جلسات هذه المناقشة .. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أهم الكتب التي جرى فيها النظر
عند تاليف هـذا الكتاب

اسم الكتـاب	اسم المؤلف
الله والعلم الحديث	عبد الرزاق نوفل
الله يتجلى في عصر العلم	نخبة من العلماء الامريكيين
القرآن والعلم الحديث	عبد الرزاق نوفل
تفسير الفخر الرازي	الامام الرازي
في ظلال القرآن	سيـد قطب
قصـة الايمان	الاستاذ نديم الجسر
الآيات البينات الدالـة علـى وجود خالق الكائنات	السلطـان صالـح بن غالب القعيطي سلطان حضرموت
البدء والتاريـخ	احمد البلخـي
أصول الدين	عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي
دائرة المعارف	محمد فريد وجـدي
عبقرية العرب	الدكتور عمر فروخ
مقدمـة ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
الفلسفة القرآنية	عباس محمود العقاد
مع الخالدين	سمير شيخاني
رجال ومجاهر	كاترين ب. شيبن
الانسـان في القرآن الكريم	عباس محمود العقاد
الانسان بين المادية والاسلام	محمد قطب

اسم الكتــاب	اسم المؤلف
قصة الانســـان	جورج حنـــا
رجال عاشوا للعلـــم	نخبة من العلماء الأوروبيين
الاعـــلام	خير الدين الزركلي
وفيات الاعيان	ابن خلكـــان
تيارات الفكر الفلسفي	اندريه كريسون
معالم تاريخ الانســانية	هـ . ج. ولز
عباقرة العلم	جورج سلستي
تاريخ الفلسفات الكبرى	بيير دوكاسيـــه
عمالقة العلم	فيليب كين ، وصمويل نيســنسون
تاريخ الفلســفة الحديثة	يوسف كـــرم
العلم يدعو للايمان	أ. كريسي موريسون
التفسير العلمي للآيــات الكونيـــة في القرآن	حنفي احمد
فلسفتنـــا	السيد محمد باقر الصدر
عقائد المفكرين	عباس محمود العقاد

فهرس الاعلام

* هذه العلامة تدل على أن مكان المرجع في حاشية الصفحة .

الفهرس

آثار المؤلف

سلسلة من معارك الاسلام الفاصلة

١ ـ غزوة بدر الكبرى (الطبعة الرابعة)
٢ ـ غزوة أحد (الطبعة الثالثة)
٣ ـ غزوة الاحزاب (الطبعة الثانية)
٤ ـ غزوة بني قريظة (الطبعة الاولى)

كتب اخرى

٥ ـ القومية في نظر الاسلام (الطبعة الثالثة)
٦ ـ صراع مع الباطل (الطبعة الثانية)
٧ ـ لا .. يا فتاة الحجاز (الطبعة الثالثة)
٨ ـ لهيب الصراحة (الطبعة الثانية)
٩ ـ اسكات الرعاع
١٠ ـ اكذوبة الاشتراكية
١١ ـ هل هذا من العروبة ؟
١٢ ـ الاسلام ونظرية داروين (الطبعة الثانية)

تطلب كتب المؤلف من المكتبات التالية :

ـ مكتبة الارشاد	جدة ـ السعودية
ـ مكتبة جدة	
ـ مكتبة الري	
ـ مكتبة الثقافة	مكة المكرمة
ـ مكتبة الثقافة	الطائف
ـ مكتبة الثقافة	الدوحة ـ قطر
ـ مكتبة المنار الاسلامية	الكويت
ـ مكتبة المثنى	بغداد
ـ دار النذير	بغداد
ـ مكتبة الاقصى	عمان
ـ مكتبة الفكر الاسلامي	الخرطوم
ـ المكتبة الوطنية	الزاوية ـ طرابلس الغرب
ـ مكتبة دار الفكر	دمشق
ـ دار الفكر الحديث	بيروت
ـ دار العربية	بيروت
ـ دار الارشاد	بيروت

وكلاء التوزيع العام
دار الفتح للطباعة والنشر
ص.ب ٤٢٩٥ ـ بيروت